

(١٠٤٦)

الظاهر والباطن

الحسي والمعنوي

من مصنفات ابن تيمية

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

رسالة من الشيخ إلى أصحابه وهو في سجن الإسكندرية

رسالة من شيخ الإسلام قدس الله روحه إلى أصحابه وهو في حبس الإسكندرية قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ [الضحى : ١١] . والذي أعرف به الجماعة أحسن الله إليهم في الدنيا وفي الآخرة وأتم عليهم نعمته **الظاهرة** **والباطنة** فإني والله العظيم الذي لا إله إلا هو في نعم من الله ما رأيت مثلها في عمري كله، وقد فتح الله سبحانه وتعإلى من أبواب فضله ونعمته وخزائن جوده ورحمته ما لم يكن بالبال، ولا يدور في الخيال ما يصل الطرف إليها، يسرها الله تعإلى حتى صارت مقاعد، وهذا يعرف بعضها بالذوق من له نصيب من معرفة الله وتوحيده وحقائق الإيمان، وما هو مطلوب الأولين والآخرين من العلم والإيمان .." (١)

"الجزء الثامن والعشرون

رسالته إلى السلطان يأمره بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وقال رحمه الله تعإلى : "رسالته إلى السلطان يأمره بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن تيمية إلى سلطان المسلمين، وولي أمر المؤمنين، نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته،بإقامة فرض الدين وسنته أيده الله تأييدا يصلح به له وللمسلمين أمر الدنيا والآخرة، ويقيم به جميع الأمور **الباطنة** **والظاهرة**،حتى يدخل في قول الله تعإلى : ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ [الحج : ٤١] . وفي قوله صلى الله عليه وسلم : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل . . . " إلى آخر الحديث . وفي قوله صلى الله عليه وسلم :." (٢)

"ص -٢٠٢- وسئل شيخ الإسلام رحمه الله عن أهل مدينة رأى بعضهم هلال ذي الحجة، ولم يثبت عند حاكم المدينة، فهل لهم أن يصوموا اليوم الذي في **الظاهر** التاسع، وإن كان في **الباطن** العاشر ؟

---

(١) مجموع الفتاوى /١

(٢) مجموع الفتاوى /١

فأجاب :

نعم،يصومون التاسع في **الظاهر** المعروف عند الجماعة، وإن كان في نفس الأمر يكون عاشرا، ولو قدر ثبوت تلك الرؤية؛ فإن في السنن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " صومكم يوم تصومون، وفطركم يوم تفطرون، وأضحاكم يوم تضحون " أخرجه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي وصححه . وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الفطر يوم يفطر الناس، والأضحى يوم يضحي الناس " رواه الترمذي، وعلى هذا العمل عند أئمة المسلمين كلهم .

فإن الناس لو وقفوا بعرفة في اليوم العاشر خطأ أجزأهم الوقوف." (١)

"ص -٨٦- أحدها

أن أعظم الحسنات هو الإيمان بالله ورسوله، وأعظم السيئات الكفر والإيمان أمر وجودي فلا يكون الرجل مؤمنا ظاهرا حتى يظهر أصل الإيمان وهو : شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله ولا يكون مؤمنا باطنا حتى يقر بقلبه بذلك، فينتفي عنه الشك ظاهرا وباطنا، مع وجود العمل الصالح وإلا كان كمن قال الله فيه : ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ [الحجرات : ١٤] وكمن قال تعالى فيه : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ [البقرة : ٨] وكمن قال فيه : ﴿إذا جاءك المنافقون ﴾ [المنافقون : ١] الآية .

والكفر : عدم الإيمان، باتفاق المسلمين سواء اعتقد نقيضه وتكلم به أو لم يعتقد شيئا ولم يتكلم ولا فرق في ذلك بين مذهب أهل السنة والجماعة الذين يجعلون الإيمان قولا وعملا **بالباطن** **والظاهر**، وقول من يجعله نفس اعتقاد القلب كقول الجهمية وأكثر الأشعرية أو إقرار اللسان كقول الكرامية، أو جميعها كقول فقهاء المرجئة وبعض الأشعرية فإن هؤلاء مع أهل الحديث وجمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنبلية، وعامة الصوفية، وطوائف من أهل الكلام من متكلمي السنة، وغير متكلمي السنة من المعتزلة والخوارج،." (٢)

"ص -٣٥٦- فالأقسام أربعة : إما فصل بصلح، فهذا هو الغاية؛ لأنه حصل المقاصد الثلاث على التمام . وإما فصل بحكم مر، فقد حصل معه وصول الحق وقطع الخصومة، ولم يحصل معه صلاح ذات البين . وإما صلح على ترك بعض ما يدعى أنه حق، فهذا أيضا قد حصل مقصود الصلح وقطع النزاع، ولم

---

(١) مجموع الفتاوى /٢

(٢) مجموع الفتاوى /٣

يحصل مقصود وصول الحقوق، لكن ما يقوم مقامه من الترك . ومن هنا يتبين أن الحكم بالصلح أحسن من الحكم بالفصل المر؛ لأنهما اشتركا في دفع الخصومة وامتاز ذلك بصلاح ذات البين مع ترك أحدهما لحقه، وامتاز الآخر بأخذ المستحق حقه مع ضغائن، فتلك المصلحة أكمل، لاسيما إن كان الحق إنما هو في **الظاهر** وقد يكون **الباطن** بخلافه . وأما لا فضل ولا صلح، فهذا لا يصلح، يحصل به مفسدة ترك القضاء .

وإن كان الحق في يد صاحبه كالوقف وغيره يخاف إن لم يحفظ بالبينات أن ينسيه شرط ويجحد ولا يأتيه ونحو ذلك، فهنا في سماع الدعوى والشهادة من غير خصم حفظ الحق المجحود عن خصم مقدر، وهذا أحد مقصودى القضاء فلذلك يسمع ذلك . ومن قال من الفقهاء : لا يسمع ذلك، كما يقوله طوائف من الحنفية والشافعية والحنبلية، فعنده ليس للقضاء فائدة إلا فصل الخصومة ولا خصومة ولا قضاء؛ فلذلك لا تسمع البينة إلا في وجه مدعى عليه لتظهر الخصومة . ومن قال بالخصم المسخر، فإنه ينصب للشر ثم يقطعه، ومن قال تسمع، فإنه يحفظ الحق الموجود ويذر الشر المفقود، والله أعلم .." (١)

"ص -٧- شيئا إلا له ومن أشرك غيره في هذا وهذا لم يجعل له حقيقة الحب فهو مشرك؛ وإشراكه يوجب نقص الحقيقة . كقوله تعالى : ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾ الآية [البقرة : ١٦٥] . والحب يوجب الذل والطاعة والإسلام : أن يستسلم لله لا لغيره فمن استسلم له ولغيره فهو مشرك ومن لم يستسلم له فهو متكبر وكلاهما ضد الإسلام . والقلب لا يصلح إلا بعبادة الله وحده وتحقيق هذا تحقيق الدعوة النبوية . ومن المحبة الدعوة إلى الله؛ وهي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم بما أمروا به فالدعوة إليه من الدعوة إلى الله تعالى وما أبغضه الله ورسوله فمن الدعوة إلى الله النهي عنه ومن الدعوة إلى الله أن يفعل العبد ما أحبه الله ورسوله ويترك ما أبغضه الله ورسوله من الأقوال والأعمال **الباطنة** **والظاهرة** بما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من أسماء الله وصفاته ومن سائر المخلوقات كالعرش والكرسي؛ والملائكة والأنبياء وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .." (٢)

"ص -٢٠٥- وإن كان منافقا . فهنا الهجر هو بمنزلة التعزير .

والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات، وفعل المحرمات، كتارك الصلاة والزكاة والتظاهر بالمظالم

---

(١) مجموع الفتاوى /٣

(٢) مجموع الفتاوى /٤

والفواحش، والداعي إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة التي ظهر أنها بدع .
وهذا حقيقة قول من قال من السلف والأئمة : إن الدعاة إلى البدع لا تقبل شهادتهم، ولا يصلي خلفهم، ولا يؤخذ عنهم العلم، ولا يناكحون . فهذه عقوبة لهم حتى ينتهوا؛ ولهذا يفرقون بين الداعية وغير الداعية؛ لأن الداعية أظهر المنكرات، فاستحق العقوبة، بخلاف الكاتم، فإنه ليس شرا من المنافقين الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله، مع علمه بحال كثير منهم؛ ولهذا جاء في الحديث : " إن المعصية إذا خفيت، لم تضر إلا صاحبها، ولكن إذا أعلنت فلم تنكر، ضرت العامة " .
وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه " .
فالمنكرات **الظاهرة** يجب إنكارها، بخلاف **الباطنة** فإن عقوبتها على صاحبها خاصة .." (١)
"ص -٢٤٩- إليه المردان، فنهى عمر رضي الله عنه عن مجالسته . ولقي عمر بن الخطاب شابا فقطع شعره؛ لميل بعض النساء إليه؛ مع ما في ذلك من إخراجه من وطنه، والتفريق بينه وبين أهله .
ومن أقر صبيا يتولاه مثل ابنه، وأخيه، أو مملوكه، أو يتيم عند من يعاشره على هذا الوجه فهو ديوث ملعون، و " لا يدخل الجنة ديوث " ، فإن الفاحشة **الباطنة** ما يقوم عليها بينة في العادة؛ وإنما تقوم على **الظاهرة**، وهذه العشرة القبيحة من **الظاهرة**، وقد قال الله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ [الأنعام : ١٥١] ، وقال تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ [الأعراف : ٣٣] ، فلو ذكرنا ما حصل في مثل هذا من الضرر والمفاسد، وما ذكروه العلماء، لطال . سواء كان الرجل تقيا أو فاجرا؛ فإن التقي يعالج مرارة في مجاهدة هواه وخلاف نفسه، وكثيرا ما يغلبه شيطانه ونفسه بمنزلة من يحمل حمل لا يطيقه فيعذبه أو يقتله، والفاجر يكمل فجوره بذلك . والله أعلم .
وسئل رحمه الله عن رجلين تراهنا في عمل زجلين، وكل منهما له عصبية، وعلى من تعصب لهما، وفي ذكرهما التغزل في المردان وغير ذلك، وما أشبههما أفتونا مأجورين .." (٢)
"ص -١٩٤- وكذلك قوله : ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ [هود : ١١٤] ، فهذا دفع المؤذي ثم قال : ﴿ذلك ذكرى للذاكرين ﴾ [هود : ١١٤] ، فهذا مصلحة وفضائل الأعمال وثوابها وفوائدها ومنافعها كثير في الكتاب والسنة من هذا النمط كقوله في الجهاد

---

(١) مجموع الفتاوى /٤
(٢) مجموع الفتاوى /٤

: ﴿يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ [الصف : ١٢] ، إلى قوله : ﴿وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب﴾ [الصف : ١٣] ، فبين ما فيه من دفع مفسدة الذنوب ومن حصول مصلحة الرحمة بالجنة فهذا في الآخرة وفي الدنيا النصر والفتح وهما أيضا دفع المضرة وحصول المنفعة ونظائره كثيرة . وأما من السيئات فكقوله : ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة﴾ [المائدة : ٩١] ، فبين فيه العلتين :

إحداهما : حصول مفسدة العداوة **الظاهرة** والبغضاء **الباطنة** والثانية : المنع من المصلحة التي هي رأس السعادة وهي ذكر الله والصلاة فيصد عن المأمور به إيجابا أو استحبابا .

وبهذا المعنى عللوا أيضا كراهة أنواع الميسر من الشطرنج ونحوه." (١)

"ص -١٠٥- في القول : على أنه إذا سكر هذي، وإذا هذي افتري، وحد المفتري ثمانون، فبين أن إقدامه على السكر الذي هو مظنة الافتراء يلحقه بالمقدم على الافتراء؛ إقامة لمظنة الحكمة مقام الحقيقة؛ لأن الحكمة هنا خفية مستترة؛ لأنه قد لا يعلم افتراؤه، ولا متى يفتري، ولا على من يفتري، كما أن المضطجع يحدث ولا يدري هل هو أحدث أم لا، فقام النوم مقام الحدث . فهذا فقه معروف، فلو كانت تصرفاته من هذا الجنس، لكان ينبغي أن تطلق امرأته سواء طلق أو لم يطلق، كما يحد حد المفتري سواء افتري أو لم يفتر، وهذا لا يقوله أحد .

المأخذ الثاني : أنه لا يعلم زوال عقله إلا بقوله، وهو فاسق بشربه، فلا يقبل قوله في عدم العقل والسكر . وحقيقة هذا القول أنه لا يقع الطلاق في **الباطن**، ولكن في **الظاهر** لا يقبل دعوي المسقط . ومن قال بهذا قد يفرق بين ما ينفرد به .

المأخذ الثالث : وهو مأخذ الأئمة منصوصا عنهم الشافعي، وأحمد أن حكم التكليف جار عليه، و ليس كالمجنون المرفوع عنه القلم، ولا النائم، وذلك أن القلم مرفوع عن المجنون، والسكران معاقب، كما ذكره الصحابة . وليس مأخذ أجود من هذا . وكذلك قال أحمد : ما قيل فيه أحسن من هذا . وهذا ضعيف أيضا فإنه إن أريد أنه وقت السكر يؤمر وينهي، فهذا باطل؛ فإن من." (٢)

"ص -١٣١- الله به القائمين بحجة الله وبيناته، الذين يحيون بكتاب الله الموتي، ويبصرون بنوره أهل العمي، فإن الأرض لن تخلو من قائم لله بحجة؛ لكيلا تبطل حجج الله وبيناته .

---

(١) مجموع الفتاوى /٥

(٢) مجموع الفتاوى /٥

وكان مقتضي تقدم هذه [المقدمة] أني رأيت الناس في شهر صومهم، وفي غيره أيضا منهم من يصغي إلى ما يقوله بعض جهال أهل الحساب : من أن الهلال يري، أو لا يري، ويبني على ذلك إما في باطنه، وإما في باطنه وظاهره، حتى بلغني أن من القضاة من كان يرد شهادة العدد من العدول لقول الحاسب الجاهل الكاذب : إنه يري، أو لا يري، فيكون ممن كذب بالحق لما جاءه، وربما أجاز شهادة غير المرضي لقوله، فيكون هذا الحاكم من السماعين للكذب، فإن الآية تتناول حكام السوء، كما يدل عليه السياق حيث يقول : ﴿ سماعون للكذب أكالون للسحت ﴾ [المائدة : ٤٢] ، وحكام السوء يقبلون الكذب ممن لا يجوز قبول قوله من مخبر أو شاهد، ويأكلون السحت من الرشا وغيرها، وما أكثر ما يقترن هذان .

وفيهم من لا يقبل قول المنجم لا في الباطن ولا في الظاهر، لكن في قلبه حسيكة من ذلك، وشبهة قوية لثقته به من جهة أن الشريعة لم تلتفت إلى ذلك، لا سيما أن كان قد عرف شيئا من حساب النيرين." (١)

"ص -٢٥٠- بين " ، ووجه هذا الحديث أن الدين فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه .

فحديث الحلال بين فيه بيان ما نهى عنه . والذي أمر الله به نوعان : أحدهما : العمل الظاهر، وهو ما كان واجبا أو مستحبا، والثاني : العمل الباطن، وهو إخلاص الدين لله . فقوله : " من عمل عملا " إلخ ينفي التقرب إلى الله بغير ما أمر الله به؛ أمر إيجاب أو أمر استحباب .

وقوله : " إنما الأعمال بالنيات " إلخ يبين العمل الباطن، وأن التقرب إلى الله إنما يكون بالإخلاص في الدين لله؛ كما قال الفضيل في قوله تعالى : ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ [الملك : ٢] ، قال : أخلصه وأصوبه، قال : فإن العمل إذا كان خالصا، ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا، ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا . والخالص : أن يكون لله، والصواب : أن يكون على السنة، وعلى هذا دل قوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف : ١١٠] ، فالعمل الصالح هو ما أمر الله به ورسوله؛ أمر إيجاب أو أمر استحباب، وألا يشرك العبد بعبادة ربه أحدا، وهو إخلاص الدين لله .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ بلي من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ﴾ الآية [البقرة : ١١٢]

---

(١) مجموع الفتاوى /٧

وقوله : ﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ [النساء : ١٢٥] ،." (١)

"ص -٢١٦- عن أول هذا العالم المشهود .

الوجه الثالث : أنه قال : "كان الله ولم يكن شيء قبله " ، وقد روي : " معه " ، وروي : " غيره " ، والألفاظ الثلاثة في البخاري، والمجلس كان واحدا، وسؤالهم وجوابه كان في ذلك المجلس، وعمران الذي روي الحديث لم يقم منه حين انقضي المجلس، بل قام لما أخبر بذهاب راحلته قبل فراغ المجلس، وهو المخبر بلفظ الرسول، فدل على أنه إنما قال أحد الألفاظ، والآخران رويا بالمعني . وحينئذ فالذي ثبت عنه لفظ " القبل " ، فإنه قد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه : " أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت **الظاهر** فليس فوقك شيء، وأنت **الباطن** فليس دونك شيء " ، وهذا موافق ومفسر لقوله تعالى : ﴿ هو الأول والآخر **والظاهر** **والباطن** ﴾ [الحديد : ٣] .

وإذا ثبت في هذا الحديث لفظ القبل فقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قاله، واللفظان الآخران لم يثبت واحد منهما أبدا، وكان أكثر أهل الحديث إنما يروونه بلفظ القبل : "كان الله ولا شيء قبله " ، مثل الحميدي، والبغوي، وابن الأثير، وغيرهم . وإذا كان إنما قال : "كان الله ولم يكن شيء قبله " لم يكن في هذا اللفظ تعرض لابتداء الحوادث، ولا لأول مخلوق .." (٢)

"ص -٣٨٨- وسئل رحمه الله عن رجل له حصة مع شاهد، ثم باع الشريك حصته لشاهد آخر بزيادة كثيرة على ثمن المثل في **الظاهر**، وتواطآ بينهما في **الباطن** على ثمن المثل، دفعا للشفعة . فهل تسقط الشفعة ؟ أم لا ؟

فأجاب :

لا يحل الكذب والاحتيال على إسقاط حق المسلم، ويجب على المشتري أن يسلم الشقص المشفوع بالثمن الذي تراضيا عليه في **الباطن**، إذا طلب الشريك ذلك، وأن منعه ذلك قدح في دينه . وعلى الحاكم أن يحكم بالشفعة إذا تبين حقيقة الأمر .." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى /٨

(٢) مجموع الفتاوى /٨

(٣) مجموع الفتاوى /٩

"ص -١٩- فقال الأكثرون : يقضيه، وقال بعضهم : لا يقضيه، ولا يصح فعله بعد وقته كالحج . وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عن الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها : " فصلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم نافلة " .

ودل الكتاب والسنة، واتفاق السلف على الفرق بين من يضيع الصلاة فيصليها بعد الوقت، والفرق بين من يتركها . ولو كانت بعد الوقت لا تصح بحال، لكان الجميع سواء، لكن المضيع لوقتها كان ملتزما لوجوبها، وإنما ضيع بعض حقوقها وهو الوقت، وأتي بالفعل . فأما من لم يعلم وجوبها عليه جهلا وضلالا، أو علم الإيجاب ولم يلتزمه، فهذا إن كان كافرا، فهو مرتد، وفي وجوب القضاء عليه الخلاف المتقدم لكن هذا شبيه بكفر النفاق .

فالكلام في هذا متصل بالكلام فيمن أقام الصلاة وآتي الزكاة نفاقا أو رياء، فإن هذا يجزئه في **الظاهر**، ولا يقبل منه في **الباطن**، قال الله تعالي : ﴿ ذلك بأن۰م كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾ [محمد : ٩] ، وقال : ﴿ وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون ﴾ [التوبة : ٥٤] ، وقال تعالي : ﴿ فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراؤون . ويمنعون الماعون ﴾ [الماعون : ٤ ٧] ، وقال تعالى :." (١)

"ص -٣٧١- أن تجعل هذا كهذا، فينفقونه ويعاملون به الناس، وهذا من أعظم الغش . وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه مر برجل يبيع طعاما، فأدخل يده فيه، فوجده مبلولا . فقال : " ما هذا يا صاحب الطعام ؟ " فقال : يا رسول الله، أصابته السماء يعني المطر فقال : " هلا وضعت هذا على وجهه، من غشنا فليس منا " ، وقوله : " من غشنا فليس منا "كلمة جامعة في كل غاش .

وأهل الكيمياء من أعظم الناس غشا؛ ولهذا لا يظهرون للناس إذا عاملوهم أن هذا من الكيمياء، ولو أظهروا للناس ذلك لم يشتروه منهم إلا من يريد غشهم . وقد قال الأئمة : إنه لا يجوز بيع المغشوش الذي لا يعلم مقدار غشه، وإن بين للمشتري أنه مغشوش . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه نهى عن أن يشاب اللبن بالماء للبيع، وأرخص في ذلك للشرب . وبيع المغشوش لمن لا يتبين له أنه مغشوش حرام بالإجماع، والكيمياء لا يعلم مقدار الغش فيها، فلا يجوز عملها ولا بيعها بحال .

مع أن الناس إذا علموا أن الذهب والفضة من الكيمياء لم يشتروه . ولو قيل لهم : إنه يثبت على الروباص،

---

(١) مجموع الفتاوى /١٦

أو غير ذلك، بل القلوب مفطورة على إنكار ذلك، والولاة ينكرون على من يجدونه يعمل ذلك، ولو كان أحدهم ممن يعمل ذلك في **الباطن** فيحتاج أن ينكره في **الظاهر؛**." (١)

"ص -٣٧٠- علم الله بالأشياء قبل كونها، وكتابته إياها، وإخباره بها، وذلك غير وجود أعيانها؛ لأنها لا توجد أعيانها حتى تخلق، ومن لم يفرق بين ثبوت الشيء في العلم والكلام والكتاب، وبين حقيقته في الخارج، وكذلك بين الوجود العلمي والعيني عظم جهله وضلاله .

وأهل العلم قد أعظموا النكبة على من يقول : المعدوم شيء ثابت في الخارج، وإن كان لهؤلاء شبهة عقلية لكونهم ظنوا أن تميزه في العلم والإرادة يقتضي تمييزه في الخارج، فإنهم أخطؤوا في ذلك، والتحقيق الفرق بين الثبوت العلمي والعيني، وأما وجود الأشياء قبل خلقها فهذا أعظم في الجهل والضلال .

وأما دعواه أن الأولياء كلهم حتى الأنبياء يستفيدون من خاتم الأولياء فهذا مخالف للعقل والشرع؛ فإن الأنبياء أفضل من الأولياء، وخيار الأولياء أتبعهم للأنبياء، كما كان أبو بكر أفضل من طلعت عليه الشمس بعد النبيين والمرسلين .

وكذلك دعواه أن خاتم ال أولياء يأخذ العلم **الظاهر** من حيث يأخذه النبي، ويأخذ العلم **الباطن** من المعدن الذي يأخذ منه الملك ما يوحيه إلى النبي؛ فهذا من أعظم الكفر والضلال، وهو مبني على قول المتفلسفة الذين يجعلون النبوة فيضا يفيض على عقل النبي، ويقولون : إن الملك." (٢)

"ص -٢٠٢- من المشركين، عباد الكواكب أهل السحر، والذين وافقوا أعداء موسى، من فرعون وقومه بالسحر . أو ادعي أنه ليس ثم صانع غير الصنعة، ولا خالق غير المخلوق، ولا فوق السموات إله، كما يقوله الاتحادية، وغيرهم من الجهمية . والذين وافقوا الصابئة والفلاسفة فيما كانوا يقولونه في الخالق، ورسله : في أسمائه وصفاته ، والمعاد، وغير ذلك .

ولا ريب أن هذه الطوائف، وإن كان كفرها ظاهرا، فإن كثيرا من الداخلين في الإسلام، حتى من المشهورين بالعلم، والعبادة، والإمارة، قد دخل في كثير من كفرهم، وعظمهم، ويري تحكيم ما قرروه من القواعد ونحو ذلك . وهؤلاء كثروا في المستأخرين، ولبسوا الحق الذي جاءت به الرسل بالباطل الذي كان عليه أعداؤهم .

والله تعإلى يحب تمييز الخبيث من الطيب، والحق من الباطل، فيعرف أن هؤلاء الأصناف منافقون، أو

---

(١) مجموع الفتاوى /١٦

(٢) مجموع الفتاوى /١٧

فيهم نفاق ، وإن كانوا مع المسلمين، فإن كون الرجل مسلما في الظاهر لا يمنع أن يكون منافقا في الباطن، فإن المنافقين كلهم مسلمون في الظاهر، والقرآن قد بين صفاتهم وأحكامهم . وإذا كانوا موجودين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي عزة الإسلام، مع ظهور أعلام النبوة، ونور الرسالة، فهم مع بعدهم عنهما أشد وجودا، لاسيما وسبب النفاق هو سبب الكفر، وهو المعارض لما جاءت به الرسل .." (١)

"ص -٢٣- فصل

فالأحوال المانعة من وجوب القضاء للواجب والترك للمحرم : الكفر الظاهر، والكفر الباطن، والكفر الأصلي، وكفر الردة، والجهل الذي يعذر به لعدم بلوغ الخطاب، أو لمعارضة تأويل باجتهاد أو تقليد .

وسئل عن قوم منتسبين إلي المشائخ يتوبونهم عن قطع الطريق، وقتل النفس، والسرقة، وألزموهم بالصلاة لكونهم يصلون صلاة عادة البادية، فهل تجب إقامة حدود الصلاة أم لا ؟

فأجاب :

أما الصلاة فقد قال الله تعالي : ﴿ فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون ﴾ [الماعون : ٤ ٧] ، وقال تعالي : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴾ [مريم : ٥٩] ،." (٢)

"ص -٢٨٦- وقال : ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ﴾ [المنافقون : ٦]

وأما من كان مظهرا للفسق مع ما فيه من الإيمان كأهل الكبائر، فهؤلاء لابد أن يصلي عليهم بعض المسلمين . ومن امتنع من الصلاة على أحدهم زجرا لأمثاله عن مثل ما فعله كما امتنع النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على قاتل نفسه، وعلى الغال، وعلى المدين الذي لا وفاء له . وكما كان كثير من السلف يمتنعون من الصلاة على أهل البدع كان عمله بهذه السنة حسنا . وقد قال لجندب بن عبد الله البجلي ابنه : إني لم أنم البارحة بشما، فقال : أما إنك لو مت لم أصل عليك . كأنه يقول : قتلت نفسك بكثرة الأكل . وهذا من جنس هجر المظهرين للكبائر حتى يتوبوا، فإذا كان في ذلك مثل هذه المصلحة الراجحة، كان ذلك حسنا، ومن صلي على أحدهم يرجو له رحمة الله ولم يكن في امتناعه مصلحة راجحة كان ذلك

(١) مجموع الفتاوى /١٧

(٢) مجموع الفتاوى /٢٠

حسنا . ولو امتنع في الظاهر ودعا له في الباطن ليجمع بين المصلحتين، كان تحصيل المصلحتين أولى من تفويت إحداهما .

وكل من لم يعلم منه النفاق وهو مسلم يجوز الاستغفار له، والصلاة عليه، بل يشرع ذلك، ويؤمر به، كما قال تعالي : ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ [محمد : ١٩] . وكل من أظهر الكبائر، فإنه تسوغ عقوبته بالهجر." (١)

"ص -٤٩١- الأعاجم، من الروم، واليونانيين، وغيرهم . وفى زمنه ظهرت [الخرمية] وهم زنادقة منافقون يظهرون الإسلام، وتفرعوا بعد ذلك إلى القرامطة، والباطنية، والإسماعيلية . وأكثر هؤلاء ينتحلون الرفض فى الظاهر . وصارت الرافضة الإمامية فى زمن بنى بويه بعد المائة الثالثة فيهم عامة هذه الأهواء المضلة، فيهم الخروج، والرفض، والقدر، والتجهم .

وإذا تأمل العالم ما ناقضوه من نصوص الكتاب والسنة لم يجد أحدا يحصيه إلا الله . فهذا كله يبين أن فيهم ما فى الخوارج الحرورية وزيادات .

وأيضا، فإن الخوارج الحرورية كانوا ينتحلون اتباع القرآن بآرائهم، ويدعون اتباع السنن التى يزعمون أنها تخالف القرآن . والرافضة تنتحل اتباع أهل البيت، وتزعم أن فيهم المعصوم الذى لا يخفى عليه شيء من العلم، ولا يخطئ، لا عمدا، ولا سهوا، ولا رشدا . واتباع القرآن واجب على الأمة، بل هو أصل الإيمان وهدى الله الذى بعث به رسوله، وكذلك أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، تجب محبتهم، وموالاتهم، ورعاية حقهم . وهذان الثقلان اللذان وصى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم . فروى مسلم فى صحيحه، عن زيد بن أرقم قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغدير يدعى خما بين مكة والمدينة، فقال : " يا أيها الناس، إنى تارك فيكم الثقلين وفى رواية : أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله فيه الهدى." (٢)

"ص -٤١- الشخص : فهل للعاقد أن يعقد بمجرد قول الولي ؟ أم قولها ؟ وكيفية الحكم في هذه المسألة بين العلماء ؟

فأجاب :

الحمد لله، الإشهاد على إذنها ليس شرطا في صحة العقد عند جماهير العلماء، وإنما فيه خلاف شاذ في

---

(١) مجموع الفتاوى /٢٣

(٢) مجموع الفتاوى /٢٥

مذهب الشافعي وأحمد، فإن ذلك شرط . والمشهور في المذهبين كقول الجمهور أن ذلك لا يشترط . فلو قال الولي : أذنت لي في العقد، فعقد العقد، وشهد الشهود على العقد، ثم صدقته الزوجة على الإذن كان النكاح ثابتا صحيحا باطنا وظاهرا، وإن أنكرت الإذن كان القول قولها مع يمينها، ولم يثبت النكاح . وداعوه الإذن عليها كما لو ادعي النكاح بعد موت الشهود ونحو ذلك . والذي ينبغي لشهود النكاح أن يشهدوا على إذن الزوجة قبل العقد، لوجوه ثلاثة :

أحدها : أن ذلك عقد متفق على صحته، ومهما أمكن أن يكون العقد متفقا على صحته، فلا ينبغي أن يعدل عنه إلى ما فيه خلاف، وإن كان مرجوحا، إلا لمعارض راجح .

الوجه الثاني : أن ذلك معونة على تحصيل مقصود العقد، وأمان من جحوده، لاسيما في مثل المكان والزمان الذي يكثر فيه جحد النساء وكذبهن، فإن ترك الإشهاد عليها كثيرا ما يفضي إلى خلاف ذلك . ثم إنه يفضي إلى أن تكون زوجة في الباطن، دون الظاهر . وفي ذلك مفاسد متعددة .." (١)

"ص -٢٧٢- الإيمان والإسلام والإحسان فرق بينهما، فقال : " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله " ، إلى آخره . وفي المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم : " الإسلام علانية، والإيمان في القلب " ، فلما ذكرهما جميعا ذكر أن الإيمان في القلب، والإسلام ما يظهر من الأعمال .

وإذا أفرد الإيمان أدخل فيه الأعمال الظاهرة؛ لأنها لوازم ما في القلب؛ لأنه متى ثبت الإيمان في القلب، والتصديق بما أخبر به الرسول وجب حصول مقتضي ذلك ضرورة؛ فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، فإذا ثبت التصديق في القلب لم يتخلف العمل بمقتضاه البتة، فلا تستقر معرفة تامة ومحبة صحيحة ولا يكون لها أثر في الظاهر .

ولهذا ينفي الله الإيمان عمن انتفت عنه لوازمه؛ فإن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم، كقوله تعالى : ﴿ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ﴾ [المائدة : ٨١] ، وقوله : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ الآية [المجادلة : ٢٢] ، ونحوها فالظاهر والباطن متلازمان لا يكون الظاهر مستقيما إلا مع استقامة الباطن، وإذا استقام الباطن فلابد أن يستقيم الظاهر؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب " ،." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى /٢٩

(٢) مجموع الفتاوى /٣٠

"ص -٢٣٤- وقوم من الخائضين في أصول الفقه وتعليل الأحكام الشرعية بالأوصاف المناسبة إذا تكلموا في المناسبة، وأن ترتيب الشارع للأحكام على الأوصاف المناسبة يتضمن تحصيل مصالح العباد ودفع مضارهم، ورأوا أن المصلحة نوعان أخروية، ودنيوية، جعلوا الأخروية ما في سياسة النفس وتهذيب الأخلاق من الحكم، وجعلوا الدنيوية ما تضمن حفظ الدماء والأموال والفروج والعقول والدين **الظاهر**، وأعرضوا عما في العبادات **الباطنة** **والظاهرة** من أنواع المعارف بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، وأحوال القلوب وأعمالها، كمحبة الله، وخشيته، وإخلاص الدين له، والتوكل عليه، والرجا لرحمته، ودعائه، وغير ذلك من أنواع المصالح في الدنيا والآخرة . وكذلك فيما شرعه الشارع من الوفاء بالعهود وصلة الأرحام، وحقوق المماليك والجيران، وحقوق المسلمين بعضهم على بعض، وغير ذلك من أنواع ما أمر به ونهى عنه، حفظا للأحوال السنية، وتهذيب الأخلاق . ويتبين أن هذا جزء من أجزاء ما جاءت به الشريعة من المصالح .

فهكذا من جعل تحريم الخمر والميسر لمجرد أكل المال بالباطل، والنفع الذي كان فيهما بمجرد أخذ المال، يشبه هذا . . إن هذه المغالبات تصد عن ذكر الله وعن الصلاة من جهة كونها عملا، لا من جهة أخذ المال، فإنها لا تصد عن ذكر الله وعن الصلاة إلا كما يصد سائر أنواع أخذ المال، ومعلوم أن الأموال التي يكتسب بها المال لا ينهى عنها مطلقا؛ لكونها تصد عن ذكر الله وعن." (١)

"ص -٢٧٦- فللناس هنا قولان : منهم من يقول : الخاص دخل في العام وخص بالذكر، فقد ذكر مرتين . ومنهم من يقول : تخصيصه بالذكر يقتضي أنه لم يدخل في العام، وقد يعطف الخاص على العام، كما في قوله : ﴿ وملآئكته ورسله وجبريل ﴾ [البقرة : ٩٨] ، وقوله : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ﴾ الآية [الأحزاب : ٧] ، وقد يعطف العام على الخاص، كما في قوله تعالى : ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها ﴾ [الأحزاب : ٢٧] .

وأصل الشبهة في الإيمان أن القائلين : أنه لا يتبعض قالوا : إن الحقيقة المركبة من أمور متى ذهب بعض أجزائها انتفت تلك الحقيقة، كالعشرة المركبة من آحاد، فلو قلنا : إنه يتبعض لزم زوال بعض الحقيقة مع بقاء بعضها، فيقال لهم : إذا زال بعض أجزاء المركب تزول الهيئة الاجتماعية الحاصلة بالتركيب، لكن لا يلزم أن يزول سائر الأجزاء، والإيمان المؤلف من الأقوال الواجبة، والأعمال الواجبة **الباطنة** **والظاهرة** هو المجموع الواجب الكامل، وهذه الهيئة الاجتماعية . تزول بزوال بعض الأجزاء، وهذه هي المنفية في الكتاب

(١) مجموع الفتاوى /٣٠

والسنة في مثل قوله : " لا يزني الزاني " إلخ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ الآيات [الحجرات : ١٥] ، ولكن لا يلزم أن تزول سائر الأجزاء، ولا أن سائر الأجزاء الباقية لا تكون من الإيمان بعد زوال بعضه . كما أن واجبات الحج من الحج الواجب الكامل، وإذا زالت زال." (١)

"ص -١٠٩- وقال شيخ الإسلام رحمه الله :

فصل

في [اللباس في الصلاة] ، وهو أخذ الزينة عند كل مسجد، الذي يسميه الفقهاء : [باب ستر العورة في الصلاة] . فإن طائفة من الفقهاء ظنوا أن الذي يستر في الصلاة هو الذي يستر عن أعين الناظرين وهو العورة، وأخذ ما يستر في الصلاة من قوله : ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ [النور : ٣١] ثم قال : ﴿ ولا يبدين زينتهن ﴾ يعني **الباطنة** ﴿ إلا لبعولتهن ﴾ الآية [النور : ٣١] .

فقال : يجوز لها في الصلاة أن تبدي الزينة **الظاهرة**، دون **الباطنة** . والسلف قد تنازعوا في الزينة **الظاهرة** على قولين؛ فقال ابن مسعود ومن وافقه : هي الثياب . وقال ابن عباس ومن وافقه : هي في الوجه واليدين، مثل الكحل والخاتم . وعلى هذين القولين تنازع الفقهاء في النظر إلى المرأة الأجنبية . فقيل : يجوز النظر لغير شهوة إلى وجهها ويديها، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي،وقول في مذهب أحمد .." (٢)

"ص -٣٧٣- قال : " لا، أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك " . وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل له : إن أهل الصدقة يعتدون علينا، أفنكتم من أموالنا بقدر ما يعتدون علينا ؟ قال : " لا " . رواه أبو داود وغيره .

فهذه الأحاديث تبين أن حق المظلوم في نفس الأمر إذا كان سببه ليس ظاهرا، أخذه خيانة، لم يكن له ذلك، وإن كان هو يقصد أخذ نظير حقه، لكنه خان الذي ائتمنه، فإنه لما سلم اليه ماله فأخذ بعضه بغير إذنه، والاستحقاق ليس ظاهرا كان خائنا . وإذا قال : أنا مستحق لما أخذته في نفس الأمر، لم يكن ما ادعاه ظاهرا معلوما . وصار كما لو تزوج امرأة فأنكرت نكاحه، ولا بينة له، فإذا قهرها على الوطء من غير حجة ظاهرة، فإنه ليس له ذلك . ولو قدر أن الحاكم حكم على رجل بطلاق امرأته ببينة اعتقد صدقها،

---

(١) مجموع الفتاوى /٣٤

(٢) مجموع الفتاوى /٣٧

وكانت كاذبة في **الباطن**، لم يكن له أن يطأها لما هو الأمر عليه في **الباطن** .

فإن قيل : لا ريب أن هذا يمنع منه ظاهرا، وليس له أن يظهر ذلك قدام الناس؛ لأنهم مأمورون بإنكار ذلك؛ لأنه حرام في **الظاهر**، لكن الشأن إذا كان يعلم سرا فيما بينه وبين الله ؟

قيل : فعل ذلك سرا يقتضي مفاسد كثيرة منهي عنها، فإن فعل." (١)

"ص -١١١- عينها،ومن جنسه النقاب : فكن النساء ينتقبن . وفي الصحيح : أن المحرمة لا تنتقب، ولا تلبس القفازين، فإذا كن مأمورات بالجلباب لئلا يعرفن، وهو ستر الوجه، أو ستر الوجه بالنقاب، كان الوجه واليدان من الزينة التي أمرت ألا تظهرها للأجانب، فما بقي يحل للأجانب النظر إلا إلى الثياب **الظاهرة**، فابن مسعود ذكر آخر الأمرين وابن عباس ذكر أول الأمرين .

وعلى هذا فقوله : ﴿ أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن ﴾ [النور : ٣١] ، يدل على أن لها أن تبدي الزينة **الباطنة** لمملوكها . وفيه قولان : قيل المراد الإماء، والإماء الكتابيات، كما قاله ابن المسيب، ورجحه أحمد وغيره . وقيل : هو المملوك الرجل، كما قاله ابن عباس وغيره، وهو الرواية الأخري عن أحمد .

فهذا يقتضي جواز نظر العبد إلى مولاته، وقد جاءت بذلك أحاديث، وهذا لأجل الحاجة؛ لأنها محتاجة إلى مخاطبة عبدها، أكثر من حاجتها إلى رؤية الشاهد والمعامل والخاطب، فإذا جاز نظر أولئك، فنظر العبد أولي،وليس في هذا ما يوجب أن يكون محرما يسافر بها . كغير أولي الإربة؛ فإنهم يجوز لهم النظر، وليسوا محارم يسافرون بها، فليس كل من جاز له النظر جاز له السفر بها، ولا الخلوة بها، بل عبدها ينظر إليها للحاجة، وإن كان لا يخلو بها، ولا يسافر بها." (٢)

"ص -١١٢- فإنه لم يدخل في قوله الله تعالي : " لا تسافر امرأة إلا مع زوج، أو ذي محرم " . فإنه يجوز له أن يتزوجها إذا عتق، كما يجوز لزوج أختها أن يتزوجها إذا طلق أختها، والمحرم من تحرم عليه على التأبيد؛ ولهذا قال ابن عمر : سفر المرأة مع عبدها ضيعة .

فالآية رخصت في إبداء الزينة لذوي المحارم وغيرهم، وحديث السفر ليس فيه إلا ذوي المحارم، وذكر في الآية نساءهن، أو ما ملكت أيمانهن، وغير أولي الإربة، وهي لا تسافر معهم . وقوله : ﴿ أو نسائهن ﴾ قال : احتراز عن النساء المشركات . فلا تكون المشركة قابلة للمسلمة، ولا تدخل معهن الحمام، لكن قد كن النسوة اليهوديات يدخلن على عائشة وغيرها، فيرين وجهها ويديها، بخلاف الرجال، فيكون هذا في

---

(١) مجموع الفتاوى /٣٨

(٢) مجموع الفتاوى /٣٩

الزينة الظاهرة في حق النساء الذميات، وليس للذميات أن يطلعن على الزينة الباطنة، ويكون الظهور والبطون بحسب ما يجوز لها إظهاره؛ ولهذا كان أقاربها تبدي لهن الباطنة، وللزوج خاصة ليست للأقارب .

وقوله : ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ [النور : ٣١] ، دليل على أنها تغطي العنق، فيكون من الباطن لا الظاهر، ما فيه من القلادة وغيرها .." (١)

"ص -٤٣- لأضيف إلى كل عالم ما اعتقدنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله؛لكونه ملتزما لرسالته، فلما لم يضف اليه ما نفاه عن الرسول، وإن كان لازما له، ظهر الفرق بين اللازم الذي لم ينفه واللازم الذي نفاه . ولا يلزم من كونه نص على الحكم نفيه للزوم ما يلزمه؛ لأنه قد يكون عن اجتهادين في وقتين .

وسبب الفرق بين أهل العلم وأهل الأهواء مع وجود الاختلاف في قول كل منهما : أن العالم قد فعل ما أمر به من حسن القصد والاجتهاد، وهو مأمور في الظاهر باعتقاد ما قام عنده دليله، وإن لم يكن مطابقا، لكن اعتقادا ليس بيقيني، كما يؤمر الحاكم بتصديق الشاهدين ذوي العدل، وإن كانا في الباطن قد أخطأ أو كذبا، وكما يؤمر المفتي بتصديق المخبر العدل الضابط، أو باتباع الظاهر، فيعتقد ما دل عليه ذلك، وإن لم يكن ذلك الاعتقاد مطابقا . فالاعتقاد المطلوب هو الذي يغلب على الظن مما يؤمر به العباد، وإن كان قد يكون غير مطابق، وإن لم يكونوا مأمورين في الباطن باعتقاد غير مطابق قط .

فإذا اعتقد العالم اعتقادين متناقضين في قضية أو قضيتين، مع قصده للحق، واتباعه لما أمر باتباعه من الكتاب والحكمة . عذر بما لم يعلمه وهو الخطأ المرفوع عنا، بخلاف أصحاب الأهواء؛ فإنهم ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ﴾ [النجم : ٢٣] ، ويجزمون بما يقولونه بالظن والهوى." (٢)

"ص -١١٤- كان وحده بالليل، ولا يصلي عريانا ولو كان وحده، فعلم أن أخذ الزينة في الصلاة لم يكن ليحتجب عن الناس، فهذا نوع ، وهذا نوع .

وحينئذ، فقد يستر المصلي في الصلاة ما يجوز إبداؤه في غير الصلاة، وقد يبدي في الصلاة ما يستره عن الرجال :

فالأول : مثل المنكبين . فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلي الرجل في الثوب الواحد، ليس على عاتقه منه شيء . فهذا لحق الصلاة . ويجوز له كشف منكبيه للرجال خارج الصلاة، وكذلك المرأة الحرة تختمر في الصلاة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار " وهي لا

---

(١) مجموع الفتاوى /٤٠

(٢) مجموع الفتاوى /٤١

تختمر عند زوجها، ولا عند ذوي محارمها، فقد جاز لها إبداء الزينة **الباطنة** لهؤلاء، ولا يجوز لها في الصلاة أن تكشف رأسها، لهؤلاء ولا لغيرهم .

وعكس ذلك : الوجه واليدان والقدمان، ليس لها أن تبدي ذلك للأجانب على أصح القولين بخلاف ما كان قبيل النسخ، بل لا تبدي إلا الثياب . وأما ستر ذلك في الصلاة، فلا يجب باتفاق المسلمين بل يجوز لها إبداؤهما في الصلاة عند جمهور العلماء، كأبي حنيفة والشافعي وغيرهما، وهو إحدي الروايتين عن أحمد . فكذلك القدم يجوز إبداؤه عند أبي حنيفة، وهو الأقوي . فإن عائشة جعلته من الزينة **الظاهرة** . قالت : ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ﴾ [النور : ٣١] ، قالت : [الفتخ] حلق." [١]

"ص -٤٥- ويوجبها مع الحيلة ، كما دلت عليه سورة [ن] وغيرها من الدلائل .

والأئمة الأربعة وسائر الأمة إلا من شذ متفقون على وجوبها في عرض التجارة، سواء كان التاجر مقيما أو مسافرا، وسواء كان متربصا وهو الذي يشتري التجارة وقت رخصها ويدخرها إلى وقت ارتفاع السعر أو مديرا كالتجار الذين في الحوانيت، سواء كانت التجارة بزا من جديد، أو لبيس، أو طعاما من قوت أو فاكهة، أو أدم أو غير ذلك، أو كانت آنية كالفخار ونحوه، أو حيوانا من رقيق أو خيل، أو بغال، أو حمير، أو غنم معلوفة، أو غير ذلك، فالتجارات هي أغلب أموال أهل الأمصار **الباطنة**، كما أن الحيوانات الماشية هي أغلب الأموال **الظاهرة** .

فصل

ولابد في الزكاة من الملك .

واختلفوا في اليد، فلهم في زكاة ما ليس في اليد كالدين ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها تجب في كل دين وكل عين، وإن لم تكن تحت يد." [٢]

"ص -٣٨٨- وقوله : ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا﴾ [النساء : ١١٢] ، وقوله : ﴿فمن خاف من موص جنفا أو إثما﴾ [البقرة : ١٨٢] ، فإن الجنف هو الميل عن الحق . وإن كان عامدا .

قال عامة المفسرين : [الجنف] : الخطأ و [الإثم] : العمد . قال أبو سليمان الدمشقي : الجنف : الخروج عن الحق . وقد يسمي المخطئ : العامد . إلا أن المفسرين علقوا [الجنف] على المخطئ، و

---

(١) مجموع الفتاوى /٤٢

(٢) مجموع الفتاوى /٤٢

[الإثم] علي العامد . ومثله قوله : ﴿ولا تطع منهم آثما أو كفورا﴾ [الإنسان : ٤٢] ، فإن [الكفور] هو الآثم أيضا . لكنه عطف خاص علي عام . وقد قيل : هما وصفان لموصوف واحد، وهو أبلغ . فإن عطف الصفة علي الصفة والموصوف واحد، كقوله : ﴿الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى﴾ [الأعلى : ٢، ٣] ، وقوله : ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ [الحديد : ٣] ، وقوله : ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون﴾ [المؤمنون : ١ – ٥] ، ونظائر هذا كثيرة .

قال ابن زيد : الآثم : المذنب الظالم والكفور، هذا كله واحد . قال ابن عطية : هو مخير في أنه يعرف الذي ينبغي ألا يطيعه بأي وصف كان من هذين؛ لأن كل واحد منهم فهو آثم، وهو كفور .." (١)

"ص –١٢٦– الوجه العشرون

أن الله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب في العلوم والأعمال بالكلم الطيب والعمل الصالح بالهدى ودين الحق وذلك بالأمور الموجودة في العقائد والأعمال فأمرهم في الاعتقادات بالاعتقادات المفصلة في أسماء الله وصفاته : وسائر ما يحتاج إليه من الوعد والوعيد وفي الأعمال بالعبادات المتنوعة من أصناف العبادات الباطنة والظاهرة . وأما في النفي فجاءت بالنفي المجمل والنهي عما يضر المأمور به فالكتب الإلهية وشرائع الرسل ممتلئة من الإثبات فيما يعلم ويعمل . وأما المعطلة من المتفلسفة ونحوهم : فيغلب عليهم النفي والنهي، فإنهم في عقائدهم الغالب عليهم السلب : ليس بكذا ليس بكذا ليس بكذا؛ وفي الأفعال الغالب عليهم الذم والترك : من الزهد الفاسد والورع الفاسد : لا يفعل لا يفعل لا يفعل من غير أن يأتوا بأعمال صالحة يعملها الرجل تنفعه وتمنع ما يضره من الأعمال الفاسدة، ولهذا ك‍ان غالب من سلك طرائقهم بطالا متعطلا معطلا في عقائده وأعماله .." (٢)

"ص –١٢٨– من جهة أن تصوره فرع على تصور المحبوب المراد المأمور به وأن قصد عدمه الذي هو بغضه وكراهته فرع على إرادة وجود المأمور به الذي هو حبه وإرادته وذلك لأن الإنسان إذا علم عدم شيء وأخبر عن عدمه مثل قولنا : أشهد أن لا إله إلا الله وقولنا : لا نبي بعد محمد وقولنا : ليس المسيح بإله ولا رب وقولنا : ذلك الكتاب لا ريب فيه إلى أمثال ذلك حتى ينتهي التمثيل إلى قول القائل : ليس الجبل ياقوتا ولا البحر زئبقا ونحو ذلك فإن هذه الجمل الخبرية النافية التي هي قضايا سلبية لولا تصور

(١) مجموع الفتاوى /٤٤

(٢) مجموع الفتاوى /٤٤

النفي والمنفي عنه لما أمكنه الإخبار بالنفي والحكم فلا بد أن يتصور النفي والمنفي عنه مثل تصور الجبل والياقوت . والمنفي هو عدم محض ونفس الإنسان التي هي الشاعرة العالمة المدركة بقواها وآلاتها لم تجد العدم ولم تفقهه ولم تصادفه ولم تحسه بشيء من حواسها **الباطنة** ولا **الظاهرة** ولا شعرت إلا بموجود لكن لما شعرت بموجود أخذ العقل والخيال يقدر في النفس أمورا تابعة لتلك الأمور الموجودة إما أمور مركبة وإما مشابهة لها فإنه أدرك الياقوت وأدرك الجبل ثم ركب في خياله جبل ياقوت وعرف جنس النبوة وعرف الزمان المتأخر عن مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ثم قدر نبيا في هذا الزمان المتأخر وعرف الإله والألوهية الثابتة لله رب." (١)

"ص -١٤٢- وإنما يقرب منهم [الفلاسفة المشاؤون أصحاب أرسطو] ، فإن بينهم وبين القرامطة مقاربة كبيرة .

ولهذا يوجد فضلاء القرامطة في **الباطن** متفلسفة؛ كسنان الذي كان بالشام، والطوسي الذي كان وزيرا لهم بالألموت، ثم صار منجما لهؤلاء وملك الكفار، وصنف [شرح الإشارات لابن سينا] وهو الذي أشار علي ملك الكفار بقتل الخليفة وصار عند الكفار الترك هو المقدم علي الذين يسمونهم [الداسميدية] ، فهؤلاء وأمثالهم يعلمون أن ما يظهره القرامطة من الدين والكرامات ونحو ذلك أنه باطل، لكن يكون أحدهم متفلسفا، ويدخل معهم لموافقتهم له علي ما هو فيه من الإقرار بالرسل والشرائع في **الظاهر**، وتأويل ذلك بأمور يعلم بالاضطرار أنها مخالفة لما جاءت به الرسل .

فإن [المتفلسفة] متأولون ما أخبرت به الرسل من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر بالنفي والتعطيل الذي يوافق مذهبهم، وأما الشرائع العملية فلا ينفونها كما ينفيها القرامطة، بل يوجبونها علي العامة، ويوجبون بعضها علي الخاصة، أو لا يوجبون ذلك . ويقولون : إن الرسل فيما أخبروا به وأمروا به لم يأتوا بحقائق الأمور، ولكن أتوا بأمر فيه صلاح العامة، وإن كان هو كذبا في الحقيقة .

ولهذا اختار كل مبطل أن يأتي بمخاريق لقصد صلاح العامة، كما فعل [ابن التومرت] الملقب بالمهدي، ومذهبه في الصفات مذهب الفلاسفة." (٢)

"ص -١٠٤- يرضى فإذا علم أنه غبن ورضي فلا بأس بذلك وإذا لم يرض بثمن المثل لم يلتفت إلى سخطه .

---

(١) مجموع الفتاوى /٤٦

(٢) مجموع الفتاوى /٤٦

ولهذا أثبت الشارع الخيار لمن لم يعلم بالعيب أو التدليس، فإن الأصل في البيع الصحة وأن يكون **الباطن** **كالظاهر** . فإذا اشترى على ذلك فما عرف رضاه إلا بذلك فإذا تبين أن في السلعة غشا أو عيبا فهو كما لو وصفها بصفة وتبينت بخلافها فقد يرضى وقد لا يرضى فإن رضي وإلا فسخ البيع . وفي الصحيحين عن حكيم بن حزام عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما " . وفي السنن " أن رجلا كانت له شجرة في أرض غيره، وكان صاحب الأرض يتضرر بدخول صاحب الشجرة فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأمره أن يقبل منه بدلها أو يتبرع له بها فلم يفعل فأذن لصاحب الأرض في قلعها وقال لصاحب الشجرة : إنما أنت مضار " .

فهنا أوجب عليه إذا لم يتبرع بها أن يبيعها، فدل على وجوب البيع عند حاجة المشتري وأين حاجة هذا من حاجة عموم الناس إلى الطعام ؟ ونظير هؤلاء الذين يتجرون في الطعام بالطحن والخبز . ونظير هؤلاء صاحب الخان والقيسارية والحمام إذا احتاج الناس إلى الانتفاع بذلك وهو إنما ضمنها ليتجر فيها فلو امتنع من إدخال الناس إلا بما شاء وهم." (١)

"ص -١٤٣- لأنه كان مثلها في الجملة، ولم يكن منافقا مكذبا للرسل معطلا للشرائع، ولا يجعل للشريعة العملية باطنا يخالف ظاهرها، بل كان فيه نوع من رأي الجهمية الموافق لرأي الفلاسفة، ونوع من رأي الخوارج الذين يرون السيف ويكفرون بالذنب .

فهؤلاء [القرامطة] هم في **الباطن** والحقيقة أكفر من اليهود والنصاري، وأما في **الظاهر** فيدعون الإسلام، بل وإيصال النسب إلي العترة النبوية، وعلم **الباطن** الذي لا يوجد عند الأنبياء والأولياء، وأن إمامهم معصوم . فهم في **الظاهر** من أعظم الناس دعوي بحقائق الإيمان، وفي **الباطن** من أكفر الناس بالرحمن بمنزلة من ادعي النبوة من الكذابين، قال تعالي : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ [الأنعام : ٩٣] . وهؤلاء قد يدعون هذا وهذا .

فإن الذي يضاهي الرسول الصادق لا يخلو؛ إما أن يدعي مثل دعوته، فيقول : إن الله أرسلني وأنزل علي، وكذب علي الله . أو يدعي أنه يوحي إليه ولا يسمي موحيه، كما يقول : قيل لي، ونوديت، وخوطبت، ونحو ذلك، ويكون كاذبا، فيكون هذا قد حذف الفاعل . أو لا يدعي واحدا من الأمرين، لكنه يدعي أنه

---

(١) مجموع الفتاوى /٤٦

يمكنه أنه يأتي بما أتي به الرسول . ووجه القسمة أن ما يدعيه في مضاهاة الرسول : إما أن يضيفه إلي الله، أو إلي نفسه أو لا يضيفه إلي أحد .." (١)

"ص -٥١- ومن كان عنده صغير مملوك أو يتيم أو ولد فلم يأمره بالصلاة، فإنه يعاقب الكبير إذا لم يأمر الصغير، ويعزر الكبير على ذلك تعزيرا بليغا؛ لأنه عصي الله ورسوله، وكذلك من عنده مماليك كبار، أو غلمان الخيل والجمال والبزاة، أو فراشون أو بابية يغسلون الأبدان والثياب، أو خدم، أو زوجة، أو سرية، أو إماء، فعليه أن يأمر جميع هؤلاء بالصلاة، فإن لم يفعل، كان عاصيا لله ورسوله، ولم يستحق هذا أن يكون من جند المسلمين، بل من جند التتار . فإن التتار يتكلمون بالشهادتين، ومع هذا فقتالهم واجب بإجماع المسلمين .

وكذلك كل طائفة ممتنعة عن شريعة واحدة من شرائع الإسلام **الظاهرة**، أو **الباطنة** المعلومة، فإنه يجب قتالها، فلو قالوا : نشهد ولا نصلى قوتلوا حتى يصلوا، ولو قالوا : نصلى ولا نزكي، قوتلوا حتى يزكوا، ولو قالوا : نزكي ولا نصوم ولا نحج، قوتلوا حتى يصوموا رمضان، ويحجوا البيت . ولو قالوا : نفعل هذا لكن لا ندع الربا، ولا شرب الخمر، ولا الفواحش، ولا نجاهد في سبيل الله، ولا نضرب الجزية على اليهود والنصاري، ونحو ذلك . قوتلوا حتى يفعلوا ذلك . كما قال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ [الأنفال : ٣٩] .

وقد قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ [البقرة : ٢٧٨، ٢٧٩]." (٢)

"ص -٥٧٢- وهذه الآيات تقتضي ذم من ترك شيئا من واجبات الصلاة، وإن كان في **الظاهر** مصليا، مثل أن يترك الوقت الواجب، أو يترك تكميل الشرائط والأركان من الأعمال **الظاهرة** **والباطنة**، وبذلك فسرها السلف . ففي تفسير عبد بن حميد وذكره عن ابن المنذر في تفسيره من حديث عبد حدثنا روح، عن سعيد، عن قتادة : ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ [المؤمنون : ٩] . على وضوئها ومواقيتها وركوعها . وروى أبو بكر بن المنذر في تفسيره من حديث أبي عبد الرحمن، عن عبد الله قال : قيل لعبد الله : إن الله أكثر ذكر الصلاة في القرآن ﴿ الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ [المعارج : ٣٢] ، ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ [المؤمنون : ٢] و ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ [

---

(١) مجموع الفتاوى /٤٧

(٢) مجموع الفتاوى /٤٨

المؤمنون : ٩] فقال عبد الله : ذلك على مواقيتها فقالوا : ما كنا نرى ذلك يا أبا عبد الرحمن إلا الترك . قال : تركها كفر . وروى سعيد بن منصور : حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن مسلم، عن مسروق في قول الله : ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ قال : على مواقيتها، فقالوا : ما كنا نرى ذلك يا أبا عبد الرحمن، إلا الترك . قال : تركها كفر . وروى من حديث سعيد بن أبي مريم : ﴿ الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ [الماعون : ٥] ، بتضييع ميقاتها . وروى عن أبي ثور عن ابن جريج في قوله : ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ المكتوبة، والتي في ﴿ سأل سائل ﴾ : التطوع . ، وهذا قول ضعيف .." (١)

"ص -١٧٦- قال بعضهم :

أستغفر الله ذنبا لست محصيه

رب العباد إليه الوجه والعمل

وقد استعمل هنا أربعة ألفاظ : إسلام الوجه، وإقامة الوجه، كقوله تعالى : ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ﴾ [الأعراف : ٢٩] . وقوله : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ [الروم : ٣٠] وتوجيه الوجه كقول الخليل : ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ [الأنعام : ٧٩] .

وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعاء الاستفتاح في صلاته : ﴿وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ [الأنعام : ٧٩] .

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم مما يقول إذا أوى إلى فراشه : " اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك " .

فالوجه يتناول المتوجه والمتوجه إليه ويتناول المتوجه نحوه كما يقال : أي وجه تريد ؟ أي : أي وجهة وناحية تقصد : وذلك أنهما متلازمان . فحيث توجه الإنسان توجه وجهه، ووجهه مستلزم لتوجهه، وهذا في باطنه وظاهره جميعا . فهذه أربعة أمور .

والباطن هو الأصل **والظاهر** هو الكمال والشعار فإذا توجه قلبه إلى شيء تبعه وجهه **الظاهر** فإذا كان العبد قصده ومراده وتوجهه إلى الله فهذا صلاح إرادته وقصده." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى /٥٠

(٢) مجموع الفتاوى /٦١

"ص -٢٧٥- بذلك . قال في أولها : ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ [البقرة : ١ - ٥]

والصحيح في قوله : ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ أنه والذي قبله صفة لموصوف واحد؛ فإنه لابد من الإيمان بما أنزل إليه وما أنزل من قبله، والعطف لتغاير الصفات، كقوله : ﴿هو الأول والآخر **والظاهر** **والباطن**﴾ [الحديد : ٣] ، وقوله : ﴿الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى﴾ [الأعلى : ٢ - ٤] ، وقوله : ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون﴾ إلي قوله : ﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ [المؤمنون : ١ - ١١] ، ومن قال : ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ أراد به مشركي العرب، وقوله : ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ ، أن المراد به أهل الكتاب : فقد غلط؛ فإن مشركي العرب لم يؤمنوا بما أنزل إليه وما أنزل من قبله، فلم يكونوا مفلحين . وأهل الكتاب إن لم يؤمنوا بالغيب ويقيموا الصلاة ومما رزقناهم ينفقون لم يكونوا مفلحين؛ ولهذا قال تعالى : ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ ، فدل على أنهم صنف واحد." (١)

"ص -٣٢٢- فإن هذا من سبيل الله . فإن كان على أبناء السبيل المأخوذين زكاة، مثل التجار الذين قد يؤخذون، فأخذ الإمام زكاة أموالهم، وأنفقها في سبيل الله، كنفقة الذين يطلبون المحاربين جاز . ولو كانت لهم شوكة قوية تحتاج إلى تأليف، فأعطي الإمام من الفيء والمصالح والزكاة لبعض رؤسائهم يعينهم على إحضار الباقين، أو لترك شره فيضعف الباقون ونحو ذلك جاز، وكان هؤلاء من المؤلفة قلوبهم، وقد ذكر مثل ذلك غير واحد من الأئمة، كأحمد وغيره، وهو ظاهر الكتاب والسنة وأصول الشريعة .

ولا يجوز أن يرسل الإمام من يضعف عن مقاومة الحرامية، ولا من يأخذ مالا من المأخوذين : التجار ونحوهم من أبناء السبيل، بل يرسل من الجند الأقوياء الأمناء، إلا أن يتعذر ذلك، فيرسل الأمثل فالأمثل . فإن كان بعض نواب السلطان أو رؤساء القري ونحوهم يأمرون الحرامية بالأخذ في **الباطن** أو **الظاهر**، حتى إذا أخذوا شيئا قاسمهم ودافع عنهم، وأرضي المأخوذين ببعض أموالهم، أو لم يرضهم، فهذا أعظم جرما من

---

(١) مجموع الفتاوى /٦٤

مقدم الحرامية؛ لأن ذلك يمكن دفعه بدون ما يندفع به هذا . والواجب أن يقال فيه ما يقال في الردء والعون لهم . فإن قتلوا، قتل هو على قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأكثر أهل." (١)

"ص -٦١٠- ضرب الله الحق على لسانه وقلبه، وهو المحدث الملهم، فلا ينكر لمثله أن يكون له مع تدبيره جيشه في الصلاة من الحضور ما ليس لغيره، لكن لا ريب أن حضوره مع عدم ذلك يكون أقوى، ولا ريب أن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حال أمنه كانت أكمل من صلاته حال الخوف في الأفعال الظاهرة، فإذا كان الله قد عفا حال الخوف عن بعض الواجبات الظاهرة، فكيف بالباطنة .

وبالجملة، فتفكر المصلي في الصلاة في أمر يجب عليه قد يضيق وقته ليس كتفكره فيما ليس بواجب، أو فيما لم يضق وقته، وقد يكون عمر لم يمكنه التفكر في تدبير الجيش إلا في تلك الحال، وهو إمام الأمة والواردات عليه كثيرة . ومثل هذا يعرض لكل أحد بحسب مرتبته، والإنسان دائما يذكر في الصلاة مالا يذكره خارج الصلاة، ومن ذلك ما يكون من الشيطان، كما يذكر أن بعض السلف ذكر له رجل أنه دفن مالا وقد نسي موضعه، فقال : قم فصل، فقام فصلى، فذكره، فقيل له : من أين علمت ذلك ؟ قال : علمت أن الشيطان لا يدعه في الصلاة حتى يذكره بما يشغله، ولا أهم عنده من ذكر موضع الدفن . لكن العبد الكيس يجتهد في كمال الحضور، مع كمال فعل بقية المأمور، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .." (٢)

"ص -٦١٢- إلا ربعها، إلا خمسها، إلا سدسها " ، حتى قال : " إلا عشرها " ، فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه قد لا يكتب له منها إلا العشر .

وقال ابن عباس : ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها، ولكن هل يبطل الصلاة ويوجب الإعادة ؟ فيه تفصيل . فإنه إن كانت الغفلة في الصلاة أقل من الحضور، والغالب الحضور، لم تجب الإعادة، وإن كان الثواب ناقصا، فإن النصوص قد تواترت بأن السهو لا يبطل الصلاة، وإنما يجبر بعضه بسجدتي السهو، وأما إن غلبت الغفلة على الحضور، ففيه للعلماء قولان :

أحدهما : لا تصح الصلاة في الباطن، وإن صحت في الظاهر، كحقن الدم؛ لأن مقصود الصلاة لم يحصل، فهو شبيه صلاة المرائي، فإنه بالاتفاق لا يبرأ بها في الباطن، وهذا قول أبي عبد الله بن حامد وأبي حامد الغزالي وغيرهما .

---

(١) مجموع الفتاوى /٨٢

(٢) مجموع الفتاوى /٨٨

والثاني : تبرأ الذمة، فلا تجب عليه الإعادة، وإن كان لا أجر له فيها، ولا ثواب، بمنزلة صوم الذي لم يدع قول الزور والعمل به، فليس له من صيامه إلا الجوع والعطش . وهذا هو المأثور عن الإمام أحمد، وغيره من الأئمة، واستدلوا بما في الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال : " إذا أذن المؤذن." (١)

"ص -٣٥٣- أحمد : " حرس ليلة في سبيل الله، أفضل من ألف ليلة يقام ليلها، ويصام نهارها " ، وفي الصحيحين : أن رجلا قال : يارسول الله، أخبرني بشيء يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : " لا تستطيع " . قال : أخبرني به ؟ قال : " هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم لا تفطر، وتقوم لا تفتر ؟ " . قال : لا . قال : " فذلك الذي يعدل الجهاد " . وفي السنن أنه صلى الله عليه وسلم قال : " إن لكل أمة سياحة، وسياحة أمتى الجهاد في سبيل الله " .

وهذا باب واسع، لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه .

وهو ظاهر عند الاعتبار؛ فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، ومشتمل على جميع أنواع العبادات **الباطنة والظاهرة**، فإنه مشتمل من محبة الله تعالى والإخلاص له، والتوكل عليه، وتسليم النفس والمال له، والصبر والزهد، وذكر الله، وسائر أنواع الأعمال، على ما لا يشتمل عليه عمل آخر .

والقائم به من الشخص والأمة بين إحدي الحسنيين دائما؛ إما النصر والظفر، وإما الشهادة والجنة .

فإن الخلق لابد لهم من محيا وممات، ففيه استعمال محياهم ومماتهم." (٢)

"ص -٤٨٥- المتين . الولي . الحميد . المحصي . المبدئ . المعيد . المحيي . المميت . الحي . القيوم . الواجد . الماجد . الأحد ويروي الواحد الصمد . القادر . المقتدر . المقدم . المؤخر . الأول . الآخر . **الظاهر** . **الباطن** . الوالي . المتعالي . البر . التواب . المنتقم . العفو . الرؤوف . مالك الملك ذو الجلال والإكرام . المقسط . الجامع . الغني . المغني . المعطي . المانع . الضار . النافع . النور . الهادي . البديع . الباقي . الوارث . الرشيد . الصبور . الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " .

ومن أسمائه التي ليست في هذه التسعة والتسعين، اسمه : السبوح، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : " سبوح قدوس " . واسمه " الشافي "كما ثبت في الصحيح أنه كان يقول : " أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقما " . وكذلك أسماؤه المضافة

---

(١) مجموع الفتاوى /٩٠

(٢) مجموع الفتاوى /١١٣

مثل : أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين، وليس من هذه التسعة والتسعين .

الوجه الثالث : ما احتج به الخطابي وغيره، وهو حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما أصاب عبدا قط." (١)

"ص -٢٩٣- وسئل عن الرجل يشتري سلعة بمال حلال، ولم يعلم أصل السلعة، هل هو حرام أو حلال ؟ ثم كانت حراما في **الباطن**، هل يأثم أم لا ؟

فأجاب :

متى اعتقد المشتري أن الذي مع البائع ملكه، فاشتراه منه على **الظاهر**، لم يكن عليه إثم في ذلك . وإن كان في **الباطن** قد سرقه البائع، لم يكن على المشتري إثم، ولا عقوبة، لا في الدنيا، ولا في الاخرة . والضمان والدرك على الذي غره وباعه . وإذا ظهر صاحب السلعة فيما بعد ردت إليه سلعته، ورد على المشتري ثمنه، وعوقب البائع الظالم، فمن فرق بين من يعلم ومن لا يعلم فقد أصاب، ومن لا، أخطأ . والله أعلم .." (٢)

"ص -٢- السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا .

أرسل الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما، مبشرين لمن أطاعهم بغاية المراد من كل ما تحبه النفوس وتراه نعيما، ومنذرين لمن عصاهم باللعن والإبعاد وأن يعذبوا عذابا أليما، وأمرهم بدعاء الخلق إلى عبادته وحده لا شريك له، مخلصين له الدين ولو كره المشركون . كما قال تعالى : ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ [المؤمنون : ٥١-٥٢] . وجعل لكل منهم شرعة ومنهاجا، ليستقيموا إليه ولا يبغوا عنه اعوجاجا .

وختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأولين والآخرين، وصفوة رب العالمين، الشاهد البشير النذير الهادي السراج المنير، الذي أخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وهداهم إلى صراط العزيز الحميد، الله

---

(١) مجموع الفتاوى /٢٢٩

(٢) مجموع الفتاوى /٢٩٤

الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد . بعثه بأفضل المناهج والشرع، وأحبط به أصناف الكفر والبدع، وأنزل عليه أفضل الكتب والأنباء، وجعله مهيمنا على ما بين يديه من كتب السماء .

وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله . هو شهيد عليهم وهم شهداء على الناس في الدنيا والآخرة، بما أسبغه عليهم من النعم **الباطنة** **والظاهرة**، وعصمهم أن يجتمعوا على ضلالة، إذ لم يبق بعده نبي يبين ما بدل من الرسالة، وأكمل لهم دينهم، وأتم عليهم نعمه، ورضى لهم الإسلام دينا، وأظهره على." (١)

"ص -٣٠- له منفعة ويدفعوا عنه مضرة ما، وإن كان ذلك أيضا من تيسير الله تعالى، فإنهم لا يفعلون ذلك إلا لحظوظهم من العبد إذا لم يكن العمل لله . فإنهم إذا أحبوه طلبوا أن ينالوا غرضهم من محبته، سواء أحبوه لجماله **الباطن** أو **الظاهر** فإذا أحبوا الأنبياء والأولياء طلبوا لقاءهم، فهم يحبون التمتع برؤيتهم، وسماع كلامهم، ونحو ذلك .

وكذلك من أحب إنسانا لشجاعته أو رياسته، أو جماله أو كرمه، فهو يحب أن ينال حظه من تلك المحبة، ولولا التذاذه بها لما أحبه، وإن جلبوا له منفعة كخدمة أو مال، أو دفعوا عنه مضرة كمرض وعدو ولو بالدعاء أو الثناء فهم يطلبون العوض إذا لم يكن العمل لله، فأجناد الملوك، وعبيد المالك، وأجراء الصانع، وأعوان الرئيس، كلهم إنما يسعون فى نيل أغراضهم به، لا يعرج أكثرهم على قصد منفعة المخدوم، إلا أن يكون قد علم وأدب من جهة أخرى، فيدخل ذلك فى الجهة الدينية، أو يكون فيء١ طبع عدل، وإحسان من باب المكافأة والرحمة، وإلا فالمقصود بالقصد الأول هو منفعة نفسه . وهذا من حكمة الله التى أقام بها مصالح خلقه، وقسم بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا، ورفع بعضهم فوق بعض درجات؛ ليتخذ بعضهم بعضا سخريا. إذا تبين هذا ظهر أن المخلوق لا يقصد منفعتك بالقصد الأول، بل إنما يقصد منفعته بك، وإن كان ذلك قد يكون عليك فيه ضرر إذا لم يراع العدل، فإذا دعوته؛ فقد دعوت من ضره أقرب من نفعه .

والرب سبحانه يريدك لك، ولمنفعتك بك، لا لينتفع بك، وذلك منفعة عليك بلا مضرة . فتدبر هذا، فملاحظة هذا الوجه يمنعك أن ترجو المخلوق أو." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/٣

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/٥

"ص -٣٦- إذا استشعر قدرته على تحصيل مطلوبه استعانه،وإلا فلا، فالأقسام ثلاثة؛ فقد يكون محبوبا غير مستعان، وقد يكون مستعانا غير محبوب، وقد يجتمع فيه الأمران .

فإذا علم أن العبد لابد له فى كل وقت وحال من منتهى يطلبه هو إلهه، ومنتهى يطلب منه هو مستعانه وذلك هو صمده الذى يصمد إليه فى استعانته وعبادته تبين أن قوله : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة : ٥] كلام جامع محيط أولا وآخرا،لا يخرج عنه شيء، فصارت الأقسام أربعة :

إما أن يعبد غير الله ويستعينه وإن كان مسلما فالشرك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل .

وإما أن يعبده ويستعين غيره، مثل كثير من أهل الدين، يقصدون طاعة الله ورسوله وعبادته وحده لا شريك له، وتخضع قلوبهم لمن يستشعرون نصرهم، ورزقهم، وهدايتهم، من جهته من الملوك والأغنياء والمشائخ .

وإما أن يستعينه وإن عبد غيره مثل كثير من ذوى الأحوال، وذوى القدرة وذوى السلطان **الباطن** أو **الظاهر**، وأهل الكشف والتأثير، الذين يستعينونه ويعتمدون عليه ويسألونه ويلجؤون إليه، لكن مقصودهم غير ما أمر الله به ورسوله، وغير اتباع دينه وشريعته التى بعث الله بها رسوله .

والقسم الرابع : الذين لا يعبدون إلا إياه، ولا يستعينون إلا به، وهذا القسم الرباعى قد ذكر فيما بعد أيضا، لكنه تارة يكون بحسب العبادة والاستعانة، وتارة يكون بحسب المستعان، فهنا هو بحسب المعبود والمستعان؛ لبيان أنه لابد لكل عبد من معبود مستعان، وفيما بعد بحسب عبادة الله واستعانته، فإن الناس فيها على أربعة أقسام .." (١)

"ص -٤١- التصديق ناقصا، قاصرا، انقسم الأمة إلى ثلاث فرق :

فالجامعون، حققوا كلا معنييه، من القول التصديقي، والعمل الإرادي . وفريقان فقدوا أحد المعنيين :

فالكلاميون، غالب نظرهم وقولهم في الثبوت، والانتفاء والوجود والعدم والقضايا التصديقية، فغايتهم مجرد التصديق والعلم والخبر .

والصوفيون، غالب طلبهم وعملهم في المحبة، والبغضة، والإرادة، والكراهة، والحركات العملية، فغايتهم المحبة والانقياد والعمل والإرادة .

وأما أهل العلم والإيمان، فجامعون بين الأمرين، بين التصديق العلمي، والعمل الحبي . ثم إن تصديقهم عن علم، وعملهم وحبهم عن علم، فسلموا من أفتى منحرفة المتكلمة والمتصوفة، وحصلوا ما فات كل واحدة منهما من النقص، فإن كلا من المنحرفين له مفسدتان :

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩/٥

إحداهما : القول بلا علم إن كان متكلما والعمل بلا علم إن كان متصوفا وهو ما وقع من البدع الكلامية والعملية، المخالفة للكتاب والسنة .

والثاني : فوت المتكلم العمل، وفوت المتصوف القول والكلام .

وأهل السنة الباطنة والظاهرة كان كلامهم وعملهم باطنا وظاهرا بعلم، وكان كل واحد من قولهم وعملهم مقرونا بالآخر . وهؤلاء هم المسلمون حقا،." (١)

"ص -٩٦- ومن هؤلاء من يكون طلبه للمكاشفة ونحوها من العلم، أعظم من طلبه لما فرض الله عليه، ويقول في دعائه : اللهم أسألك العصمة في الحركات، والسكنات، والخطوات، والإرادات، والكلمات، من الشكوك، والظنون، والإرادة، والأوهام الساترة للقلوب، عن مطالعة الغيوب، وأصل المسألة : أن المكنة التي هي الكمال عندهم من المكنة .

وطائفة أخرى : عندهم أن الكمال في القدرة والسلطان، والتصرف في الوجود نفاذ الأمر والنهي، إما بالملك والولاية الظاهرة، وإما بالباطن . وتكون عبادتهم، ومجاهدتهم لذلك، وكثير من هؤلاء يدخل في الشرك، والسحر، فيعبد الكواكب، والأصنام، لتعينه الشياطين على مقاصده، وهؤلاء أضل وأجهل من الذين قبلهم، وغاية من يعبد الله يطلب خوارق العادات، يكون له نصيب من هذا، ولهذا كان منهم من يرى طائرا ومنهم يرى ماشيا ومنهم . وفيهم جهال ضلال .

وطائفة تجعل الكمال في مجموع الأمرين، فيدخلون في أقوال وأعمال من الشرك، والسحر، ليستعينوا بالشياطين على ما يطلبونه، من الإخبار بالأمور الغائبة، وعلى ما ينفذ به تصرفهم في العالم .

والحق المبين : أن كمال الإنسان أن يعبد الله علما، وعملا، كما أمره ربه،." (٢)

"ص -١٩٢- فهؤلاء إذا قالوا : إنه عين السموات والأرض، فقد جحدوا ما جحده فرعون، وأقروا بما أقر به فرعون، إلا أن فرعون لم يسمه إلها ولم يقل : هو الله .

وهؤلاء قالوا : هذا هو الله، فهم مقرون بالصانع، لكن جعلوه هو الصنعة فهم في الحقيقة معطلون، وفي اعتقادهم مقرون .

وفرعون بالعكس : كان منكرا للصانع في الظاهر، وكان في الباطن مقرا به، فهو أكفر منهم، وهم أضل منه وأجهل، ولهذا يعظمونه جدا .

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/١٩

(٢) مجموع الفتاوى ٤٤/٢٠

الوجه الحادي عشر : قول القائل : بل هذا هو الحق الصريح المتبع، لا ما يرى المنحرف عن مناهج الإسلام ودينه، المتحير في بيداء ضلالته وجهله .

فيقال : من الذي قال هذا الحق من الأولين والأخرين ؟ وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، الذي هو كلام الله، ووحيه، وتنزيله، ليس فيه شيء من هذا، ولا في حديث واحد عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحد من أئمة الإسلام ومشايخه، إلا عن هؤلاء المفترين على الله الذين هم في مشائخ الدين نظير جنكسخان في أمر الحرب، فديانتهم تشبه دولته، ولعل إقراره بالصانع خير من إقرارهم، لكن بعضهم قد يوجب الإسلام فيكون خيرا من التتار من هذا الوجه .

وأما محققوهم وجمهورهم، فيجوز عندهم التهود والتنصر، والإسلام." (١)

"ص -٢٠٨- شيء، وفي كل مرتبة، وإنما نظر الرجال إلى التقدم في مرتبة العلم بالله، هنالك مطلبهم، وأما حوادث الأكوان فلا تعلق لخواطرهم بها، فتحقق ما ذكرناه .

ولما مثل النبي صلى الله عليه وسلم النبوة بالحائط من اللبن وقد كمل سوى موضع لبنة فكان النبي صلى الله عليه وسلم تلك اللبنة، غير أنه صلى الله عليه وسلم لا يراها إلا كما قال لبنة واحدة .

وأما خاتم الأولياء، فلابد له من هذه الرؤية، فيرى ما مثل به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيرى في الحائط موضع لبنتين، واللبن من ذهب وفضة، فيرى اللبنتين اللتين ينقص الحائط عنهما ويكمل بهما، لبنة ذهب ولبنة فضة، فلابد من أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين، فيكمل الحائط .

والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين : أنه تابع لشرع خاتم الرسل في **الظاهر**، وهو موضع اللبنة الفضة وهو ظاهره، وما يتبعه فيه من الأحكام كما هو آخذ عن الله تعالى في السر ما هو بالصورة **الظاهرة** متبع فيه؛ لأنه رأى الأمر على ما هو عليه، فلابد أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في **الباطن**، فإنه آخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك، الذي يوحى به إلى الرسول .

فإن فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع، فكل نبي من لدن آدم إلى آخر نبي، ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين، وإن تأخر وجود." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ٦٠/٢٤

(٢) مجموع الفتاوى ٧٦/٢٤

"ص -٢٦٩- وأما في حقيقة أمرهم فما زال عندهم عارفا بالله، بل هو الله، وليس عندهم نار فيها ألم أصلا، كما سنذكره إن شاء الله عنهم، ولكن يتفطن بهذا لكون البدع مظان النفاق، كما أن السنن شعائر الإيمان .

قال صاحب الفصوص في فص الحكمة التي في [الكلمة الموسوية] لما تكلم على قوله : ﴿ وما رب العالمين ﴾ [الشعراء : ٢٣] قال : وهنا سر كبير، فإنه أجاب بالفعل لمن سأل عن الحد الذاتي فجعل الحد الذاتي عين إضافته إلى ما ظهر به من صور العالم، أو ما ظهر فيه من صور العالم، فكأنه قال له في جواب قوله : ﴿ وما رب العالمين ﴾ قال : الذي يظهر فيه صور العالمين، من علو وهو السماء، وسفل وهو الأرض ﴿ إن كنتم موقنين ﴾ [الشعراء : ٢٤] ، أو يظهر هو بها .

فلما قال فرعون لأصحابه : إنه لمجنون كما قلنا في معنى كونه مجنونا أي لمستور عنه علم ما سألته عنه إذ لا يتصور أن يعلمه أصلا، زاد موسى في البيان ليعلم فرعون رتبته في العلم الإلهي، لعلمه بأن فرعون يعلم ذلك فقال : ﴿ رب المشرق والمغرب ﴾ [الشعراء : ٢٨] ، فجاء بما يظهر ويستر، وهو الظاهر والباطن ﴿ وما بينهما ﴾ [الشعراء : ٢٨] وهو قوله : ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾ [الأنعام : ١٠١] ﴿ إن كنتم تعقلون ﴾ [الشعراء : ٢٨] أي إن كنتم أصحاب تقييد فإن العقل للتقييد .

والجواب الأول جواب الموقنين، وهم أهل الكشف والوجود، فقال له : ﴿ إن كنتم موقنين ﴾ أي : أهل كشف ووجود فقد أعلمتكم بما تيقنتموه في كشفكم ووجودكم .." (١)

"ص -٣٢٢- وأكل آدم من الشجرة، وغير ذلك من الحوادث، داخل تحت هذا كدخول آدم، فنفس أكل آدم هو الداخل تحت هذا الأمر كما دخل آدم .

فقول القائل : إنه قال لآدم في الباطن : [كل] مثل قوله : إنه قال للكافر : اكفر، وللفاسق : افسق، والله لا يأمر بالفحشاء، ولا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يوجد منه خطاب باطن، ولا ظاهر للكفار والفساق، والعصاة بفعل الكفر والفسوق والعصيان، وإن كان ذلك واقعا بمشيئته، وقدرته وخلقه وأمره الكوني، فالأمر الكوني ليس هو أمرا للعبد أن يفعل ذلك الأمر، بل هو أمر تكوين لذلك الفعل في العبد، أو أمر تكوين لكون العبد على ذلك الحال . فهو سبحانه الذي خلق الإنسان هلوعا ﴿ إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا ﴾ [المعارج : ٢٠، ٢١] ، وهو الذي جعل المسلمين مسلمين، كما قال الخليل : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ [البقرة : ١٢٨] فهو سبحانه جعل

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٤/١٣٨

العباد على الأحوال التي خلقهم عليها، وأمره لهم بذلك أمر تكوين، بمعنى أنه قال لهم : كونوا كذلك فيكونون كذلك، كما قال للجماد : كن فيكون .

فأمر التكوين لا فرق فيه بين الجماد والحيوان، وهو لا يفتقر إلى علم المأمور ولا إرادته ولا قدرته، لكن العبد قد يعلم ما جرى به القدر في أحواله، كما يعلم ما جرى به القدر في أحوال غيره، وليس في ذلك علم منه بأن الله أمره في **الباطن**، بخلاف ما أمره في **الظاهر**، بل أمره بالطاعة باطنا." (١)

"ص -٣٨٢- وحده لا شريك له، أو عبادة الأنداد من الذين اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله، أو على غير وجه العبادة، كمحب الإخوان والولدان، والنسوان والأوطان، وغير ذلك من الأكوان .

فالمؤمن الذي آمن بالله بقلبه وجوارحه إيمانه يجمع بين علم قلبه وحال قلبه : تصديق القلب وخضوع القلب، ويجمع قول لسانه وعمل جوارحه، وإن كان أصل الإيمان هو ما في القلب أو ما في القلب واللسان، فلابد أن يكون في قلبه التصديق بالله والإسلام له، هذا قول قلبه، وهذا عمل قلبه، وهو الإقرار بالله .

والعلم قبل العمل، والإدراك قبل الحركة، والتصديق قبل الإسلام، والمعرفة قبل المحبة، وإن كانا يتلازمان، لكن علم القلب موجب لعمله، ما لم يوجد معارض راجح، وعمله يستلزم تصديقه؛ إذ لا تكون حركة إرادية ولا محبة إلا عن شعور، لكن قد تكون الحركة والمحبة فيها فساد إذا لم يكن الشعور والإدراك صحيحا . قال عمر بن عبد العزيز : [من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح] ، فأما العمل الصالح **بالباطن** **والظاهر** فلا يكون إلا عن علم؛ ولهذا أمر الله ورسوله بعبادة الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له ونحو ذلك، فإن هذه الأسماء تنتظم العلم والعمل جميعا : علم القلب وحاله، وإن دخل في ذلك قول اللسان وعمل الجوارح أيضا، فإن وجود الفروع الصحيحة مستلزم لوجود الأصول، وهذا ظاهر، ليس الغرض هنا بسطه، وإنما الغرض .." (٢)

"ص -٣٩٤- فصل :

فهذان المعنيان صحيحان ثابتان، بل هما حقيقة الدين واليقين والإيمان .

أما الأول وهو كون الله في قلبه بالمعرفة والمحبة : فهذا فرض على كل أحد ولابد لكل مؤمن منه، فإن أدى واجبه فهو مقتصد، وإن ترك بعض واجبه فهو ظالم لنفسه، وإن تركه كله فهو كافر بربه .

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٨/٢٥

(٢) مجموع الفتاوى ٢٢/٢٦

وأما الثاني وهو موافقة ربه فيما يحبه ويكرهه، ويرضاه ويسخطه : فهذا على الإطلاق إنما هو للسابقين المقربين، الذين تقربوا إلى الله بالنوافل، التي يحبها ولم يفرضها، بعد الفرائض التي يحبها ويفرضها ويعذب تاركها .

ولهذا كان هؤلاء لما أتوا بمحبوب الحق من الأقوال والأعمال **الباطنة والظاهرة** المنتظمة للمعارف والأحوال والأعمال، أحبهم الله تعالى . فقال : " ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه " . فعلوا محبوبه فأحبهم، فإن الجزاء من جنس العمل، مناسب له مناسبة المعلول لعلته .

ولا يتوهم أن المراد بذلك : أن يأتي العبد بعين كل حركة يحبها الله، فإن هذا ممتنع . وإنما المقصود أن يأتي بما يقدر عليه من الأعمال **الباطنة والظاهرة**." (١)

"ص -٣٩٥- **والباطنة** يمكنه أن يأتي منها بأكثر مما يأتي به من **الظاهرة**، كما قال بعض السلف : قوة المؤمن في قلبه، وضعفه في جسمه، وقوة المنافق في جسمه، وضعفه في قلبه؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : " المرء مع من أحب " ، وقال : " إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم، حبسهم العذر " ، وقال : " فهما في الأجر سواء " في حديث القادر على الإنفاق والعاجز عنه، الذي قال : " لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما عمل " فإنهما لما استويا في عمل القلب وكان أحدهما معذور الجسم استويا في الجزاء، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا مرض العبد أو سافر، كتب له من العمل مثل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم " .." (٢)

"ص -٤٠٦- ثم إنه إليه مصيرها ومرجعها، وهو معبودها وإلهها، لا يصلح أن يعبد إلا هو كما لم يخلقها إلا هو، لما هو مستحقه بنفسه ومتفرد به من نعوت الإلهية التي لا شريك له فيها، ولا سمى له، وليس كمثله شيء .

فهو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، وهو **الظاهر** الذي ليس فوقه شيء، وهو **الباطن** الذي ليس دونه شيء، وهو معنا أينما كنا، ونعلم أن معيته مع عباده على أنواع، وهم فيها درجات .

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٤/٢٦

(٢) مجموع الفتاوى ٣٥/٢٦

وكذلك ربوبيته لهم وعبوديتهم التي هم بها معبدون له، وكذلك ألوهيتهم إياه، وألوهيته لهم، وعبادتهم التي هم بها عابدون، وكذلك قربه منهم وقربهم منه .." (١)

"ص –٤٣١– للذي علمه دعاء النوم : " اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك " ، وقال زيد ابن عمرو بن نفيل :

أسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا

فهذه ثلاثة ألفاظ : أسلم وجهه، ووجه وجهه، وأقام وجهه .

قال قدماء المفسرين في قوله تعالى : ﴿ أسلم وجهه ﴾ [البقرة : ١١٢] أي : أخلص في دينه وعمله لله، وقال بعضهم : فوض أمره إلى الله، وقد قيل : خضع وتواضع لله .

وهذا الثالث يليق بالإسلام اللازم، فإن وجهه هو قصده، وتوجهه الذي هو أصل عمله، وهو عمل قلبه الذي هو ملك بدنه، فإذا توجه قلبه تبعه أيضا توجه وجهه، فاستتبع القصد الذي هو الأصل من القلب، الذي هو الأصل للعمل، الذي هو تبع من الوجه وسائر البدن الذي هو تبع، فيكون قد أسلم عمله **الباطن والظاهر**، وأعضاءه **الباطنة والظاهرة** لله، أي سلمه له، وأخلصه لله، كما في الإسلام اللازم، وهو قوله : ﴿ أسلمت لرب العالمين ﴾ [البقرة : ١١٣] ، وقوله عن بلقيس ﴿ إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ [النمل : ٤٤] ، وقوله عن إبراهيم وإسماعيل : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ [البقرة : ١٢٨] أي : منقادة مخلصة . وكذلك توجيه الوجه للذي فطر السموات والأرض : توجيه قصده، وإرادته وعبادته، وذلك يستتبع الوجه وغيره، وإلا فمجرد توجيه العضو من غير عمل القلب لا يفيد شيئا .." (٢)

"ص –٤٥٤– فجعل ذوق طعم الإيمان معلقا بالرضي بهذه الأصول، كما جعل الوجد معلقا بالمحبة؛ ليفرق صلى الله عليه وسلم بين الذوق والوجد، الذي هو أصل الأعمال **الظاهرة** وثمرة الأعمال **الباطنة**، وبين ما أمر الله به ورسوله وبين غيره كما قال سهل بن عبد الله التستري : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل، إذ كان كل من أحب شيئا فله ذوق بحسب محبته .

ولهذا طالب الله تعالى مدعي محبته بقوله : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [آل عمران : ٣١] ، قال الحسن البصري : ادعى قوم على عهد رسول الله صلى الله تعالى

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٦/٢٦

(٢) مجموع الفتاوى ٧١/٢٦

عليه وسلم أنهم يحبون الله، فطالبهم بهذه الآية، فجعل محبة العبد لله موجبة لمتابعة رسوله، وجعل متابعة رسوله موجبة لمحبة الرب عبده .

وقد ذكر نعت المحبين في قوله : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ﴾ [المائدة : ٥٤] ، فنعت المحبين المحبوبين بوصف الكمال، الذي نعت الله به رسوله الجامع بين معنى الجلال والجمال، المفرق في الملتين قبلنا، وهو الشدة والعزة على أعداء الله، والذلة والرحمة لأولياء الله ورسوله، ولهذا يوجد كثير ممن له وجد وحب مجمل مطلق، كما قال فيه كبير من كبرائهم :

مشرد عن الوطن مبعد عن السكن." (١)

"ص -٤٥٦- أم الكتاب، في هاتين الكلمتين : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وهذا المعنى قد ثناه الله في مثل قوله : ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ [هود : ١٢٣] ، وفي مثل قوله : ﴿ عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ [الشورى : ١٠] ، وقوله : ﴿ عليه توكلت وإليه متاب ﴾ [الرعد : ٣٠] .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في نسكه : " اللهم هذا منك ولك "

فهو سبحانه مستحق التوحيد، الذي هو دعاؤه وإخلاص الدين له : دعاء العبادة بالمحبة والإنابة، والطاعة والإجلال، والإكرام والخشية، والرجاء، ونحو ذلك من معاني تألهه وعبادته، ودعاء المسألة والاستعانة بالتوكل عليه، والالتجاء إليه، والسؤال له، ونحو ذلك مما يفعل سبحانه بمقتضى ربوبيته، وهو سبحانه الأول والآخر، **والباطن والظاهر** .

ولهذا جاءت الشريعة الكاملة في العبادة باسم الله، وفي السؤال باسم الرب، فيقول المصلي والذاكر : الله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله. ولا إله إلا الله، وكلمات الأذان : الله أكبر الله أكبر إلى آخرها ونحو ذلك .

وفي السؤال : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ [الأعراف : ٢٣] ، ﴿ رب اغفر لي ولوالدي ﴾ [نوح : ٢٨] ، ﴿ رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين ﴾ [القصص : ١٧] ، ﴿ رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ﴾ [القصص : ١٦] ، ﴿ ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا ﴾ [آل عمران : ١٤٧] ، ﴿ رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ﴾ [المؤمنون : ١١٨] ، ونحو ذلك .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/٢٧

(٢) مجموع الفتاوى ٦/٢٧

"ص –٦– ﴿وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد . فعال لما يريد ﴾ [البروج : ١٤ : ١٦] ، ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ [الحديد : ٣، ٤] .

وقوله : ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ [محمد : ٢٨]

،وقوله : ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ [المائدة : ٥٤] الآية، وقوله : ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ﴾ [البينة : ٨] ، وقوله : ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزآؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه ﴾ [النساء : ٩٣] ، وقوله : ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون ﴾ [غافر : ١٠] .." (١)

"ص –١٣١– ثلث القرآن، حيث يقول : ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾ [سورة الإخلاص] .

وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتابه، حيث يقول : ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح . وقوله سبحانه : ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

وقوله سبحانه : ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ [الحديد : ٣] ، وقوله : ﴿وهو الحكيم الخبير ﴾ [سبأ : ١] ، ﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ﴾ [الحديد : ٤] ، ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ [الأنعام : ٥٩] ، وقوله : ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ [فاطر : ١١] ، وقوله : ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ [الطلاق : ١٢] .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ٩/٣٢

(٢) مجموع الفتاوى ٤/٣٣

"ص –١٤٠– وقوله : " أفضل الإيمان : أن تعلم أن الله معك حيثما كنت " حديث حسن . وقوله : " إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه، ولا عن يمينه، فإن الله قبل وجهه، ولكن عن يساره أو تحت قدمه " . متفق عليه .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " اللهم رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت **الظاهر** فليس فوقك شيء، وأنت **الباطن** فليس دونك شيء، اقض عني الدين واغنني من الفقر " رواه مسلم .

وقوله لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر : " أيها الناس،اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائالا، إنما تدعون سميعا قريالا، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته " متفق عليه [قوله : " اربعوا " : أي : ارفقوا]

وقوله ﷺ : " إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها، فافعلوا " متفق عليه .

إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه بما يخبر به .." (١)

"ص –٢١٤– فصبر كان خيرا له " . والصابر الشكور هو المؤمن الذي ذكره الله في غير موضع من كتابه .

ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال، وكل واحد من السراء والضراء في حقه يفضي إلى قبيح المآل، فكيف إذا كان ذلك في الأمور العظيمة التي هي من محن الأنبياء والصديقين، وفيها تثبيت أصول الدين، وحفظ الإيمان، والقرآن من كيد أهل النفاق والإلحاد والبهتان .

فالحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله .

والله هو المسؤول أن يثبتكم، وسائر المؤمنين، بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويتم عليكم نعمه **الباطنة** **والظاهرة**، وينصر دينه وكتابه، وعباده المؤمنين على الكافرين، والمنافقين الذي أمرنا بجهادهم والأغلاظ عليهم في كتابه المبين .

وأنتم فأبشروا من أنواع الخير والسرور بما لم يخطر في الصدور . وشأن هذه [القضية] وما يتعلق ب٥ا أكبر مما يظنه من لا يراعى إلا جزئيات الأمور؛ ولهذا كان فيما خاطبت به أمين الرسول علاء الدين

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨/٣٣

الطيبرسي إن قلت : هذه [القضية] ليس الحق فيها لي بل لله ولرسوله وللمؤمنين من شرق الأرض إلى مغربها، وأنا لا يمكنني أن أبدل الدين، ولا أنكس راية المسلمين . ولا أرتد عن دين الإسلام لأجل فلان، وفلان .." (١)

"ص -٤٢٣- وكذلك من كفر المسلمين أو استحل دماءهم وأموالهم، ببدعة ابتدعها ليست في كتاب الله ولا سنة رسوله، فإنه يجب نهيه عن ذلك وعقوبته بما يزجره، ولو بالقتل أو القتال، فإنه إذا عوقب المعتدون من جميع الطوائف، وأكرم المتقون من جميع الطوائف، كان ذلك من أعظم الأسباب التي ترضي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتصلح أمر المسلمين . ويجب على أولى الأمر وهم علماء كل طائفة وأمراؤها ومشائخها أن يقوموا على عامتهم، ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر؛ فيأمرونهم بما أمر الله به ورسوله، وينهونهم عما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

فالأول : مثل شرائع الإسلام : وهي الصلوات الخمس في مواقيتها، وإقامة الجمعة والجماعات من الواجبات، والسنن الراتبات؛ كالأعياد، وصلاة الكسوف، والاستسقاء، والتراويح، وصلاة الجنائز، وغير ذلك، وكذلك الصدقات المشروعة، والصوم المشروع، وحج البيت الحرام، ومثل الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، ومثل الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

ومثل سائر ما أمر الله به ورسوله من الأمور **الباطنة والظاهرة**، ومثل إخلاص الدين لله، والتوكل على الله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما." (٢)

"ص -٣٠- فالأسباب العارضة لغلط الحس **والباطن** أو **الظاهر** والعقل بمنزلة المرض العارض لحركة البدن والنفس والأصل هو الصحة في الإدراك وفي الحركة فإن الله خلق عباده على الفطرة وهذه الأمور يعلم الغلط فيها بأسبابها الخاصة كالمرة الصفراء العارضة للطعم وكالحول في العين ونحو ذلك وإلا فمن حاسب نفسه على ما يجزم به وجد أكثر الناس الذين يجزمون بما لا يجزم به إنما جزمهم لنوع من الهوى كما قال تعالى (وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم) وقال ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ولهذا تجد اليهود يصممون ويصرون على باطلهم لما في نفوسهم من الكبر والحسد والقسوة وغير ذلك من الأهواء وأما النصارى فأعظم ضلالا منهم وإن كانوا في العادة والأخلاق أقل منهم شرا فليسوا جازمين بغالب ضلالهم

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/٣٧

(٢) مجموع الفتاوى ٦٤/٤٥

بل عند الاعتبار تجد من ترك الهوى من الطائفتين ونظر نوع نظر تبين له الإسلام حقا والمقصود هنا أن معرفة الإنسان بكونه يعلم أو لا يعلم مرجعه إلى وجود نفسه عالمة ولهذا لا نحتج على منكر العلم إلا بوجودنا نفوسنا عالمة كما احتجوا على منكري الأخبار المتواترة بأنا نجد نفوسنا عالمة بذلك وجازمة به كعلمنا وجزمنا بما أحسسناه وجعل المحققون وجود العلم بخبر من الأخبار هو الضابط في حصول التواتر إذ لم يحدوه بعدد ولا صفة بل متى حصل العلم كان هو المعتبر والإنسان يجد نفسه عالمة وهذا حق." (١)

"ص -١٠٩- والمناظرة والمحاجة لا تنفع إلا مع العدل والإنصاف، وإلا فالظالم يجحد الحق الذي يعلمه، وهو المسفسط والمقرمط، أو يمتنع عن الاستماع والنظر في طريق العلم، وهو المعرض عن النظر والاستدلال . فكما أن الإحساس **الظاهر** لا يحصل للمعرض ولا يقوم للجاحد، فكذلك الشهود **الباطن** لا يحصل للمعرض عن النظر والبحث، بل طالب العلم يجتهد في طلبه من طرقه؛ ولهذا سمى مجتهدا، كما يسمى المجتهد في العبادة وغيرها مجتهدا، كما قال بعض السلف : ما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيهم، وقال أبي ابن كعب وابن مسعود : اقتصاد في سنة، خير من اجتهاد في بدعة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) ، وقال معاذ بن جبل، ويروى مرفوعا، وهو محفوظ عن معاذ : عليكم بالعلم، فإن تعليمه حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة . فجعل الباحث عن العلم مجاهدا في سبيل الله .

ولما كانت المحاجة لا تنفع إلا مع العدل، قال تعالى : ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ [العنكبوت : ٤٦] ، فالظالم ليس علينا أن نجادله بالتي هي أحسن .

وإذا حصل من مسلمة أهل الكتاب، الذين علموا ما عندهم بلغتهم، وترجموا لنا بالعربية، انتفع بذلك في مناظرتهم ومخاطبتهم، كما كان عبد الله بن سلام،." (٢)

"ص -١٤٩- الوجه الثالث : قوله : [والآخر يتستر بمذهب السلف] ، إن أردت بالتستر الاستخفاء بمذهب السلف، فيقال : ليس مذهب السلف مما يتستر به إلا في بلاد أهل البدع، مثل بلاد الرافضة والخوارج،فإن المؤمن المستضعف هناك قد يكتم إيمانه واستنانه، كما كتم مؤمن آل فرعون إيمانه، وكما

---

(١) مجموع الفتاوى ٣١/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ١١١/٤٧

كان كثير من المؤمنين يكتم إيمانه حين كانوا في دار الحرب .

فإن كان هؤلاء في بلد أنت لك فيه سلطان وقد تستروا بمذهب السلف فقد ذممت نفسك، حيث كنت من طائفة يستر مذهب السلف عندهم، وإن كنت من المستضعفين المستترين بمذهب السلف فلا معنى لذم نفسك، وإن لم تكن منهم ولا من الملأ، فلا وجه لذم قوم بلفظ التستر .

وإن أردت بالتستر : أنهم يجتنون به، ويتقون به غيرهم، ويتظاهرون به، حتى إذا خوطب أحدهم قال : أنا على مذهب السلف وهذا الذي أراده، والله أعلم فيقال له : لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقا، فإن كان موافقا له باطنا وظاهرا، فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطنا وظاهرا، وإن كان موافقا له في **الظاهر** فقط دون **الباطن**، فهو بمنزلة المنافق فتقبل منه علانيته وتوكل سريرته إلى الله، فإنا لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس ولا نشق بطونهم .." (١)

"ص -١٧٢- الله في تلك الحال، كما هو ولي الله في سائر أحواله، فإنه ولي الله ليس عدوا له في شيء من أحواله، وليس حاله في تبليغ الرسالة دون حاله إذا صلى ودعا الله وناجاه .

وأيضا، فما يقول هذا المتكلف في قول هذا المعظم : إن النبي صلى الله عليه وسلم لبنة من فضة، وهو لبنتان من ذهب وفضة، ويزعم أن لبنة محمد صلى الله عليه وسلم هي العلم **الظاهر**، ولبنتاه الذهب : علم **الباطن**، والفضة : علم **الظاهر**، وأنه يتلقى ذلك بلا واسطة، ويصرح في فصوصه : أن رتبة الولاية أعظم من رتبة النبوة؛ لأن الولي يأخذ بلا واسطة والنبي بواسطة، فالفضيلة التي زعم أنه امتاز بها على النبي صلى الله عليه وسلم أعظم عنده مما شاركه فيه .

وبالجملة، فهو لم يتبع النبي صلى الله عليه وسلم في شيء، فإنه أخذ بزعمه عن الله ما هو متابعه فيه في **الظاهر**، كما يوافق المجتهد المجتهد والرسول الرسول، فليس عنده من اتباع الرسول والتلقي عنه شيء أصلا، لا في الحقائق الخبرية، ولا في الحقائق الشرعية .

وأيضا، فإنه لم يرض أن يكون معه كموسى مع عيسى، وكالعالم مع العالم في الشرع الذي وافقه فيه، بل ادعى أنه يأخذ ما أقره عليه من الشرع من الله في **الباطن**، فيكون أخذه للشرع عن الله أعظم من أخذ الرسول .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥٤/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ١٧٨/٤٧

"ص -٢٠٢- من الفرق أعظم مما بين العرم [العرم : اللحم . يقال : إن جزوركم لطيب العرمة، أي : طيب اللحم] والعرق .

فإن الذى عند المسلمين، من توحيد الله ومعرفة أسمائه وصفاته، وملائكته وأنبيائه ورسله، ومعرفة اليوم الآخر، وصفة الجنة والنار، والثواب والعقاب، والوعد والوعيد، أعظم وأجل بكثير مما عند اليهود والنصارى، وهذا بين لكل من يبحث عن ذلك .

وما عند المسلمين من العبادات الظاهرة والباطنة مثل : الصلوات الخمس، وغيرها من الصلوات، والأذكار والدعوات، أعظم وأجل مما عند أهل الكتاب، وما عندهم من الشريعة في المعاملات، والمناكحات والأحكام والحدود والعقوبات، أعظم وأجل مما عند أهل الكتاب .

فالمسلمون فوقهم في كل علم نافع، وعمل صالح، وهذا يظهر لكل أحد بأدنى نظر، لا يحتاج إلى كثير سعى .

والمسلمون متفقون على أن كل هدى وخير يحصل لهم، فإنما حصل بنبيهم صلى الله عليه وسلم، فكيف يمكن م ع هذا أن يكون موسى وعيسى نبيين، ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس بنبي، وأن اليهود والنصارى على الحق ؟ !." (١)

"ص -٤٠٨- وهذا يقوله لابنه، الذي لا يتقيه، ولخاصته، ويتقدم بعقوبة من يفضله عليهما . والمتواضع لا يجوز له أن يتقدم بعقوبة كل من قال الحق، ولا يجوز أن يسميه مفتريا . ورأس الفضائل العلم، وكل من كان أفضل من غيره من الأنبياء والصحابة وغيرهم، فإنه أعلم منه، قال تعالى : ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾[الزمر : ٩] ، والدلائل على ذلك كثيرة، وكلام العلماء في ذلك كثير .

وأما قوله : (أقضاكم علي)، لم يروه أحد من أهل الكتب الستة، ولا أهل المسانيد المشهورة، لا أحمد، ولا غيره بإسناد صحيح ولا ضعيف، وإنما يروى من طريق من هو معروف بالكذب، ولكن قال عمر بن الخطاب : أبي أقرؤنا، وعلي أقضانا، وهذا قاله بعد موت أبي بكر .

والذي في الترمذي وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت) وليس فيه ذكر علي، والحديث الذي فيه ذكر علي مع ضعفه فيه أن معاذ بن جبل أعلم بالحلال والحرام، وزيد بن ثابت أعلم بالفرائض . فلو قدر صحة هذا الحديث، لكان الأعلم

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/٤٩

بالحلال والحرام أوسع علما من الأعلم بالقضاء؛ لأن الذي يختص بالقضاء إنما هو فصل الخصومات في **الظاهر** مع جواز أن يكون **الباطن** بخلافه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بنحو ما أسمع . فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار) فقد أخبر سيد القضاة أن قضاءه." [١]

"ص -٤٠٩- لا يحل الحرام، بل يحرم على المسلم أن يأخذ بقضائه ما قضى له به من حق الغير . وعلم الحلال والحرام يتناول **الظاهر** **والباطن** : فكان الأعلم به أعلم بالدين .

وأيضا، فالقضاء نوعان :

أحدهما : الحكم عند تجاحد الخصمين، مثل : أن يدعي أحدهما أمرا يكذبه الآخر فيه فيحكم فيه بالبينة ونحوها .

والثاني : ما لا يتجاحدان فيه يتصادقان ولكن لا يعلمان ما يستحق كل منهما كتنازعهما في قسم فريضة، أو فيما يجب لكل من الزوجين على الآخر، أو فيما يستحقه كل من الشريكين، ونحو ذلك .

فهذا الباب هو من أبواب الحلال والحرام، فإذا أفتاهما من يرضيان بقوله كفاهما ذلك، ولم يحتاجا إلى من يحكم بينهما، وإنما يحتاجان إلى حاكم عند التجاحد، وذاك إنما يكون في الأغلب مع الفجور، وقد يكون مع النسيان؛ فأما الحلال والحرام فيحتاج إليه كل أحد من بر وفاجر، وما يختص بالقضاء لا يحتاج إليه إلا قليل من الأبرار .

ولهذا لما أمر أبو بكر عمر أن يقضي بين الناس، مكث حولا لم يتحاكم اثنان في شيء، ولو عد مجموع ما قضى النبي صلى الله عليه وسلم من هذا النوع لم يبلغ عشر حكومات، فأين هذا من كلامه في الحلال والحرام الذي هو قوام دين الإسلام يحتاج إليه الخاص والعام .." [٢]

"وقال تعالى : ﴿ الله نور السماوات والأرض﴾ الآية [النور : ٣٥] ، وقال : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧/٦٥

(٢) مجموع الفتاوى ١٨/٦٥

يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ الآية [البقرة : ٢٥٥] ، وقال : ﴿ هو الأول والآخر **والظاهر** **والباطن**﴾ [الحديد : ٣] ، ومثل هذا في القرآن كثير .." (١)

"ص -٥٨- فهو - تبارك وتعالى - نور السموات والأرض، كما أخبرعن نفسه، وله وجه، ونفس، وغير ذلك مما وصف به نفسه، ويسمع، ويرى، ويتكلم، هو الأول لا شيء قبله، والآخر الباقي إلى غير نهاية ولا شيء بعده، **والظاهر** العالى فوق كل شيء، **والباطن**، بطن علمه بخلقه فقال : ﴿ وهو بكل شيء عليم﴾ [الحديد : ٣] قيوم حي لا تأخذه سنة ولا نوم .

وذكر [أحاديث الصفات] ثم قال : فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه، ولا تقدير : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى : ١١] . لم تره العيون فتحده كيف هو، ولكن رأته القلوب في حقائق الإيمان ا . هـ .

وكلام الأئمة في هذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هذه الفتيا عشره، وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم، مثل ما ذكره أبو سليمان الخطابي في رسالته المشهورة في [الغنية عن الكلام وأهله] قال : [فأما ما س ألت عنه من الصفات، وما جاء منها في الكتاب والسنة، فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، وإنما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين، ودين الله - تعالى - بين الغالي فيه والجافي والمقصر عنه .." (٢)

"ص -١٢٣- الثلاث وسبعين فرقة، وهذا أعدل الوجهين لأصحاب أحمد، ذكرهما أبو عبد الله بن حامد وغيره .

وقسم ثان : يقولون : إنه بذاته في كل مكان، كما يقول ذلك النجارية، وكثير من الجهمية عبادهم، وصوفيتهم،وعوامهم . ويقولون : إنه عين وجود المخلوقات، كما يقوله [أهل الوحدة] القائلون بأن الوجود واحد، ومن يكون قوله مركبا من الحلول والاتحاد .

وهم يحتجون بنصوص المعية والقرب، ويتأولون نصوص العلو والاستواء، وكل نص يحتجون به حجة عليهم؛ فإن المعية أكثرها خاصة بأنبيائه وأوليائه، وعندهم أنه في كل مكان، وفي نصوصهم ما يبين نقيض قولهم، فإنه قال : ﴿ سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ [الحديد : ١] ، فكل من في

---

(١) مجموع الفتاوى ٥٧/٧١

(٢) مجموع الفتاوى ٥٨/٧١

السموات والأرض يسبح، والمسبح غير المسبح، وقال : ﴿ له ملك السماوات والأرض﴾ [الحديد : ٢] ، فبين أن الملك له، ثم قال : ﴿ هو الأول والآخر **والظاهر والباطن** وهو بكل شيء عليم﴾ [الحديد : ٣] . وفي الصحيح : (أنت الأول فليس قبلك شيء) . . . إلخ .

فإذا كان هو الأول، كان هناك ما يكون بعده، وإذا كان آخرا، كان هناك ما الرب بعده، وإذا كان ظاهرا ليس فوقه شيء، كان هناك ما الرب ظاهر عليه، وإذا كان باطنا ليس دونه شيء، كان هناك أشياء نفي عنها أن تكون دونه .." (١)

"ص -٢٢٨- إن الجهمية خارجون عن الثلاث والسبعين فرقة، وهذا أحد الوجهين لأصحاب أحمد، ذكرهما أبوعبد الله بن حامد وغيره .

وقسم ثان يقولون : إنه بذاته في كل مكان، كما يقوله النجارية، وكثير من الجهمية . عبادهم، وصوفيتهم، وعوامهم . يقولون : إنه عين وجود المخلوقات، كما يقوله [أهل الوحدة] ، القائلون بأن الوجود واحد ومن يكون قوله مركبا من الحلول والاتحاد، وهم يحتجون بنصوص [المعية والقرب] ؛ ويتأولون نصوص [العلو، والاستواء] . وكل نص يحتجون به حجة عليهم؛ فإن المعية أكثرها خاصة بأنبيائه وأوليائه، وعندهم أنه في كل مكان .

وفي النصوص ما يبين نقيض قولهم؛ فإنه قال : ﴿ سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ [الحديد : ١] ، فكل من في السموات والأرض يسبح والمسبح غير المسبح، ثم قال : ﴿ له ملك السماوات والأرض﴾ [الحديد : ٢] ، فبين أن الملك له، ثم قال : ﴿ هو الأول والآخر **والظاهر والباطن** وهو بكل شيء عليم﴾ [الحديد : ٣] . وفي الصحيح : (أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت **الظاهر** فليس فوقك شيء، وأنت **الباطن** فليس دونك شيء) ، فإذا كان هو الأول كان هناك ما يكون بعده، وإذا كان آخرا كان هناك ما الرب بعده، وإذا كان ظاهرا ليس فوقه شيء كان هناك ما الرب ظاهر عليه، وإذا كان باطنا ليس دونه شيء كان هناك أشياء نفي عنها أن تكون دونه .." (٢)

"ص -٢٤٤- والنصوص الواردة فيها الهدى والشفاء، والذي بلغها بلاغا مبينا، هو أعلم الخلق بربه وأنصحهم لخلقه وأحسنهم بيانا، وأعظمهم بلاغا، فلا يمكن أحد أن يعلم ويقول مثل ما علمه الرسول وقاله،

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/٧٢

(٢) مجموع الفتاوى ٤/٧٦

وكل من من الله عليه ببصيرة في قلبه تكون معه معرفة بهذا، ثم قال تعالى : ﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ [سبأ : ٦] وقال في ضدهم : ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشإ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ [الأنعام : ٣٩] .

وقوله تعالى : ﴿ **الظاهر**﴾ [الحديد : ٣] ضمن معنى العالي، كما قال : ﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه﴾ [الكهف : ٩٧] ، ويقال : ظهر الخطيب على المنبر، وظاهر الثوب أعلاه، بخلاف بطانته . وكذلك ظاهر البيت أعلاه، وظاهر القول ما ظهر منه وبان، وظاهر الإنسان خلاف باطنه، فكلما علا الشيء ظهر؛ ولهذا قال : (أنت **الظاهر** فليس فوقك شيء) ، فأثبت الظهور وجعل موجب الظهور أنه ليس فوقه شيء، ولم يقل : ليس شيء أبين منك ولا أعرف .

•وبهذا تبين خطأ من فسر [**الظاهر**] بأنه المعروف كما يقوله من يقول : **الظاهر** بالدليل، **الباطن** بالحجاب، كما في كلام أبي الفرج وغيره، فلم يذكر مراد الله ورسوله، وإن كان الذي ذكره له معنى صحيح، وقال : (أنت **الباطن** فليس دونك شيء) فيهما معنى الإضافة، لابد أن يكون البطون والظهور لمن." [1]
"ص -٣٤٦- فصل

وتمام الكلام في هذا الباب : أنك تعلم أنا لا نعلم ما غاب عنا إلا بمعرفة ما شهدناه، فنحن نعرف أشياء بحسنا **الظاهر** أو **الباطن**، وتلك معرفة معينة مخصوصة، ثم إنا بعقولنا نعتبر الغائب بالشاهد، فيبقى في أذهاننا قضايا عامة كلية، ثم إذا خوطبنا بوصف ما غاب عنا لم نفهم ما قيل لنا إلا بمعرفة المشهود لنا . فلولا أنا نشهد من أنفسنا جوعا وعطشا، وشبعا وريا وحبا وبغضا، ولذة وألما ورضا وسخطا، لم نعرف حقيقة ما نخاطب به إذا وصف لنا ذلك، وأخبرنا به عن غيرنا .

وكذلك لو لم نعلم ما في الشاهد؛ حياة وقدرة، وعلما وكلاما، لم نفهم ما نخاطب به إذا وصف الغائب عنا بذلك . وكذلك لو لم نشهد موجودا، لم نعرف وجود الغائب عنا، فلابد فيما شهدناه وما غاب عنا من قدر مشترك هو مسمى اللفظ المتواطئ . فبهذه الموافقة والمشاركة والمشابهة والمواطأة نفهم الغائب ونثبته، وهذا خاصة العقل .

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/٧٦

ولولا ذلك لم نعلم إلا ما نحسه، ولم نعلم أمورا عامة ولا أمورا غائبة عن أحاسيسنا الظاهرة والباطنة؛ ولهذا من لم يحس الشيء ولا نظيره لم يعرف حقيقته .." (١)

"ص -٤٣٣- به لم يحل لأحد أن يدخله في دين المسلمين، بخلاف ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فإن التصديق به واجب .

والأقوال المبتدعة تضمنت تكذيب كثير مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك يعرفه من عرف مراد الرسول صلى الله عليه وسلم ومراد أصحاب تلك الأقوال المبتدعة . ولما انتشر الكلام المحدث، ودخل فيه ما يناقض الكتاب والسنة، وصاروا يعارضون به الكتاب والسنة، صار بيان مرادهم بتلك الألفاظ وما احتجوا به لذلك من لغة وعقل، يبين للمؤمن ما يمنعه أن يقع في البدعة والضلال، أو يخلص منها إن كان قد وقع ويدفع عن نفسه في الباطن والظاهر ما يعارض إيمانه بالرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك . وهذا مبسوط في موضعه .

والمقصود هنا أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يدفع بالألفاظ المجملة كلفظ التجسيم وغيره مما قد يتضمن معنى باطلا، والنافي له ينفي الحق والباطل . فإذا ذكرت المعاني الباطلة نفرت القلوب . وإذا ألزموه ما يلزمونه من التجسيم الذي يدعونه نفر إذا قالوا له : هذا يستلزم التجسيم؛ لأن هذا لا يعقل إلا في جسم لم يحسن نقض ما قالوه، ولم يحسن حله . وكلهم متناقضون .

وحقيقة كلامهم أن ما وصف به الرب نفسه، لا يعقل منه إلا ما يعقل في." (٢)

"ص -٤٩١- كان الرائي هو المرئي فما رآه عندهم موسى، بل رأى نفسه بنفسه، وهذا يدعونه لأنفسهم .

والاتحاد والحلول باطل . وعلى قول من يقول به إنما هذا في الباطن والقلب، لا في الظاهر؛ فإن غاية ذلك ما تقوله النصارى في المسيح، ولم يقولوا : إن أحدا رأى اللاهوت الباطن المتدرع [أي : المتلبس، وفيها معنى الدخول في الشيء] . بالناسوت .

وهذا الغلط يقع كثيرا في السالكين . يقع لهم أشياء في بواطنهم فيظنونها في الخارج في ذلك بمنزلة الغالطين من نظار المتفلسفة ونحوهم؛ حيث يتصورون أشياء بعقولهم كالكليات والمجردات ونحو ذلك، فيظنونها ثابتة في الخارج، وإنما هى في نفوسهم؛ ولهذا يقول أبو القاسم السهيلي وغيره : نعوذ بالله من قياس

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/٨٠

(٢) مجموع الفتاوى ١١٦/٨٠

فلسفي، وخيال صوفي .

ولهذا يوجد التناقض الكثير في كلام هؤلاء وهؤلاء . وأما الذين جمعوا الآراء الفلسفية الفاسدة والخيالات الصوفية الكاسدة كابن عربي وأمثاله، فهم من أضل أهل الأرض؛ ولهذا كان الجنيد رضي الله عنه سيد الطائفة إمام هدى، فكان قد عرف ما يعرض لبعض السالكين، فلما سئل عن التوحيد قال : التوحيد إفراد الحدوث عن القدم .

فبين أنه يميز المحدث عن القديم تحذيرا عن الحلول والاتحاد . فجاءت." (١)

"ص -٤٩٨- في قوله تعالى : ﴿ يعلم ما يلج في الأرض﴾ من المطر ﴿ وما يخرج منها﴾ من النبات ﴿ وما ينزل من السماء﴾ من القطر ﴿ وما يعرج فيها﴾ ما يصعد إلى السماء من الملائكة ﴿ وهو معكم أين ما كنتم﴾ يعنى بقدرته وسلطانه وعلمه معكم أينما كنتم .

وبهذا الإسناد عن مقاتل بن سليمان قال : بلغنا والله أعلم في قوله تعالى : ﴿ هو الأول﴾ قال : قبل كل شيء ﴿ والآخر﴾ قال : بعد كل شيء ﴿ والظاهر﴾ قال : فوق كل شيء ﴿ والباطن﴾ قال : أقرب من كل شيء؛ وإنما نعنى بالقرب بعلمه وقدرته وهو فوق عرشه ﴿ وهو بكل شيء عليم﴾ [الحديد : ٣] يعلم نجواهم ويسمع كلامهم، ثم ينبئهم يوم القيامة بكل شيء نطقوا به، سيئ أو حسن .

وهذا ليس مشهورا عن مقاتل كشهرة الأول الذي روى عنه من وجوه لم يجزم بما قاله، بل قال : بلغنا، وهو الذي فسر الباطن بالقريب، ثم فسر القرب بالعلم والقدرة، ولا حاجة إلى هذا . وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء " وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما في تفسير هذه الأسماء، وحديث [الإدلاء] ما قد بسطنا القول عليه في [مسألة الإحاطة] .." (٢)

"ص -٥١٣- فهذا تكليمه لجميع عباده بواسطة الرسل، وذاك قربه إليهم عند الاحتضار، وعند الأقوال الباطنة في النفس والظاهرة على اللسان، وقال تعالى : ﴿ وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ [الانفطار : ١٠ ١٢] .

وقد غلط طائفة ظنوا أنه نفسه الذي يسمع منه القرآن، وهو الذي يقرؤه بنفسه بلا واسطة عند قراءة كل

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧٥/٨٠

(٢) مجموع الفتاوى ١٨٣/٨٠

قارئ، كما غلطوا في القرب، وهم طائفة من متأخري أهل الحديث ومتأخري الصوفية .

ومن الناس من يفسر قول القائلين : بأنه أقرب إلى كل شيء من نفس ذلك الشيء؛ بأن الأشياء معدومة من جهة أنفسها، وإنما هي موجودة بخلق الرب سبحانه وتعالى لها، وهي باقية بإبقائه، وهو سبحانه وتعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا موجود إلا بإيجاده، ولا باقي إلا بإبقائه . فلو قدر أنه لم يشأ خلقها وتكوينها لكانت باقية على العدم لا وجود لها أصلا، فصار هو أقرب إليها من ذواتها، فتكوين الشيء وخلقه وإيجاده هو فعل الرب سبحانه وتعالى وبه كان الشيء موجودا وكان ذاتا محققة في الخارج . والموجود دائما محتاج إلى خالقه لا يستغنى عنه طرفة عين، فكان موجودا بنسبته إلى خالقه، ومعدوما بنسبته إلى نفسه، فإنه بالنظر إلى نفسه لا يستحق إلا العدم، فكان الرب أقرب إلى المخلوقات من المخلوقات إلى أنفسها بهذا الاعتبار .

وقد يفسر بعضهم قوله تعالى : ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص : ٨٨] بهذا المعنى؛ فإن الأشياء كلها بالنظر إلى أنفسها عدم محض، ونفي صرف، وإنما هي موجودة." (١)

"ص -٥٨١- وهذا إخبار عن أنه سبحانه فوق العرش في تلك الحال، كما دل عليه القرآن، كما أخبر أنه استوى على العرش، وأنه معنا أينما كنا، وكونه معنا أمر خاص؛ فكذلك كونه مستويا على العرش . وكذلك سائر النصوص تبين وصفه بالعلو على عرشه في هذا الزمان، فعلم أن الرب سبحانه لم يزل عاليا على عرشه . فلو كان في نصف الزمان أو كله تحت العرش أو تحت بعض المخلوقات، لكان هذا مناقضا لذلك .

وأيضا، فقد ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : " اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء " ، وهذا نص في أن الله ليس فوقه شيء، وكونه الظاهر صفة لازمة له مثل كونه الأول والآخر، وكذلك الباطن، فلا يزال ظاهرا ليس فوقه شيء، ولا يزال باطنا ليس دونه شيء .

وأيضا، فحديث أبي ذر وأبي هريرة وقتادة، المذكور في تفسير هذه [الأسماء الأربعة] الذي فيه ذكر الأدلاء، قد ذكرناه في [مسألة الإحاطة] ، وهو مما يبين أن الله لا يزال عاليا على المخلوقات مع ظهوره وبطونه وفي حال نزوله إلى السماء الدنيا .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠١/٨٠

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧١/٨٠

"ص -٨- ثم قرب الرب من عبده هل هو من لوازم هذا القرب كما أن المتقرب إلى الشيء الساكن كالبيت المحجوج والجدار والجبل كلما قربت منه قرب منك ؟ أو هو قرب آخر يفعله الرب كما أنك إذا قربت إلى الشيء المتحرك إليك تحرك أيضا إليك فمنك فعل ومنه فعل آخر . هذا فيه قولان لأهل السنة مبنيان على ما تقدم من قاعدة الصفات الفعلية كمسألة النزول وغيرها وقد تقدم الكلام في ذلك . وعلى هذا فما روي من قرب الرب إلى خواص عباده وتجليه لقلوبهم كما في [الزهد لأحمد] أن موسى قال : يا رب أين أجدك ؟ قال : " عند المنكسرة قلوبهم من أجلي أقترب إليها كل يوم شبرا ولولا ذلك لاحترقت " . هذا القرب عند المتفلسفة والجهمية هو مجرد ظهوره وتجليه لقلب العبد فهو قرب المثال . ثم المتفلسفة لا تثبت حركة الروح والجهمية تسلم جواز حركة الروح إلى مكان عال وأما أهل السنة فعندهم مع التجلي والظهور تقرب ذات العبد إلى ذات ربه وفي جواز دنو ذات الله القولان وقد بسطت هذا في غير هذا الموضع . وعلى مذهب النفاة من المتكلمة لا يكون إتيان الرب ومجيئه ونزوله إلا تجليه وظهوره لعبده . إذا ارتفعت الحجب المتصلة بالعبد المانعة من المشاهدة **الباطنة** أو **الظاهرة** بمنزلة الذي كان أعمى أو أعمش فزال عماه فرأى الشمس." (١)

"ص -٥٧٣- وقدرنا أن الحبل مر في وسط الأرض، فإن الله قادر على ذلك كله، ولا فرق بالنسبة إليه على هذا التقدير من أن يخرق من جانب اليمين منا إلي جانب اليسار، أو من جهة أمامنا إلى جهة خلفنا، أو من جهة رؤوسنا إلى جهة أرجلنا إذا مر الحبل بالأرض، فعلى كل تقدير قد خرق بالحبل من جانب المحيط إلى جانبه الآخر، مع خرق المركز، وبتقدير إحاطة قبضته بالسموات والأرض، فالحبل الذي قدر أنه خرق به العالم وصل إليه، ولا يسمى شيء من ذلك بالنسبة إليه إدلاء ولا هبوطا .

وأما بالنسبة إلينا فإن ما تحت أرجلنا تحت لنا، وما فوق رؤوسنا فوق لنا، وما ندليه من ناحية رؤوسنا إلى ناحية أرجلنا نتخيل أنه هابط، فإذا قدر أن أحدنا أدلى بحبل كان هابطا على ما هناك، لكن هذا تقدير ممتنع في حقنا، والمقصود به بيان إحاطة الخالق سبحانه وتعالى، كما بين أنه يقبض السموات ويطوي الأرض ونحو ذلك مما فيه بيان إحاطته بالمخلوقات .

ولهذا قرأ في تمام هذا الحديث : ﴿ هو الأول والآخر **والظاهر** **والباطن** وهو بكل شيء عليم ﴾ [الحديد : ٣] . وهذا كله على تقدير صحته، فإن الترمذي لما رواه قال : وفسره بعض أهل الحديث بأنه هبط على علم الله، وبعض الحلولية والاتحادية يظن أن في هذا الحديث ما يدل على قولهم الباطل، وهو أنه حال

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/٨٢

بذاته في كل مكان، وأن وجوده وجود الأمكنة ونحو ذلك .

والتحقيق : أن الحديث لا يدل على شيء من ذلك إن كان ثابتا، فإن قوله :." (١)

"ص -٥٧٩- إن ظاهر ذلك كفر، فنؤول، أو نفوض، فعلى قولهم ليس في الكتاب والسنة، وأقوال السلف والأئمة في هذا الباب إلا ما ظاهره الكفر، وليس فيها من الإيمان في هذا الباب شيء، والسلب الذي يزعمون أنه الحق الذي يجب على المؤمن أو خواص المؤمنين اعتقاده عندهم لم ينطق به رسول، ولا نبي، ولا أحد من ورثة الأنبياء والمرسلين، والذي نطقت به الأنبياء وورثتهم ليس عندهم هو الحق، بل هو مخالف للحق في **الظاهر**، بل وحذاقهم يعلمون أنه مخالف للحق في **الظاهر** **والباطن** .

لكن هؤلاء منهم من يزعم أن الأنبياء لم يمكنهم أن يخاطبوا الناس إلا بخلاف الحق **الباطن**، فلبسوا وكذبوا لمصلحة العامة، فيقال لهم : فهلا نطقوا **بالباطن** لخواصهم الأذكياء الفضلاء إن كان ما يزعمونه حقا ؟

وقد علم أن خواص الرسل هم على الإثبات أيضا وأنه لم ينطق بالنفي أحد منهم إلا أن يكذب على أحدهم، كما يقال عن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر كانا يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما، وهذا مختلق باتفاق أهل العلم، وكذلك ما نقل عن علي وأهل بيته : أن عندهم علما باطنا يخالف **الظاهر** الذي عند جمهور الأمة، وقد ثبت في الصحاح وغيرها عن علي رضي الله عنه أنه لم يكن عندهم من النبي صلى الله عليه وسلم سر ليس عند الناس، ولا كتاب مكتوب إلا ما كان في الصحيفة، وفيها : الديات، وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر .." (٢)

"ص -١٠- وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن عمل لآخرته، كفاه الله أمر دنياه . رواه ابن أبي الدنيا في كتاب [الإخلاص] .

فعلم أن القلب إذا صلح بالإيمان، صلح الجسد بالإسلام، وهو من الإيمان؛ يدل على ذلك أنه قال في حديث جبرائيل : " هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم " . فجعل الدين هو الإسلام، والإيمان، والإحسان . فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة، لكن هو درجات ثلاث : مسلم ثم مؤمن ثم محسن، كما قال تعالى : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ [فاطر : ٣٢] ، والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة، بخلاف الظالم لنفسه . وهكذا من أتى بالإسلام **الظاهر** مع تصديق القلب، لكن لم يقم بما يجب عليه من الإيمان **الباطن**، فإنه معرض

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٠/١٠٦

(٢) مجموع الفتاوى ٣٦/١٠٦

للوعيد، كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

وأما [الإحسان] فهو أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإيمان . و [الإيمان] أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإسلام . فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين . وهذا كما يقال : في [الرسالة والنبوة] ، فالنبوة داخلة في الرسالة، والرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها؛فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا، فالأنبياء أعم، والنبوة نفسها جزء من الرسالة، فالرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف النبوة؛ فإنها لا تتناول الرسالة .." (١)

"ص -١٤- ويذكر أيضا لفظ المؤمنين مقرونا بالذين هادوا والنصارى والصابئين، ثم يقول : ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة : ٦٢] ، فالمؤمنون في ابتداء الخطاب غير الثلاثة، والإيمان الآخر عمهم؛ كما عمهم في قوله : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ وسنبسط هذا إن شاء الله تعالى .

فالمقصود هنا العموم والخصوص بالنسبة إلى ما في الباطن والظاهر من الإيمان . وأما العموم بالنسبة إلى الملل، فتلك مسألة أخرى . فلما ذكر الإيمان مع الإسلام، جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة : الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج . وجعل الإيمان ما في القلب من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر . وهكذا في الحديث الذي رواه أحمد، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الإسلام علانية، والإيمان في القلب " .

وإذا ذكر اسم الإيمان مجردا، دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة، كقوله في حديث الشعب : " الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها : قول لا إله إلا الله، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق " . وكذلك سائر الأحاديث التي يجعل فيها أعمال البر من الإيمان .

ثم إن نفي [الإيمان] عند عدمها، دل على أنها واجبة، وإن ذكر فضل إيمان صاحبها ولم ينف إيمانه دل على أنها مستحبة؛ فإن الله ورسوله." (٢)

"ص -٣١- كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان، قام فنقر أربعا لا يذكر

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/١١١

(٢) مجموع الفتاوى ١١/١١١

الله فيها إلا قليلا " ، وقد قال تعالى : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يرآؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ [النساء : ١٤٢] .

وفي السنن عن عمار، عن النبي صلىالله عليه وسلم أنه قال : " إن العبد لينصرف من صلاته ولم يكتب له منها إلا نصفها، إلا ثلثها " ، حتى قال : " إلا عشرها " ، وعن ابن عباس قال : ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها . وهذا وإن لم يؤمر بإعادة الصلاة عند أكثر العلماء، لكن يؤمر بأن يأتي من التطوعات بما يجبر نقص فرضه . ومعلوم أن من حافظ على الصلوات بخشوعها **الباطن**، وأعمالها **الظاهرة**، وكان يخشى الله الخشية التي أمره بها، فإنه يأتي بالواجبات، ولا يأتي كبيرة، ومن أتى الكبائر ـــ مثل الزنا، أو السرقة، أو شرب الخمر، وغير ذلك ـــ فلابد أن يذهب ما في قلبه من تلك الخشية والخشوع والنور، وإن بقي أصل التصديق في قلبه . وهذا من الإيمان الذي ينزع منه عند فعل الكبيرة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن " . فإن المتقين كما وصفهم الله بقوله : ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ [الأعراف : ٢٠١] ، فإذا طاف بقلوبهم طائف من الشيطان." (١)

"ص -٩٩- الفرس وابن الحمار مجازا وكذلك إذا قيل بنت الإنسان لم يكن قولنا بنت الفرس مجازا وكذلك إذا قيل : رأس الإنسان أولا لم يكن قولنا : رأس الفرس مجازا وكذلك في سائر المضافات إذا قيل : يده أو رجله فإذا قيل هو حقيقة فيما أضيف إلى الحيوان قيل ليس جعل هذا هو الحقيقة بأولى من أن يجعل ما أضيف إلى الإنسان رأس ثم قد يضاف إلى ما لا يتصوره أكثر الناس من الحيوانات الصغار التي لم تخطر ببال عامة الناطقين باللغة فإذا قيل : إنه حقيقة في هذا فلمإذا لا يكون حقيقة في رأس الجبل والطريق والعين وكذلك سائر ما يضاف إلى الإنسان من أعضائه وأولاده ومساكنه يضاف مثله إلى غيره ويضاف ذلك إلى الجمادات فيقال رأس الجبل ورأس العين وخطم الجبل أي أنفه وفم الوادي وبطن الوادي وظهر الجبل وبطن الأرض وظهرها ويستعمل مع الألف وهو لفظ **الظاهر** **والباطن** في أمور كثيرة والمعنى في الجميع أن **الظاهر** لما لما ظهر فتبين **والباطن** لما بطن فخفي وسمى ظهر الإنسان ظهرا لظهوره وبطن الإنسان بطنا لبطونه .

فإذا قيل : إن هذا حقيقة وذاك مجاز لم يكن هذا أولى من العكس و أيضا من الأسماء ما تكلم به أهل اللغة مفردا كلفظ الإنسان ونحوه ثم قد يستعمل مقيدا بالإضافة كقولهم إنسان العين وإبرة الذراع ونحو ذلك

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٢/١١١

وبتقدير أن يكون في اللغة حقيقة ومجاز فقد ادعى بعضهم أن هذا من المجاز؛ وهو غلط فان المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أولا وهنا لم يستعمل اللفظ بل ركب مع لفظ آخر فصار وضعا آخر بالإضافة .." (١)

"ص -١٤٣- فهذا لم يسم قط مؤمنا، وعند الجهمية إذا كان العلم في قلبه فهو مؤمن كامل الإيمان، إيمانه كإيمان النبيين، ولو قال وعمل ماذا عسى أن يقول ويعمل ؟ ولا يتصور عندهم أن ينتفي عنه الإيمان إلا إذا زال ذلك العلم من قلبه .

ثم أكثر المتأخرين الذين نصروا قول جهم يقولون بالإستثناء في الإيمان، ويقولون : الإيمان في الشرع هو ما يوافي به العبد ربه، وإن كان في اللغة أعم من ذلك، فجعلوا في مسألة الإستثناء مسمى الإيمان ما ادعوا أنه مسماه في الشرع، وعدلوا عن اللغة، فهلا فعلوا هذا في الأعمال . ودلالة الشرع على أن الأعمال الواجبة من تمام الإيمان لا تحصى كثرة، بخلاف دلالته على أنه لا يسمى إيمانا؛ إلا ما مات الرجل عليه فإنه ليس في الشرع ما يدل على هذا، وهو قول محدث لم يقله أحد من السلف، لكن هؤلاء ظنوا أن الذين استثنوا في الإيمان من السلف كان هذا مأخذهم؛ لأن هؤلاء وأمثالهم لم يكونوا خبيرين بكلام السلف، بل ينصرون ما يظهر من أقوالهم بما تلقوه عن المتكلمين من الجهمية ونحوهم من أهل البدع، فيبقى **الظاهر** قول السلف، **والباطن** قول الجهمية الذين هم أفسد الناس مقالة في الإيمان . وسنذكر إن شاء الله أقوال السلف في [الاستثناء في الإيمان] ولهذا لما صار يظهر لبعض أتباع أبي الحسن فساد قول جهم في الإيمان، خالفه كثير منهم، فمنهم من اتبع السلف .

قال أبو القاسم الأنصاري شيخ الشهرستاني في [شرح الإرشاد] لأبي المعالي، بعد أن ذكر قول أصحابه قال : وذهب أهل الأثر إلى أن الإيمان جميع الطاعات،." (٢)

"ص -١٨٢- وقال تعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ [المنافقون: ٨ : ١٠] . وفي ﴿ يكذبون ﴾ قراءتان مشهورتان، فإنهم كذبوا في قولهم : آمنا بالله واليوم الآخر، وكذبوا الرسول في **الباطن** وإن صدقوه في **الظاهر**، وقال تعالى : ﴿ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ [العنكبوت : ١ : ٣] ، فبين أنه لابد أن يفتن الناس أي : يمتحنهم

(١) مجموع الفتاوى ١١١/١١١

(٢) مجموع الفتاوى ١٥٧/١١١

ويبتليهم ويختبرهم . يقال : فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتميزه مما اختلط به، ومنه قول موسى : ﴿ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [الأعراف : ١٥٥] ، أي : محنتك واختبارك وابتلاؤك، كما ابتليت عبادك بالحسنات والسيئات ليتبين الصبار الشكور من غيره، وابتليتهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب ليتبين المؤمن من الكافر، والصادق من الكاذب، والمنافق من المخلص، فتجعل ذلك سببا لضلالة قوم وهدي آخرين .." (١)

"ص -١٨٧- ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، إلا وهي القلب "

وقال أبو هريرة : القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده، وقول أبي هريرة تقريب، وقول النبي صلى الله عليه وسلم أحسن بيانا، فإن الملك وإن كان صالحا فالجند لهم اختيار، قد يعصون به ملكهم وبالعكس، فيكون فيهم صلاح مع فساده، أو فساد مع صلاحه، بخلاف القلب؛فإن الجسد تابع له لا يخرج عن إرادته قط، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد "

فإذا كان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علما وعملا قلبيا، لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أئمة أهل الحديث : قول وعمل، قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر، والظاهر تابع للباطن لازم له، متى صلح الباطن صلح الظاهر، وإذا فسد فسد؛ ولهذا قال : من قال من الصحابه عن المصلي العابث : لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه . فلابد في إيمان القلب من حب الله ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، قال الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] ،." (٢)

"ص -١٨٨- فوصف الذين آمنوا بأنهم أشد حبا لله من المشركين لأندادهم .

وفي الآية قولان : قيل : يحبونهم كحب المؤمنين الله، والذين آمنوا أشد حبا لله منهم لأوثانهم . وقيل : يحبونهم كما يحبون الله، والذين آمنوا أشد حبا لله منهم، وهذا هو الصواب، والأول قول متناقض وهو

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠٧/١١١

(٢) مجموع الفتاوى ٢١٤/١١١

باطل، فإن المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة المؤمنين لله، وتستلزم الإرادة، والإرادة التامة مع القدرة تستلزم الفعل، فيمتنع أن يكون الإنسان محبا لله ورسوله، مريدا لما يحبه الله ورسوله إرادة جازمة، مع قدرته على ذلك وهو لا يفعله، فإذا لم يتكلم الإنسان بالإيمان مع قدرته، دل على أنه ليس في قلبه الإيمان الواجب الذي فرضه الله عليه .

ومن هنا يظهر خطأ قول جهم بن صفوان ومن اتبعه، حيث ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، لم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان، وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمنا كامل الإيمان بقلبه، وهو مع هذا يسب الله ورسوله، ويعادي الله ورسوله، ويعادي أولياء الله، ويوالي أعداء الله، ويقتل الأنبياء، ويهدم المساجد، ويهين المصاحف، ويكرم الكفار غاية الكرامة، ويهين المؤمنين غاية الإهانة، قالوا : وهذه كلها معاص لا تنافي الإيمان الذي في قلبه، بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن قالوا : وإنما ثبت له في الدنيا أحكام الكفار؛ لأن هذه الأقوال أمارة على الكفر ليحكم بالظاهر كما يحكم." (١)

"ص -١٩٣- متابعته فراق دين آبائهم وذم قريش لهم، فما احتملت نفوسهم ترك تلك العادة واحتمال هذا الذم، فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم بصدق الإيمان به، بل لهوى النفس، فكيف يقال : إن كل كافر إنما كفر لعدم علمه بالله ؟

ولم يكف الجهمية أن جعلوا كل كافر جاهلا بالحق حتى قالوا : هو لا يعرف أن الله موجود حق، والكفر عندهم ليس هو الجهل بأي حق كان، بل الجهل بهذا الحق المعين، ونحن والناس كلهم يرون خلقا من الكفار يعرفون في الباطن أن دين الإسلام حق، ويذكرون ما يمنعهم من الإيمان، إما معاداة أهلهم، وإما مال يحصل لهم من جهتهم يقطعونه عنهم، وإما خوفهم إذا آمنوا ألا يكون لهم حرمة عند المسلمين كحرمتهم في دينهم، وأمثال ذلك من أغراضهم التي يبينون أنها المانعة لهم من الإيمان، مع علمهم بأن دين الإسلام حق، ودينهم باطل . وهذا موجود في جميع الأمور التي هي حق، يوجد من يعرف بقلبه أنها حق وهو في الظاهر يجحد ذلك، ويعادي أهله لظنه أن ذلك يجلب له منفعه ويدفع عنه مضرة . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دآئرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا

---

(١) مجموع الفتاوى ١١١/٢١٥

أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين ﴾ [المائدة : ٥١ : ٥٣] .." (١)

"ص -٢١٠- الإيمان **الظاهر** الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في **الباطن** الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة، فإن المنافقين الذين قالوا : ﴿ آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ [البقرة : ٨] هم في **الظاهر** مؤمنون يصلون مع الناس، ويصومون ويحجون ويغزون، والمسلمون يناكحونهم ويوارثونهم كما كان المنافقون في عهد رسول الله صلىالله عليه وسلم، ولم يحكم النبي صلىالله عليه وسلم في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر، لا في مناكحتهم ولا موارثتهم ولا نحو ذلك، بل لما مات عبد الله بن أبي بن سلول وهو من أشهر الناس بالنفاق ورثه ابنه عبد الله وهو من خيار المؤمنين، وكذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون، وإذا مات لأحدهم وارث ورثوه مع المسلمين .

وقد تنازع الفقهاء في المنافق الزنديق الذي يكتم زندقته، هل يرث ويورث ؟ على قولين، والصحيح : أنه يرث ويورث وإن علم في **الباطن** أنه منافق، كما كان الصحابة على عهد النبي صلىالله عليه وسلم؛لأن الميراث مبناه على الموالاة **الظاهرة**، لا على المحبة التي في القلوب، فإنه لو علق بذلك لم تمكن معرفته، والحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة علق الحكم بمظنتها، وهو ما أظهره من موالاة المسلمين فقول النبي صلىالله عليه وسلم : " لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم " لم يدخل فيه المنافقون وإن كانوا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، بل كانوا يورثون ويرثون، وكذلك كانوا في الحقوق والحدود كسائر المسلمين، وقد أخبر الله عنهم أنهم يصلون ويزكون ومع هذا." (٢)

"ص -٢١٦- يكون مؤمنا في **الباطن** باتفاق جميع أهل القبلة، حتى الكرامية الذين يسمون المنافق مؤمنا ويقولون : الإيمان هو الكلمة، يقولون : إنه لا ينفع في الآخرة إلا الإيمان **الباطن** . وقد حكى بعضهم عنهم أنهم يجعلون المنافقين من أهل الجنة، وهو غلط عليهم، إنما نازعوا في الاسم لا في الحكم بسبب شبهة المرجئة؛ في أن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل؛ ولهذا أكثر ما اشترط الفقهاء في الرقبة التي تجزئ في الكفارة العمل **الظاهر**، فتنازعوا : هل يجزئ الصغير ؟ على قولين معروفين للسلف، هما روايتان عن أحمد، فقيل : لا يجزئ عتقه؛ لأن الإيمان قول وعمل، والصغير لم يؤمن بنفسه إنما إيمانه تبع لأبويه في

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/٢٢١

(٢) مجموع الفتاوى ١١/٢٤٠

أحكام الدنيا، ولم يشترط أحد أن يعلم أنه مؤمن في **الباطن**، وقيل : بل يجزئ عتقه؛ لأن العتق من الأحكام **الظاهرة** وهو تبع لأبويه، فكما أنه يرث منهما ويصلي عليه، ولا يصلي إلا على مؤمن، فإنه يعتق .

وكذلك المنافقون الذين لم يظهروا نفاقهم، يصلى عليهم إذا ماتوا، ويدفنون في مقابر المسلمين من عهد النبي صلىالله عليه وسلم، والمقبرة التي كانت للمسلمين في حياته وحياة خلفائه وأصحابه يدفن فيها كل من أظهر الإيمان وإن كان منافقا في **الباطن**، ولم يكن للمنافقين مقبرة يتميزون بها عن المسلمين في شيء من ديار الإسلام، كما تكون لليهود والنصارى مقبرة يتميزون بها، ومن دفن في مقابر المسلمين صلى عليه المسلمون، والصلاة لا تجوز على من علم نفاقه بنص القرآن، فعلم أن ذلك بناء على الإيمان **الظاهر**، والله يتولى السرائر، وقد كان النبي صلىالله عليه وسلم." (١)

"ص -٢١٧- يصلي عليهم ويستغفر لهم حتى نهى عن ذلك، وعلل ذلك بالكفر، فكان ذلك دليلا على أن كل من لم يعلم أنه كافر **بالباطن** جازت الصلاة عليه والاستغفار له، وإن كانت فيه بدعة، وإن كان له ذنوب .

وإذا ترك الإمام، أو أهل العلم والدين الصلاة على بعض المتظاهرين ببدعة أو فجور زجرا عنها، لم يكن ذلك محرما للصلاة عليه والاستغفار له، بل قال النبي صلىالله عليه وسلم فيمن كان يمتنع عن الصلاة عليه وهو الغال وقاتل نفسه والمدين الذي لا وفاء له : " صلوا على صاحبكم " . وروى أنه كان يستغفر للرجل في **الباطن** وإن كان في **الظاهر** يدع ذلك زجرا عن مثل مذهبه، كما روى في حديث محلم بن جثامة .

وليس في الكتاب والسنة المظهرون للإسلام إلا قسمان : مؤمن أو منافق، فالمنافق في الدرك الأسفل من النار، والآخر مؤمن، ثم قد يكون ناقص الإيمان فلا يتناوله الاسم المطلق، وقد يكون تام الإيمان، وهذا يأتي الكلام عليه إن شاء الله في مسألة الإسلام والإيمان، وأسماء الفساق من أهل الملة، لكن المقصود هنا أنه لا يجعل أحد بمجرد ذنب يذنبه ولا ببدعة ابتدعها ولو دعا الناس إليها كافرا في **الباطن**، إلا إذا كان منافقا . فأما من كان في قلبه الإيمان بالرسول وما جاء به وقد غلط في بعض ما تأوله من البدع، فهذا ليس بكافر أصلا، والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالا للأمة وتكفيرا لها، ولم يكن في الصحابة من يكفرهم لا علي بن أبي طالب ولا غيره، بل حكموا." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٤٦/١١

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤٧/١١

"ص -٢١٩- أم لا ؟ ولهذا فرض متأخرو الفقهاء مسألة يمتنع وقوعها وهي : أن الرجل إذا كان مقرا بوجوب الصلاة فدعى إليها وامتنع، واستتيب ثلاثا مع تهديده بالقتل فلم يصل حتى قتل، هل يموت كافرا أو فاسقا ؟ على قولين .

وهذا الفرض باطل، فإنه يمتنع في الفطرة أن يكون الرجل يعتقد أن الله فرضها عليه، وأنه يعاقبه على تركها ويصبر على القتل، ولا يسجد لله سجدة من غير عذر له في ذلك، هذا لا يفعله بشر قط، بل ولا يضرب أحد ممن يقر بوجوب الصلاة إلا صلى، لا ينتهي الأمر به إلى القتل، وسبب ذلك : أن القتل ضرر عظيم لا يصبر عليه الإنسان إلا لأمر عظيم، مثل لزومه لدين يعتقد أنه إن فارقه هلك فيصبر عليه حتى يقتل، وسواء كان الدين حقا أو باطلا، أما مع اعتقاده أن الفعل يجب عليه باطنا وظاهرا، فلا يكون فعل الصلاة أصعب عليه من احتمال القتل قط .

ونظير هذا لو قيل : إن رجلا من أهل السنة قيل له : ترض عن أبي بكر وعمر فامتنع عن ذلك حتى قتل مع محبته لهما واعتقاده فضلهما، ومع عدم الأعذار المانعة من الترضي عنهما، فهذا لا يقع قط . وكذلك لو قيل : إن رجلا يشهد أن محمدا رسول الله باطنا وظاهرا وقد طلب منه ذلك، وليس هناك رهبة ولا رغبة يمتنع لأجلها، فامتنع منها حتى قتل، فهذا يمتنع أن يكون في الباطن يشهد أن محمدا رسول الله؛ ولهذا كان القول الظاهر من الإيمان الذي لا نجاة للعبد إلا به عند عامة السلف والخلف من الأولين والآخرين إلا الجهمية جهما ومن وافقه فإنه إذا قدر أنه معذور لكونه أخرس، أو لكونه خائفا من قوم إن." (١)

"ص -٢٣٥- ربه أن قومه عبدوا العجل، لم يلق الألواح، فلما رآهم قد عبدوه ألقاها؛ وليس ذلك لشك موسى في خبر الله، لكن المخبر وإن جزم بصدق المخبر، فقد لا يتصور المخبر به في نفسه، كما يتصوره إذا عاينه، بل يكون قلبه مشغولا عن تصور المخبر به، وإن كان مصدقا به، ومعلوم أنه عند المعاينة يحصل له من تصور المخبر به ما لم يكن عند الخبر، فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق .

الخامس : أن أعمال القلوب، مثل محبة الله ورسوله، وخشية الله تعالى ورجائه، ونحو ذلك، هي كلها من الإيمان، كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف، وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلا عظيما .

السادس : أن الأعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضا من الإيمان، والناس يتفاضلون فيها .

السابع : ذكر الإنسان بقلبه ما أمره الله به واستحضاره لذلك، بحيث لا يكون غافلا عنه، أكمل ممن صدق به وغفل عنه، فإن الغفلة تضاد كمال العلم والتصديق والذكر، والاستحضار يكمل العلم واليقين؛

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٤٩/١١١

ولهذا قال عمر بن حبيب من الصحابة : إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فتلك نقصانه وهو كذلك . وكان معاذ بن جبل يقول لأصحابه : اجلسوا بنا ساعة نؤمن، قال تعالى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ﴾ [الكهف : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ [الذاريات : ٥٥] ، وقال تعالى : ﴿ سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى ﴾ [الأعلى : ١٠، ١١] ثم كلما تذكر الإنسان ما عرفه قبل ذلك، وعمل به،." (١)

"ص -٢٤١- بـ ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا ﴾ ، غير قوله : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ﴾ [الحجرات : ١٥] ونظائرها، فإن الخطاب ب ﴿ يا أيها الذين آمنوا﴾ أولا : يدخل فيه من أظهر الإيمان، وإن كان منافقا في **الباطن** يدخل فيه في **الظاهر**، فكيف لا يدخل فيه من لم يكن منافقا، وإن لم يكن من المؤمنين حقا .

وحقيقته أن من لم يكن من المؤمنين حقا، يقال فيه : إنه مسلم، ومعه إيمان يمنعه الخلود في النار، وهذا متفق عليه بين أهل السنة، لكن هل يطلق عليه اسم الإيمان ؟ هذا هو الذي تنازعوا فيه . فقيل : يقال : مسلم، ولا يقال : مؤمن . وقيل : بل يقال : مؤمن .

والتحقيق أن يقال : إنه مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، ولا يعطي اسم الإيمان المطلق، فإن الكتاب والسنة نفيا عنه الاسم المطلق، واسم الإيمان يتناوله فيما أمر الله به ورسوله؛ لأن ذلك إيجاب عليه وتحريم عليه، وهو لازم له كما يلزمه غيره، وإنما الكلام في اسم المدح المطلق، وعلى هذا فالخطاب بالإيمان يدخل فيه ثلاث طوائف : يدخل فيه المؤمن حقا . ويدخل فيه المنافق في أحكامه **الظاهرة**، وإن كانوا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، وهو في **الباطن** ينفي عنه الإسلام والإيمان، وفي **الظاهر** يثبت له الإسلام والإيمان **الظاهر** . ويدخل فيه الذين أسلموا وإن لم تدخل حقيقة الإيمان في قلوبهم، لكن معهم جزء من الإيمان والإسلام يثابون عليه .." (٢)

"ص -٢٤٤- حقائق الإيمان، فإن الرجل إذا قوتل حتى أسلم، كما كان الكفار يقاتلون حتى يسلموا، أو أسلم بعد الأسر، أو سمع بالإسلام فجاء فأسلم، فإنه مسلم ملتزم طاعة الرسول، ولم تدخل إلى قلبه المعرفة بحقائق الإيمان، فإن هذا إنما يحصل لمن تيسرت له أسباب ذلك، إما بفهم القرآن وإما بمباشرة أهل الإيمان والاقتداء بما يصدر عنهم من الأقوال والأعمال، وإما بهداية خاصة من الله يهديه بها .

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٦٨/١١

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧٤/١١

والإنسان قد يظهر له من محاسن الإسلام ما يدعوه إلى الدخول فيه، وإن كان قد ولد عليه وتربى بين أهله فإنه يحبه، فقد ظهر له بعض محاسنه وبعض مساوئ الكفار . وكثير من هؤلاء قد يرتاب إذا سمع الشبه القادحة فيه، ولا يجاهد في سبيل الله، فليس هو داخلا في قوله : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾ [الحجرات : ١٥] ، وليس هو منافقا في **الباطن** مضمرا للكفر، فلا هو من المؤمنين حقا ولا هو من المنافقين، ولا هو أيضا من أصحاب الكبائر، بل يأتي بالطاعات **الظاهرة** ولا يأتي بحقائق الإيمان التي يكون بها من المؤمنين حقا، فهذا معه إيمان وليس هو من المؤمنين حقا، ويثاب على ما فعل من الطاعات؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ ولكن قولوا أسلمنا ﴾ ؛ولهذا قال : ﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ [الحجرات : ١٧] يعني : في قولكم : ﴿ آمنا ﴾ .

يقول : إن كنتم صادقين فالله يمن عليكم أن هداكم للإيمان، وهذا." (١)

"ص -٣٣٤- جسم، فهما شيئان منفردان، وهما في الحكم والمعنى منفصلان، ومثلهما أيضا مثل حبة لها ظاهر وباطن وهي واحدة، لا يقال : حبتان لتفاوت صفتهما . فكذلك أعمال الإسلام من الإسلام هو ظاهر الإيمان، وهو من أعمال الجوارح، والإيمان باطن الإسلام وهو من أعمال القلوب .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الإسلام علانية، والإيمان في القلب " وفي لفظ : " الإيمان سر " فالإسلام أعمال الإيمان، والإيمان عقود الإسلام، فلا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بعقد . ومثل ذلك مثل العمل **الظاهر** **والباطن**، أحدهما مرتبط بصاحبه من أعمال القلوب وعمل الجوارح، ومثله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات " أي : لا عمل إلا بعقد وقصد؛ لأن [إنما] تحقيق للشيء ونفي لما سواه، فأثبت بذلك عمل الجوارح من المعاملات، وعمل القلوب من النيات، فمثل العمل من الإيمان كمثل الشفتين من اللسان لا يصح الكلام إلا بهما؛ لأن الشفتين تجمع الحروف، واللسان يظهر الكلام، وفي سقوط أحدهما بطلان الكلام، وكذلك في سقوط العمل ذهاب الإيمان؛ ولذلك حين عدد الله نعمه على الإنسان بالكلام ذكر الشفتين مع اللسان في قوله : ﴿ ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين ﴾ [البلد : ٨، ٩] بمعنى : ألم نجعله ناظرا متكلما، فعبر عن الكلام باللسان والشفتين لأنهما

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٧٨/١١١

مكان له وذكر الشفتين؛لأن الكلام الذي جرت به النعمة لا يتم إلا بهما .

ومثل الإيمان والإسلام أيضا كفسطاط قائم في الأرض له ظاهر." (١)

"ص -٣٣٩- ما هو من المواهب والفضل من الله فإنه من جنس العلم، والإسلام **الظاهر** من جنس العمل، وقد قال تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ [محمد : ١٧] ، وقال : ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ [مريم : ٧٦] ، وقال : ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ﴾ [الفتح : ٤] .

ومثل هذه السكينة قد لا تكون مقدورة، ولكن الله يجعل ذلك في قلبه، فضلا منه وجزاء على عمل سابق، كما قال : ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ [النساء : ٦٦ : ٦٨] ، كما قال : ﴿ اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ﴾ [الحديد : ٢٨] ، وكما قال : ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ [المجادلة : ٢٢] ؛ ولهذا قيل : من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، وهذا الجنس غير مقدور للعباد، وإن كان ما يقدرون عليه من الأعمال **الظاهرة** **والباطنة** هو أيضا بفضل الله وإعانته وإقداره لهم، لكن الأمور قسمان : منه ما جنسه مقدور لهم لإعانة الله لهم، كالقيام والقعود، ومنه ما جنسه غير مقدور لهم، إذا قيل : إن الله يعطي من أطاعه قوة في قلبه وبدنه يكون بها قادرا على ما لا يقدر عليه غيره، فهذا أيضا حق وهو من جنس هذا المعنى، قال تعالى : ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملآئكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴾ [الأنفال : ١٢] ، وقد قال : ﴿ إذا لقيتم فئة فاثبتوا ﴾ [الأنفال : ٤٥] ، فأمرهم بالثبات وهذا الثبات،." (٢)

"ص -٣٤٤- وقد بين في مواضع أسباب المغفرة وأسباب العذاب، وكذلك يرزق من يشاء بغير حساب، وقد عرف أنه قد يخص من يشاء بأسباب الرزق .

وإذا كان من الإيمان ما يعجز عنه كثير من الناس، ويختص الله به من يشاء، فذلك مما يفضلهم الله به، وذلك الإيمان ينفي عن غيرهم، لكن لا على وجه الذم بل على وجه التفضيل، فإن الذم إنما يكون على ترك مأمور أو فعل محظور . لكن على ما ذكره أبو طالب، يقال : فمثل هؤلاء مسلمون لا مؤمنون باعتبار، ويقال : إنهم مؤمنون باعتبار آخر، وعلى هذا ينفي الإيمان عمن فاته الكمال المستحب، بل الكمال الذي

---

(١) مجموع الفتاوى ١١١/٣٧٥

(٢) مجموع الفتاوى ١١١/٣٨٠

يفضل به على من فاته، وإن كان غير مقدور للعباد بل ينفي عنه الكمال الذي وجب على غيره، وإن لم يكن في حقه لا واجبا ولا مستحبا، لكن هذا لا يعرف في كلام الشارع، ولم يعرف في كلامه إلا أن نفي الإيمان يقتضي الذم حيث كان، فلا ينفي إلا عمن له ذنب، فتبين أن قوله : " أو مسلم " توقف في أداء الواجبات الباطنة والظاهرة كما قال جماهير الناس .

ثم طائفة يقولون : قد يكون منافقا ليس معه شيء من الإيمان، وهم الذين يقولون : الأعراب المذكورون منافقون ليس معهم من الإيمان شيء، وهذا هو القول الذي نصره طائفة، كمحمد بن نصر، والأكثرون يقولون : بل هؤلاء لم يكونوا من المنافقين الذين لا يقبل منهم شيء من أعمالهم، وإن كان فيهم شعبة نفاق، بل كان معهم تصديق يقبل معه منهم ما عملوه لله؛ ولهذا جعلهم مسلمين؛ ولهذا قال : ﴿ أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ [الحجرات : ١٧] ، كما." (١)

"ص -٣٦١- وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح : قوله صلى الله عليه وسلم : " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله " إلى آخره، و " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله " إلى آخره . قال : هذا بيان لأصل الإيمان، وهوالتصديق الباطن وبيان لأصل الإسلام، وهو الاستسلام والانقياد الظاهر . وحكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما الأربع لكونها أظهر شعائر الإسلام ومعظمها، وبقيامه بها يتم استسلامه، وتركه لها يشعر بحل قيد انقياده وانحلاله .

ثم إن اسم الإيمان يتناول ما فسر به الإسلام في هذا الحديث، وسائر الطاعات لكونها ثمرات التصديق الباطن، الذي هو أصل الإيمان، مقومات ومتممات وحافظات له؛ ولهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصوم، وإعطاء الخمس من المغنم؛ ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبي رة أو ترك فريضة، لأن اسم الشيء الكامل يقع على الكامل منه، ولا يستعمل في الناقص ظاهرا إلا بقيد؛ ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قوله صلى الله عليه وسلم : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " .

واسم الإسلام يتناول أيضا ما هو [أصل الإيمان] وهو التصديق، ويتناول [أصل الطاعات] فإن ذلك كله استسلام . قال : فخرج مما ذكرناه وحققناه أن الإسلام والإيمان يجتمعان ويفترقان؛ وأن كل مؤمن مسلم، وليس." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ١١١/٣٨٦

(٢) مجموع الفتاوى ١١١/٤٠٦

"ص -٣٦٢- كل مسلم مؤمنا . قال : فهذا تحقيق واف بالتوفيق بين متفرقات النصوص الواردة في الإيمان والإسلام، التي طالما غلط فيها الخائضون، وما حققناه من ذلك موافق لمذاهب جماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم .

فيقال : هذا الذي ذكره رحمه الله فيه من الموافقة لما قد بين من أقوال الأئمة، وما دل عليه الكتاب والسنة ما يظهر به أن الجمهور يقولون : كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا، وقوله : إن الحديث ذكر فيه أصل الإيمان وأصل الإسلام، قد يورد عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاب عن الإيمان والإسلام بما هو من جنس الجواب بالحد عن المحدود، فيكون ما ذكره مطابقا لهما لا لأصلهما فقط، فالإيمان هو الإيمان بما ذكره باطنا وظاهرا، لكن ما ذكره من الإيمان تضمن الإسلام، كما أن الإحسان تضمن الإيمان .

وقول القائل : أصل الاستسلام هو الإسلام **الظاهر**، فالإسلام هو الاستسلام لله والانقياد له ظاهرا وباطنا، فهذا هو دين الإسلام الذي ارتضاه الله كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، ومن أسلم بظاهره دون باطنه فهو منافق يقبل ظاهره، فإنه لم يؤمر أن يشق عن قلوب الناس، وأيضا فإذا كان الإسلام يتناول التصديق **الباطن** الذي هو أصل الإيمان، فيلزم أن يكون كل مسلم مؤمنا، وهو خلاف ما نقل عن الجمهور، ولكن لابد في الإسلام من تصديق يحصل به أصل الإيمان، وإلا لم يثب عليه، فيكون." (١)

"ص -٣٧٥- موضعه، وهذا لا يمنع ترك الاستثناء إذا أراد : أني مصدق، فإنه يجزم بما في قلبه من التصديق، ولا يجزم بأنه ممتثل لكل ما أمر به، وكما يجزم بأنه يحب الله ورسوله، فإنه يبغض الكفر، ونحو ذلك مما يعلم أنه في قلبه، وكذلك إذا أراد بأنه مؤمن في **الظاهر**، فلا يمنع أن يجزم بما هو معلوم له، وإنما يكره ما كرهه سائر العلماء من قول المرجئة؛ إذ يقولون : الإيمان شيء متماثل في جميع أهله، مثل كون كل إنسان له رأس، فيقول أحدهم : أنا مؤمن حقا، وأنا مؤمن عند الله، ونحو ذلك، كما يقول الإنسان : لي رأس حقا، وأنا لي رأس في علم الله حقا، فمن جزم به على هذا الوجه، فقد أخرج الأعمال **الباطنة والظاهرة** عنه، وهذا منكر من القول وزور عند الصحابة والتابعين، ومن اتبعهم من سائر المسلمين، وللناس في [مسألة الاستثناء] كلام يذكر في موضعه .

والمقصود هنا : أن هنا قولين متطرفين؛ قول من يقول : الإسلام مجرد الكلمة، والأعمال **الظاهرة** ليست داخلة في مسمى الإسلام، وقول من يقول : مسمى الإسلام والإيمان واحد، وكلاهما قول ضعيف مخالف

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٠٧/١١١

لحديث جبريل، وسائر أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم . ولهذا لما نصر محمد بن نصر المروزي القول الثاني، لم يكن معه حجة على صحته، ولكن احتج بما يبطل به القول الأول، فاحتج بقوله في قصة الأعراب : ﴿ بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ [الحجرات : ١٧] ، قال : فدل ذلك على أن الإسلام هو الإيمان،." (١)

"ص -٤٠٢- ما فعل من الأفعال **الظاهرة** لم يكن بذلك كافرا في **الباطن**، لكن يكون دليلا على الكفر في أحكام الدنيا، فإذا احتج عليهم بنصوص تقتضي أنه يكون كافرا في الآخرة . قالوا : فهذه النصوص تدل على أنه في **الباطن** ليس معه من معرفة الله شيء، فإنها عندهم شيء واحد، فخالفوا صريح المعقول وصريح الشرع .

وهذا القول مع فساده عقلا وشرعا، ومع كونه عند التحقيق لا يثبت إيمانا، فإنهم جعلوا الإيمان شيئا واحدا لا حقيقة له . كما قالت الجهمية ومن وافقهم مثل ذلك في وحدة الرب : إنه ذات بلا صفات، وقالوا بأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة، وما يقوله ابن كلاب من وحدة الكلام وغيره من الصفات .

فقولهم في الرب وصفاته وكلامه والإيمان به يرجع إلى تعطيل محض، وهذا قد وقع فيه طوائف كثيرة من المتأخرين المنتسبين إلى السنة والفقه والحديث المتبعين للأئمة الأربعة، المتعصبين للجهمية والمعتزلة بل وللمرجئة أيضا، لكن لعدم معرفتهم بالحقائق التي نشأت منها البدع يجمعون بين الضدين، ولكن من رحمة الله بعباده المسلمين أن الأئمة الذين لهم في الأمة لسان صدق، مثل الأئمة الأربعة وغيرهم؛ كمالك، والثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وكالشافعي وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، وأبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد، كانوا ينكرون على أهل الكلام من الجهمية قولهم في القرآن والإيمان وصفات الرب، وكانوا متفقين على ما كان عليه السلف من أن الله يرى في الآخرة، وأن." (٢)

"ص -٤٠٣- القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الإيمان لابد فيه من تصديق القلب واللسان، فلو شتم الله ورسوله كان كافرا باطنا وظاهرا عندهم كلهم، ومن كان موافقا لقول جهم في الإيمان بسبب انتصار أبي الحسن لقوله في الإيمان، يبقى تارة يقول بقول السلف والأئمة، وتارة يقول بقول المتكلمين الموافقين لجهم، حتى في مسألة سب الله ورسوله رأيت طائفة من الحنبليين، والشافعيين والمالكيين، إذا تكلموا بكلام الأئمة قالوا : إن هذا كفر باطنا وظاهرا .

---

(١) مجموع الفتاوى ١١١/٤٢٠

(٢) مجموع الفتاوى ١١١/٤٤٩

وإذا تكلموا بكلام أولئك قالوا : هذا كفر في الظاهر، وهو في الباطن يجوز أن يكون مؤمنا تام الإيمان، فإن الإيمان عندهم لا يتبعض، ولهذا لما عرف القاضي عياض هذا من قول بعض أصحابه أنكره، ونصر قول مالك وأهل السنة، وأحسن في ذلك .

وقد ذكرت بعض ما يتعلق بهذا في كتاب [الصارم المسلول على شاتم الرسول] ، وكذلك تجدهم في مسائل الإيمان يذكرون أقوال الأئمة وال سلف، ويبحثون بحثا يناسب قول الجهمية؛ لأن البحث أخذوه من كتب أهل الكلام الذين نصروا قول جهم في مسائل الإيمان .

والرازي لما صنف [مناقب الشافعي] ذكر قوله في الإيمان . وقول الشافعي قول الصحابة والتابعين، وقد ذكر الشافعي أنه إجماع من الصحابة والتابعين . ومن لقيه استشكل قول الشافعي جدا؛ لأنه كان قد انعقد في نفسه شبهة أهل البدع في الإيمان؛ من الخوارج والمعتزلة والجهمية والكرامية." (١)

"ص -٤١٩- /كلام العرب وسائر الأمم؛ لأن المعنى مفهوم . مثال ذلك : المنافقون قد يجعلون من المؤمنين في موضع، وفي موضع آخر يقال : ما هم منهم، قال الله تعالى : ﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ [الأحزاب : ١٨، ١٩] ، فهنالك جعل هؤلاء المنافقين الخائفين من العدو، الناكلين عن الجهاد، الناهين لغيرهم، الذامين للمؤمنين منهم، وقال في آية أخرى : ﴿ ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون ﴾ [التوبة : ٥٦، ٥٧] ، وهؤلاء ذنبهم أخف، فإنهم لم يؤذوا المؤمنين لا بنهي ولا س لق بألسنة حداد، ولكن حلفوا بالله أنهم من المؤمنين في الباطن بقلوبهم، وإلا فقد علم المؤمنون أنهم منهم في الظاهر، فكذبهم الله وقال : ﴿ وما هم منكم ﴾ وهناك قال : ﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم ﴾ . فالخطاب لمن كان في الظاهر مسلما مؤمنا وليس مؤمنا، بأن منكم من هو بهذه الصفة، وليس مؤمنا بل أحبط الله عمله، فهو منكم في الظاهر لا الباطن .." (٢)

"ص -٤٢١- أأن تحتجب منه لما رأى من شبهه البين بعتبة، فإنه قام فيه دليلان متعارضان : الفراش والشبه، والنسب في الظاهر لصاحب الفراش أقوى، ولأنها أمر ظاهر مباح والفجور أمر باطن لا يعلم ويجب

---

(١) مجموع الفتاوى ١١١/٤٥٠

(٢) مجموع الفتاوى ١١١/٤٦٧

ستره لا إظهاره، كما قال : " للعاهر الحجر " كما يقال : بفيك الكثكث وبفيك الأثلب، أي : عليك أن تسكت عن إظهار الفجور، فإن الله يبغض ذلك، ولما كان احتجابها منه ممكنا من غير ضرر، أمرها بالاحتجاب لما ظهر من الدلالة على أنه ليس أخاها في الباطن .

فتبين أن الاسم الواحد ينفى في حكم ويثبت في حكم، فهو أخ في الميراث وليس بأخ في المحرمية، وكذلك ولد الزنا عند بعض العلماء، وابن الملاعنة عند الجميع إلا من شذ، ليس بولد في الميراث ونحوه، وهو ولد في تحريم النكاح والمحرمية .

ولفظ النكاح وغيره في الأمر، يتناول الكامل، وهو العقد والوطء كما في قوله : ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾ [النساء : ٣] ، وقوله : ﴿ حتى تنكح زوجا غيره ﴾ [البقرة : ٢٣٠] ، وفي النهي يعم الناقص والكامل، فينهى عن العقد مفردا وإن لم يكن وطء كقوله : ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ﴾ [النساء : ٢٢] ؛وهذا لأن الآمر مقصوده تحصيل المصلحة، وتحصيل المصلحة إنما يكون بالدخول كما لو قال : اشتر لي طعاما، فالمقصود ما يحصل إلا بالشراء والقبض، والناهي مقصوده دفع المفسدة، فيدخل كل جزء منه؛ لأن وجوده مفسدة." (١)

"ص -٤٢٢- وكذلك النسب والميراث معلق بالكامل منه، والتحريم معلق بأدنى سبب حتى الرضاع

.

وكذلك كل ما يكون له مبتدأ وكمال، ينفى تارة باعتبار انتفاء كماله، ويثبت تارة باعتبار ثبوت مبدئه، فلفظ الرجال يعم الذكور وإن كانوا صغارا في مثل قوله : ﴿ وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ [النساء : ١٧٦] ، ولا يعم الصغار في مثل قوله : ﴿ والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ﴾ [النساء : ٧٥] ، فإن باب الهجرة والجهاد عمل يعمله القادرون عليه، فلو اقتصر على ذكر المستضعفين من الرجال لظن أن الولدان غير داخلين؛ لأنهم ليسوا من أهله وهم ضعفاء، فذكرهم بالاسم الخاص ليبين عذرهم في ترك الهجرة ووجوب الجهاد، وكذلك الإيمان له مبدأ وكمال، وظاهر وباطن، فإذا علقت به الأحكام الدنيوية من الحقوق والحدود كحقن الدم والمال والمواريث، والعقوبات الدنيوية، علقت بظاهره لا يمكن غير ذلك، إذ تعليق ذلك بالباطن متعذر، وإن قدر أحيانا فهو متعسر علما وقدرة، فلا يعلم ذلك علما يثبت به في الظاهر، ولا يمكن عقوبة من يعلم ذلك منه في الباطن .

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٧٠/١١١

وبهذين المثلين كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتنع من عقوبة المنافقين، فإن فيهم من لم يكن يعرفهم كما أخبر الله بذلك، والذين كان يعرفهم لو عاقب بعضهم لغضب له قومه، ولقال الناس : إن محمدا يقتل أصحابه، فكان يحصل بسبب ذلك." (١)

"ص -٤٢٣- نفور عن الإسلام، إذ لم يكن الذنب ظاهرا، يشترك الناس في معرفته، ولما هم بعقوبة من يتخلف عن الصلاة، منعه من في البيوت من النساء والذرية، وأما مبدؤه فيتعلق به خطاب الأمر والنهي، فإذا قال الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة ﴾ [المائد : ٦] ونحو ذلك، فهو أمر في **الظاهر** لكل من أظهره، وهو خطاب في **الباطن** لكل من عرف من نفسه أنه مصدق للرسول، وإن كان عاصيا، وإن كان لم يقم بالواجبات **الباطنة**، **والظاهرة**، وذلك أنه إن كان لفظ : ﴿ الذين آمنوا ﴾ يتناولهم فلا كلام، وإن كان لم يتناولهم فذاك لذنوبهم، فلا تكون ذنوبهم مانعة من أمرهم بالحسنات التي إن فعلوها كانت سبب رحمتهم، وإن تركوها كان أمرهم بها، وعقوبتهم عليها عقوبة على ترك الإيمان، والكافر يجب عليه أيضا، لكن لا يصح منه حتى يؤمن، وكذلك المنافق المحض لا يصح منه في **الباطن** حتى يؤمن .
وأما من كان معه أول الإيمان، فهذا يصح منه؛ لأن معه إقراره في **الباطن** بوجوب ما أوجبه الرسول، وتحريم ما حرمه، وهذا سبب الصحة، وأما كماله فيتعلق به خطاب الوعد بالجنة والنصرة والسلامة من النار، فإن هذا الوعد إنما هو لمن فعل المأمور وترك المحظور، ومن فعل بعضا وترك بعضا، فيثاب على ما فعله، ويعاقب على ما تركه، فلا يدخل هذا في اسم المؤمن المستحق للحمد والثناء، دون الذم والعقاب، ومن نفى عنه الرسول الإيمان، فنفى الإيمان في هذا الحكم؛ لأنه ذكر ذلك على سبيل الوعيد . والوعيد إنما يكون بنفي ما يقتضي الثواب، ويدفع العقاب؛ ولهذا ما في الكتاب والسنة من نفي الإيمان." (٢)

"ص -٤٢٤- عن أصحاب الذنوب، فإنما هو في خطاب الوعيد والذم، لا في خطاب الأمر والنهي، ولا في أحكام الدنيا . واسم الإسلام والإيمان والإحسان هي أسماء ممدوحة مرغوب فيها لحسن العاقبة لأهلها، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن العاقبة الحسنة لمن اتصف بها على الوجه الذي بينه ولهذا كان من نفى عنهم الإيمان أو الإيمان والإسلام جميعا ولم يجعلهم كفارا، إنما نفى ذلك في أحكام الآخرة، وهو الثواب، لم ينفه في أحكام الدنيا، لكن المعتزلة ظنت أنه إذا انتفى الاسم انتفت جميع أجزائه، فلم يجعلوا معهم شيئا من الإيمان والإسلام، فجعلوهم مخلدين في النار، وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع

(١) مجموع الفتاوى ١١١/٤٧١
(٢) مجموع الفتاوى ١١١/٤٧٢

السلف، ولو لم يكن معهم شيء من الإيمان والإسلام، لم يثبت في حقهم شيء من أحكام المؤمنين والمسلمين، لكن كانوا كالمنافقين، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع التفريق بين المنافق الذي يكذب الرسول في **الباطن**، وبين المؤمن المذنب، فالمعتزلة سووا بين أهل الذنوب وبين المنافقين في أحكام الدنيا والآخرة في نفي الإسلام والإيمان عنهم، بل قد يثبتونه للمنافق ظاهرا، وينفونه عن المذنب باطنا وظاهرا .
فإن قيل : فإذا كان كل مؤمن مسلما، وليس كل مسلم مؤمنا الإيمان الكامل كما دل عليه حديث جبريل وغيره من الأحاديث مع القرآن، وكما ذكر ذلك عمن ذكر عنه من السلف؛ لأن الإسلام الطاعات **الظاهرة**، وهو الاستسلام والانقياد؛ لأن الإسلام في الأصل هو الاستسلام والانقياد." (١)

"ص –٤٧١– وأخبر بذلك زيد بن أرقم النبي صلى الله عليه وسلم، وكذبه قوم، حتى أنزل الله القرآن بتصديقه .

والمقصود أن الناس ينقسمون في الحقيقة إلى : مؤمن، ومنافق كافر في **الباطن** مع كونه مسلما في **الظاهر**، وإلى كافر باطنا وظاهرا .

ولما كثرت الأعاجم في المسلمين تكلموا بلفظ الزنديق، وشاعت في لسان الفقهاء، وتكلم الناس في الزنديق : هل تقبل توبته ؟ في **الظاهر** : إذا عرف بالزندقة، ودفع إلى ولي الأمر قبل توبته، فمذهب مالك وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وطائفة من أصحاب الشافعي، وهو أحد القولين في مذهب أبي حنيفة : أن توبته لا تقبل . والمشهور من مذهب الشافعي : قبولها، كالرواية الأخرى عن أحمد، وهو القول الآخر في مذهب أبي حنيفة، ومنهم من فصل .

والمقصود هنا أن الزنديق في عرف هؤلاء الفقهاء، هو المنافق الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره، سواء أبطن دينا من الأديان كدين اليهود والنصارى أو غيرهم أو كان معطلا جاحدا للصانع، والمعاد، والأعمال الصالحة .

ومن الناس من يقول : الزنديق : هو الجاحد المعطل . وهذا يسمى." (٢)

"ص –٤٧٢– الزنديق في اصطلاح كثير من أهل الكلام والعامة، ونقلة مقالات الناس، ولكن الزنديق الذي تكلم الفقهاء في حكمه : هو الأول؛ لأن مقصودهم هو التمييز بين الكافر وغير الكافر، والمرتد وغير المرتد، ومن أظهر ذلك أو أسره، وهذا الحكم يشترك فيه جميع أنواع الكفار والمرتدين، وإن تفاوتت

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٧٣/١١١

(٢) مجموع الفتاوى ١٧/١١٣

درجاتهم في الكفر والردة فإن الله أخبر بزيادة الكفر كما أخبر بزيادة الإيمان، بقوله : ﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر ﴾ [التوبة : ٣٧] وتارك الصلاة وغيرها من الأركان، أو مرتكبي الكبائر، كما أخبر بزيادة عذاب بعض الكفار على بعض في الآخرة بقوله : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب ﴾ [النحل : ٨٨] .

فهذا أصل ينبغي معرفته، فإنه مهم في هذا الباب . فإن كثيرا ممن تكلم في مسائل الإيمان والكفر لتكفير أهل الأهواء لم يلحظوا هذا الباب، ولم يميزوا بين الحكم **الظاهر والباطن**، مع أن الفرق بين هذا وهذا ثابت بالنصوص المتواترة، والإجماع المعلوم، بل هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، ومن تدبر هذا، علم أن كثيرا من أهل الأهواء والبدع قد يكون مؤمنا مخطئا جاهلا ضالا عن بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد يكون منافقا زنديقا يظهر خلاف ما يبطن .

وهنا أصل آخر، وهو أنه قد جاء في الكتاب والسنة وصف أقوام بالإسلام دون الإيمان، فقال تعالى :." (١)

"ص -٤٧٣- ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم ﴾ [الحجرات : ١٤] ، وقال تعالى في قصة قوم لوط : ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ [الذاريات : ٣٥، ٣٦] وقد ظن طائفة من الناس أن هذه الآية تقتضي أن مسمى الإيمان والإسلام واحد، وعارضوا بين الآيتين، وليس كذلك، بل هذه الآية توافق الآية الأولى؛ لأن الله أخبر أنه أخرج من كان فيها مؤمنا، وأنه لم يجد إلا أهل بيت من المسلمين .

وذلك لأن امرأة لوط كانت في أهل البيت الموجودين، ولم تكن من المخرجين الذين نجوا؛ بل كانت من الغابرين، الباقين في العذاب، وكانت في **الظاهر** مع زوجها على دينه، وفي **الباطن** مع قومها علي دينهم، خائنة لزوجها تدل قومها على أضيافه، كما قال الله تعالى فيها : ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما ﴾ [التحريم : ١٠] . وكانت خيانتهما لهما في الدين لا في الفراش فإنه ما بغت امرأة نبي قط؛ إذ نكاح الكافرة قد يجوز في بعض الشرائع، ويجوز في

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨/١١٣

شريعتنا نكاح بعض الأنواع وهن الكتابيات، وأما نكاح البغي فهو دياثة، وقد صان الله النبي عن أن يكون ديوثا؛ ولهذا كان الصواب قول من قال من الفقهاء بتحريم نكاح البغي حتى تتوب .." (١)

"ص –٤٧٥– النار على وجهه . وهذا من إعطاء المؤلفة قلوبهم .

وحينئذ، فهؤلاء الذين أثبت لهم القرآن والسنة الإسلام دون الإيمان هل هم المنافقون الكفار في **الباطن** ؟ أم يدخل فيهم قوم فيهم بعض الإيمان ؟ هذا مما تنازع فيه أهل العلم على اختلاف أصنافهم . فقالت طائفة من أهل الحديث والكلام وغيرهم : بل هم المنافقون الذين استسلموا، وانقادوا في **الظاهر** ولم يدخل إلى قلوبهم شيء من الإيمان .

وأصحاب هذا القول قد يقولون : الإسلام المقبول هو الإيمان، ولكن هؤلاء أسلموا ظاهرا لا باطنا فلم يكونوا مسلمين في **الباطن** ولم يكونوا مؤمنين . وقالوا : إن الله سبحانه يقول : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ [آل عمران : ٨٥] بيانه : كل مسلم مؤمن، فما ليس من الإسلام، فليس مقبولا يوجب أن يكون الإيمان منه، وهؤلاء يقولون : كل مؤمن مسلم، وكل مسلم مؤمن، إذا كان مسلما في **الباطن** . وأما الكافر المنافق في **الباطن**، فإنه خارج عن المؤمنين المستحقين للثواب باتفاق المسلمين . ولا يسمون بمؤمنين عند أحد من سلف الأمة وأئمتها، ولا عند أحد من طوائف المسلمين، إلا عند طائفة من المرجئة، وهم الكرامية الذين قالوا : إن الإيمان هو مجرد التصديق في **الظاهر**، فإذا فعل ذلك كان مؤمنا وإن كان مكذبا في **الباطن**، وسلموا أنه معذب مخلد في الآخرة، فنازعوا في اسمه لا في." (٢)

"ص –٥٠٦– بدون اعتقاد القلب هوقول المنافقين، وهذا لا يسمى قولا إلا بالتقييد، كقوله تعالى : ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ﴾ [الفتح : ١١] ، وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب هي من أعمال المنافقين، التي لا يتقبلها الله . فقول السلف يتضمن القول والعمل **الباطن** **والظاهر**، لكن لما كان بعض الناس قد لا يفهم دخول النية في ذلك، قال بعضهم : ونية، ثم بين آخرون : أن مطلق القول والعمل والنية لا يكون مقبولا إلا بموافقة السنة . وهذا حق أيضا، فإن أولئك قالوا : قول وعمل ليبينوا اشتماله على الجنس، ولم يكن مقصودهم ذكر صفات الأقوال والأعمال، وكذلك قول من قال : اعتقاد بالقلب، وقول باللسان وعمل بالجوارح، جعل القول والعمل اسما لما يظهر، فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب، ولابد أن يدخل في قوله : اعتقاد القلب أعمال القلب المقارنة لتصديقه، مثل حب الله،

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩/١١٣

(٢) مجموع الفتاوى ٢١/١١٣

وخشية الله، والتوكل على الله، ونحو ذلك . فإن دخول أعمال القلب في الإيمان أولى من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها .

وكان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصان عليه؛ لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القرآن، ولم يجدوا ذكر النقص، وهذا إحدى الروايتين عن مالك، والرواية الأخرى عنه، وهو المشهور عند أصحابه كقول سائرهم : إنه يزيد وينقص، وبعضهم عدل عن لفظ الزيادة والنقصان إلى لفظ التفاضل، فقال : أقول : الإيمان يتفاضل ويتفاوت، ويروى هذا عن ابن المبارك." (١)

"ص -٥٣٥- وريب، كما يقول ذلك طوائف من الناس، وهو أصل قول جهم والصالحي والأشعري في المشهور عنه وأكثر أصحابه كالقاضي أبي بكر ومن اتبعه، ممن يجعل الأعمال **الباطنة والظاهرة** من موجبات الإيمان لا من نفسه، ويجعل ما ينتفي الإيمان بانتفائه من لوازم التصديق لا يتصور عنده تصديق باطن مع كفر قط .

أو أن يقال : قد يحصل في القلب علم بالحق وتصديق به، ولكن ما في القلب من الحسد والكبر ونحو ذلك مانع من استسلام القلب وانقياده ومحبته، وليس هذا كالإرادة مع العمل؛ لأن الإرادة مع القدرة مستلزمة للمراد، وليس العلم بالحق والتصديق به مع القدرة على العمل بموجب ذلك العمل، بل لابد مع ذلك من إرادة الحق والحب له .

فإذا قال القائل : القدرة التامة بدون الإرادة الجازمة، مستلزمة لوجود المراد المقدور موجبة لحصول المقدور، لم يكن مصيبا، بل لابد من الإرادة . وبهذا يتبين خطأ من قال : إن مجرد علم الله بالمخلوقات موجب لوجودها، كما يقول ذلك من يقوله من أهل الفلسفة، كما يغلط الناس من يقول : إن مجرد إرادة الممكنات بدون القدرة موجب وجودها، وكما خطؤوا من قال : إن مجرد القدرة كافية، بل لابد من العلم والقدرة والإرادة في وجود المقدور والمراد، والإرادة مستلزمة لتصور المراد والعلم به، والعلم والإرادة والقدرة، ونحو ذلك؛ وإن كان قد يقال : إنها متلازمة في الحي، أو أن الحياة مستلزمة لهذه الصفات، أو أن بعض الصفات مشروط بالبعض، فلا ريب أنه ليس كل معلوم مرادا." (٢)

"ص -٥٤٢- تعالى : ﴿ ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴾ [إبراهيم : ٢٤، ٢٥] وهي كلمة التوحيد والشجرة كلما قوى أصلها

---

(١) مجموع الفتاوى ١١٣/٥٣

(٢) مجموع الفتاوى ١١٣/٨٣

وعرق وروي قويت فروعها، وفروعها أيضا إذا اغتذت بالمطر والريح أثر ذلك في أصلها .

وكذلك [الإيمان] في القلب و [الإسلام] علانية، ولما كانت الأقوال والأعمال الظاهرة لازمة ومستلزمة للأقوال والأعمال الباطنة كان يستدل بها عليها، كما في قوله تعالى : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، فأخبر أن من كان مؤمنا بالله واليوم الآخر لا يوجدون موادين لأعداء الله ورسوله، بل نفس الإيمان ينافي مودتهم فإذا حصلت الموادة دل ذلك على خلل الإيمان وكذلك قوله : ﴿ ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ﴾ [المائدة : ٨٠، ٨١]

وكذلك قوله : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ [الحجرات : ١٥] ، فأخبر تعالى أن هؤلاء هم الصادقون في قولهم : آمنا، ودل ذلك على أن الناس في قولهم : آمنا، صادق وكاذب، والكاذب فيه نفاق بحسب كذبه، قال تعالى في المنافقين :." (١)

"ص -٥٥٢- أن الخاص المعطوف على العام هل يمنع شمول العام له ؟ أو يكون قد ذكر مرتين .

فيه نزاع والأقوال والأعمال الظاهرة نتيجة الأعمال الباطنة ولازمها .

وإذا أفرد اسم [الإيمان] فقد يتناول هذا وهذا، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم " الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول : لا إله إلا الله، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق " . وحينئذ فيكون الإسلام داخلا في مسمى الإيمان وجزءا منه، فيقال حينئذ : إن الإيمان اسم لجميع الطاعات الباطنة والظاهرة .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس : " آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتؤدوا خمس المغنم " أخرجاه في الصحيحين .

ففسر الإيمان هنا بما فسر به الإسلام؛ لأنه أراد بالشهادتين هنا أن يشهد بهما باطنا وظاهرا، وكان الخطاب لوفد عبد القيس، وكانوا من خيار الناس وهم أول من صلى الجمعة ببلدهم بعد جمعة أهل المدينة، كما قال ابن عباس : أول جمعة جمعت في الإسلام بعد جمعة المدينة جمعة ب [جواثي] قرية من قرى

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/١١٣ ٩٠

البحرين وقالوا : يا رسول الله، إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر فصل نعمل به وندعو إليه من وراءنا، وأرادوا بذلك أهل نجد، من تميم وأسد وغطفان وغيرهم، كانوا كفارا، فهؤلاء كانوا صادقين راغبين في طلب الدين، فإذا أمرهم النبي." (١)

"ص -٥٥٤- نصره وذب عنه لحمية النسب والقرابة؛ ولهذا لم يتقبل الله ذلك منه، وإلا فلو كان ذلك عن إيمان في القلب لتكلم بالشهادتين ضرورة، والسبب الذي أوجب نصره للنبي صلى الله عليه وسلم وهو الحمية هو الذي أوجب امتناعه من الشهادتين، بخلاف أبي بكر الصديق ونحوه، قال الله تعالى : ﴿ وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى ﴾ [الليل : ١٧ : ٢١] ، ومنشأ الغلط في هذه المواضع من وجوه :

أحدها : أن العلم والتصديق مستلزم لجميع موجبات الإيمان .

الثاني : ظن الظان أن ما في القلوب لا يتفاضل الناس فيه .

الثالث : ظن الظان أن ما في القلب من الإيمان المقبول يمكن تخلف القول الظاهر والعمل الظاهر عنه .

الرابع : ظن الظان أن ليس في القلب إلا التصديق، وأن ليس الظاهر إلا عمل الجوارح . والصواب أن القلب له عمل مع التصديق، والظاهر قول ظاهر وعمل ظاهر، وكلاهما مستلزم للباطن . والمرجئة أخرجوا العمل الظاهر عن الإيمان؛ فمن قصد منهم إخراج أعمال القلوب أيضا وجعلها هي التصديق، فهذا ضلال بين، ومن قصد إخراج العمل الظاهر قيل لهم : العمل الظاهر لازم للعمل الباطن لا ينفك عنه، وانتفاء الظاهر دليل انتفاء الباطن." (٢)

"ص -٥٥٧- " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان " ، وفي رواية : " وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل " . فهذا يبين أن القلب إذا لم يكن فيه بغض ما يكرهه الله من المنكرات كان عادما للإيمان، والبغض والحب من أعمال القلوب، ومن المعلوم أن إبليس ونحوه يعلمون أن الله عز وجل حرم هذه الأمور ولا يبغضونها، بل يدعون إلى ما حرم الله ورسوله .

وأيضا، فهؤلاء القائلون بقول جهم والصالحي، قد صرحوا بأن سب الله ورسوله، والتكلم بالتثليث، وكل

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠٠/١١٣

(٢) مجموع الفتاوى ١٠٢/١١٣

كلمة من كلام الكفر، ليس هو كفرا في **الباطن**، ولكنه دليل في **الظاهر** على الكفر، ويجوز مع هذا أن يكون هذا الساب الشاتم في **الباطن** عارفا بالله، موحدا له، مؤمنا به، فإذا أقيمت عليهم حجة بنص أو إجماع أن هذا كافر باطنا وظاهرا، قالوا : هذا يقتضي أن ذلك مستلزم للتكذيب **الباطن**، وأن الإيمان يستلزم عدم ذلك، فيقال لهم : معنا أمران معلومان .

أحدهما : معلوم بالاضطرار من الدين .

والثاني : معلوم بالاضطرار من أنفسنا عند التأمل .

أما الأول : فإنا نعلم أن من سب الله ورسوله طوعا بغير كره، بل من تكلم بكلمات الكفر طائعا غير مكره، ومن استهزأ بالله وآياته ورسوله، فهو." (١)

"ص -٥٥٨- كافر باطنا وظاهرا، وأن من قال : إن مثل هذا قد يكون في **الباطن** مؤمنا بالله وإنما هو كافر في **الظاهر**، فإنه قال قولا معلوم الفساد بالضرورة من الدين . وقد ذكر الله كلمات الكفار في القرآن، وحكم بكفرهم واستحقاقهم الوعيد بها، ولو كانت أقوالهم الكفرية بمنزلة شهادة الشهود عليهم، أو بمنزلة الإقرار الذي يغلط فيه المقر، لم يجعلهم الله من أهل الوعيد بالشهادة التي قد تكون صدقا، وقد تكون كذبا، بل كان ينبغي ألا يعذبهم إلا بشرط صدق الشهادة، وهذا كقوله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ [المائدة : ٧٣] ، ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ [المائدة : ٧٢] وأمثال ذلك .

وأما الثاني : فالقلب إذا كان معتقدا صدق الرسول، وأنه رسول الله، وكان محبا لرسول الله معظما له، امتنع مع هذا أن يلعنه ويسبه، فلا يتصور ذلك منه إلا مع نوع من الاستخفاف به وبحرمته، فعلم بذلك أن مجرد اعتقاد أنه صادق لا يكون إيمانا إلا مع محبته وتعظيمه بالقلب .

وأيضا، فإن الله سبحانه قال : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ [النساء : ٥١] ، وقال : ﴿ الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ [البقرة : ١٥٦] ، فتبين أن الطاغوت يؤمن به ويكفر به . ومعلوم أن مجرد التصديق بوجوده وما هو عليه من الصفات يشترك فيه المؤمن والكافر؛ فإن الأصنام والشيطان والسحر يشترك في العلم بحاله المؤمن والكافر،

---

(١) مجموع الفتاوى ١١٣/١٠٥

وقد قال الله تعالى في السحر : ﴿ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾." (١)

"ص -٥٦١- المستضعفين لما أكرههم المشركون على سب النبي صلى الله عليه وسلم، ونحو ذلك من كلمات الكفر، فمنهم من أجاب بلسانه كعمار، ومنهم من صبر على المحنة كبلال، ولم يكره أحد منهم على خلاف ما في قلبه، بل أكرهوا على التكلم، فمن تكلم بدون الإكراه، لم يتكلم إلا وصدره منشرح به .

وأيضا، فقد جاء نفر من اليهود إلى النبي، فقالوا : نشهد إنك لرسول، ولم يكونوا مسلمين بذلك؛ لأنهم قالوا ذلك على سبيل الإخبار عما في أنفسهم، أي نعلم ونجزم أنك رسول الله، قال : " فلم لا تتبعوني ؟ " قالوا : نخاف من يهود، فعلم أن مجرد العلم والإخبار عنه ليس بإيمان حتى يتكلم بالإيمان على وجه الإنشاء المتضمن للالتزام والانقياد، مع تضمن ذلك الإخبار عما في أنفسهم .

فالمنافقون قالوا مخبرين كاذبين، فكانوا كفارا في الباطن، وهؤلاء قالوها غير ملتزمين ولا منقادين، فكانوا كفارا في الظاهر والباطن، وكذلك أبو طارب قد استفاض عنه أنه كان يعلم بنبوة محمد وأنشد عنه :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

لكن امتنع من الإقرار بالتوحيد والنبوة حبا لدين سلفه، وكراهة أن يعيره قومه، فلما لم يقترن بعلمه الباطن الحب والانقياد الذي يمنع ما يضاد ذلك من حب الباطل وكراهة الحق لم يكن مؤمنا .." (٢)

"ص -٥٧٥- فصل

إذا تبين هذا، وعلم أن الإيمان الذي في القلب من التصديق والحب وغير ذلك يستلزم الأمور الظاهرة من الأقوال الظاهرة، والأعمال الظاهرة، كما أن القصد التام مع القدرة يستلزم وجود المراد، وأنه يمتنع مقام الإيمان الواجب في القلب من غير ظهور موجب ذلك ومقتضاه زالت الشبه العلمية في هذه المسألة، ولم يبق إلا نزاع لفظي، في أن موجب الإيمان الباطن هل هو جزء منه داخل في مسماه فيكون لفظ الإيمان دالا عليه بالتضمن والعموم ؟ أو هو لازم للإيمان ومعلول له وثمرة له، فتكون دلالة الإيمان عليه بطريق اللزوم ؟

وحقيقة الأمر : أن اسم الإيمان يستعمل تارة هكذا وتارة هكذا، كما قد تقدم، فإذا قرن اسم الإيمان

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠٦/١٣

(٢) مجموع الفتاوى ١٠٩/١٣

بالإسلام أو العمل كان دالا على الباطن فقط، وأن إفراد اسم الإيمان فقد يتناول الباطن والظاهر، وبهذا تأتلف النصوص، فقوله : " الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول : لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان " ، أفرد لفظ الإيمان فدخل فيه الباطن والظاهر، وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل : " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر " ذكره مع قوله صلى الله عليه وسلم : " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول." [١]

"ص -٥٧٦- الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت " ، فلما أفرده عن اسم الإسلام ذكر ما يخصه الاسم في ذاك الحديث مجردا عن الاقتران . وفي هذا الحديث مقرون باسم الإسلام، وقوله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ [آل عمران : ٨٥] دخل فيه الباطن، فلو أتى بالعمل الظاهر دون الباطن لم يكن ممن أتى بالدين الذي هو عند الله الإسلام .

وأما إذا قرن الإسلام بالإيمان، كما في قوله تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ [الحجرات : ١٤] ، وقوله : ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ [الذاريات : ٣٥، ٣٦] ، وقوله تعالى : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ﴾ [الأحزاب : ٣٥] فقد يراد بالإسلام الأعمال الظاهرة كما في حديث أنس الذي في [المسند] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الإسلام علانية، والإيمان في القلب " ، ومن علم أن دلالة اللفظ تختلف بالإفراد والاقتران، كما في اسم الفقير والمسكين، والمعروف والمنكر والبغي وغير ذلك من الأسماء، وكما في لغات سائر الأمم عربها وعجمها زاحت عنه الشبهة في هذا الباب والله أعلم .

فإن قال قائل : اسم الإيمان إنما يتناول الأعمال مجازا . قيل أولا : ليس هذا بأولى ممن قال : إنما تخرج عنه الأعمال مجازا، بل هذا أقوى، لأن خروج العمل عنه إنما هو إذا كان مقرونا باسم الإسلام والعمل، وأما دخول العمل فيه فإذا أفرد كما في قوله صلى الله عليه وسلم : " الإيمان بضع وسبعون شعبة." [٢]

"ص -٥٧٧- أعلاها قول : لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان " فإن ما يدل مع الاقتران أولى باسم المجاز مما يدل عند التجريد والإطلاق .

وقيل له ثانيا : لا نزاع في أن العمل الظاهر هو فرع عن الباطن وموجب له ومقتضاه، لكن هل هو داخل في مسمى الاسم وجزء منه، أو هو لازم للمسمى كالشرط المفارق، والموجب التابع ؟ ومن المعلوم أن

(١) مجموع الفتاوى ١٢٣/١١٣

(٢) مجموع الفتاوى ١٢٤/١١٣

الأسماء الشرعية والدينية : كاسم [الصلاة] و [الزكاة] و [الحج] ونحو ذلك، هي باتفاق الفقهاء اسم لمجموع الصلاة الشرعية والحج الشرعي، ومن قال : إن الاسم إنما يتناول ما يتناوله عند الإطلاق في اللغة، وإن ما زاده الشارع إنما هو زيادة في الحكم وشرط فيه لا داخل في الاسم، كما قال ذلك القاضي أبو بكر بن الطيب والقاضي أبو يعلى، ومن وافقهما، على أن الشرع زاد أحكاما شرعية جعلها شروطا في القصد، والأعمال والدعاء، ليست داخلة في مسمي الحج والصيام، والصلاة، فقولهم مرجوع عند الفقهاء وجماهير المنسوبين إلى العلم؛ ولهذا كان الجمهور من أصحاب الأئمة الأربعة على خلاف هذا القول .

فإذا قال قائل : إن اسم الإيمان إنما يتناول مجرد ما هو تصديق، وأما كونه تصديقا بالله وملائكته وكتبه ورسله، وكون ذلك مستلزما لحب الله ورسوله ونحو ذلك، هو شرط في الحكم لا داخل في الاسم إن لم يكن أضعف من ذلك القول فليس دونه في الضعف، فكذلك من قال : الأعمال الظاهرة." (١)

"ص -٥٧٩- وبهذا يظهر أن الاحتجاج بذلك على أن تارك الصلاة لا يكفر حجة ضعيفة، لكنه يدل على أن تارك المحافظة لا يكفر، فإذا صلاها بعد الوقت لم يكفر، ولهذا جاءت في الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها قيل : يا رسول الله، ألا نقاتلهم ؟ قال : " لا، ما صلوا " ، وكذلك لما سئل ابن مسعود عن قوله تعالى : ﴿ أضاعوا الصلاة ﴾ [مريم : ٥٩] ، قال : هو تأخيرها عن وقتها، فقيل له : كنا نظن ذلك تركها، فقال : لو تركوها كانوا كفارا .

والمقصود أنه قد يدخل في الاسم المطلق أمور كثيرة وإن كانت قد تخص بالذكر .

وقيل لمن قال : دخول الأعمال الظاهرة في اسم الإيمان مجاز : نزاعك لفظي، فإنك إذا سلمت أن هذه لوازم الإيمان الواجب الذي في القلب وموجباته كان عدم اللازم موجبا لعدم الملزوم، فيلزم من عدم هذا الظاهر عدم الباطن، فإذا اعترفت بهذا كان النزاع لفظيا وإن قلت ما هو حقيقة قول جهم وأتباعه من أنه يستقر الإيمان التام الواجب في القلب مع إظهار ما هو كفر، وترك جميع الواجبات الظاهرة، قيل لك : فهذا يناقض قولك : إن الظاهر لازم له وموجب له، بل قيل : حقيقة قولك أن الظاهر يقارن الباطن تارة ويفارقه أخرى، فليس بلازم له ولا موجب ومعلول له، ولكنه دليل إذا وجد دل على وجود الباطن، وإذ عدم لم يدل عدمه على العدم، وهذا حقيقة قولك .." (٢)

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ١٢٥

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/ ١٢٧

"ص -٥٨٠- وهو أيضا خطأ عقلا كما هوخطأ شرعا، وذلك أن هذا ليس بدليل قاطع، إذ هذا يظهر من المنافق فإنما يبقى دليلا في بعض الأمور المتعلقة بدار الدنيا كدلالة اللفظ على المعنى، وهذا حقيقة قولك، فيقال لك : فلا يكون ما يظهر من الأعمال ثمرة للإيمان **الباطن** ولاموجبا له ومن مقتضاه، وذلك أن المقتضى لهذا **الظاهر** إن كان هو نفس الإيمان **الباطن** لم يتوقف وجوده على غيره، فإن ما كان معلولا للشيء وموجبا له لا يتوقف على غيره، بل يلزم من وجوده وجوده، فلو كان **الظاهر** موجب الإيمان **الباطن** لوجب ألا يتوقف على غيره، بل إذا وجد الموجب وجد الموجب .

وأما إذا وجد معه تارة وعدم أخرى أمكن أن يكون من موجب ذلك الغير، وأمكن أن يكون موقوفا عليهما جميعا، فإن ذلك الغير إما مستقل بالإيمان أو مشارك للإيمان، وأحسن أحواله أن يكون **الظاهر** موقوفا عليهما معا على ذلك الغير، وعلى الإيمان، بل قد علم أنه يوجد بدون الإيمان كما في أعمال المنافق، فحينئذ لا يكون العمل **الظاهر** مستلزما للإيمان، ولا لازما له، بل يوجد معه تارة ومع نقيضه تارة، ولا يكون الإيمان علة له ولا موجبا ولا مقتضيا، فيبطل حينئذ أن يكون دليلا عليه؛ لأن الدليل لابد أن يستلزم المدلول، وهذا هو الحق فإن مجرد التكلم بالشهادتين ليس مستلزما للإيمان النافع عند الله .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد لما قال : هو مؤمن . قال " أو." (١)

"ص -٥٨١- مسلم ؟ " ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ﴾ [الممتحنة : ١٠] ، فدل ذلك على أن مجرد إظهار الإسلام لا يكون دليلا على الإيمان في **الباطن**؛ إذ لو كان كذلك لم تحتج المهاجرات اللاتي جئن مسلمات إلى الامتحان، ودل ذلك على أنه بالامتحان والاختبار يتبين باطن الإنسان، فيعلم أهو مؤمن أم ليس بمؤمن، كما في الحديث المرفوع : " إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد، فاشهدوا له بالإيمان " . فإن الله يقول : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾ الآية [التوبة : ١٨] .

فإذا قيل : الأعمال **الظاهرةتكون** من موجب الإيمان تارة، وموجب غيره أخرى، كالتكلم بالشهادتين، تارة يكون من موجب إيمان القلب، وتارة يكون تقية كإيمان المنافقين، قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ [البقرة : ٨] ، ونحن إذا قلنا : هي من ثمرة الإيمان إذا كانت صادرة عن إيمان القلب لا عن نفاق، قيل : فإذا كانت صادرة عن إيمان، إما أن يكون نفس الإيمان موجبا

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢٨/١١٣

لها، وإما أن تقف على أمر آخر، فإذا كان نفس الإيمان موجبا لها ثبت أنها لازمة لإيمان القلب معلولة لا تنفك عنه، وهذا هو المطلوب، وإن توقفت على أمر آخر كان الإيمان جزء السبب جعلها ثمرة للجزء الآخر ومعلولة له، إذ حقيقة الأمر أنها معلولة لهما وثمرة لهما .

فتبين أن الأعمال **الظاهرة** الصالحة لا تكون ثمرة للإيمان **الباطن** ومعلولة." (١)

"ص -٥٨٢- له، إلا إذا كان موجبا لها ومقتضيا لها، وحينئذ فالموجب لازم لموجبه والمعلول لازم لعلته، وإذا نقصت الأعمال **الظاهرة** الواجبة كان ذلك لنقص ما في القلب من الإيمان، فلا يتصور مع كمال الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعدم الأعمال **الظاهرة** الواجبة، بل يلزم من وجود هذا كاملا وجود هذا كاملا، كما يلزم من نقص هذا نقص هذا؛ إذ تقدير إيمان تام في القلب بلا ظاهر من قول وعمل كتقدير موجب تام بلا موجبه، وعلة تامة بلا معلولها، وهذا ممتنع .

وبهذا وغيره، يتبين فساد قول جهم والصالحي ومن اتبعهما في [الإيمان] كالأشعري في أشهر قوليه، و أكثر أصحابه، وطائفة من متأخري أصحاب أبي حنيفة، كالماتريدي ونحوه حيث جعلوه مجرد تصديق في القلب يتساوى فيه العباد، وأنه إما أن يعدم وإما أن يوجد لا يتبعض، وأنه يمكن وجود الإيمان تاما في القلب مع وجود التكلم بالكفر والسب لله ورسوله طوعا من غير إكراه، وأن ما علم من الأقوال **الظاهرة** أن صاحبه كافر، فلأن ذلك مستلزم عدم ذلك التصديق الذي في القلب، في الأفعال . . . وأن الأعمال الصالحة **الظاهرة** ليست لازمة للإيمان **الباطن** الذي في القلب، بل يوجد إيمان القلب تاما بدونها، فإن هذا القول فيه خطأ من وجوه :

أحدها : أنهم أخرجوا ما في القلوب من حب الله وخشيته ونحو ذلك." (٢)

"ص -٥٨٤- الرجل عندهم، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذ ائتمن خان، هو مصر على دوام الكذب والخيانة ونقض العهود، لا يسجد لله سجدة، ولا يحسن إلى أحد حسنة، ولا يؤدي أمانة، ولا يدع ما يقدر عليه من كذب وظلم وفاحشة إلا فعلها، وهو مع ذلك مؤمن تام الإيمان، إيمانه مثل إيمان الأنبياء، وهذا يلزم كل من لم يقل : إن الأعمال **الظاهرة** من لوازم الإيمان **الباطن**، فإذا قال : إنها من لوازمه، وأن الإيمان **الباطن** يستلزم عملا صالحا ظاهرا كان بعد ذلك قوله : إن تلك الأعمال لازمة لمسمى الإيمان، أو جزءا منه نزاعا لفظيا، كما تقدم .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/١٢٩

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/١٣٠

وسادسها : أنه يلزمهم أن من سجد للصليب والأوثان طوعا، وألقى المصحف في الحش عمدا، وقتل النفس بغير حق، وقتل كل من رآه يصلي، وسفك دم كل من يراه يحج البيت، وفعل ما فعلته القرامطة بالمسلمين، يجوز أن يكون مع ذلك مؤمنا وليا لله، إيمانه مثل إيمان النبيين والصديقين، ؛ لأن الإيمان **الباطن** إما أن يكون منافيا لهذه الأمور وإما ألا يكون منافيا، فإن لم يكن منافيا أمكن وجودها معه، فلا يكون وجودها إلا مع عدم الإيمان **الباطن** .

وإن كان منافيا للإيمان **الباطن** كان ترك هذه من موجب الإيمان ومقتضاه ولازمه، فلا يكون مؤمنا في **الباطن** الإيمان الواجب إلا من ترك هذه الأمور، فمن لم يتركها دل ذلك على فساد إيمانه **الباطن**، وإذا كانت الأعمال والتروك." (١)

"ص -٥٨٥- **الظاهرة** لازمة للإيمان **الباطن** كانت من موجبه ومقتضاه، وكان من المعلوم أنها تقوى بقوته، وتزيد بزيادته، وتنقص بنقصانه، فإن الشيء المعلول لا يزيد إلا بزيادة موجبه ومقتضيه، ولا ينقص إلا بنقصان ذلك، فإذا جعل العمل **الظاهر** موجب **الباطن** ومقتضاه لزم أن تكون زيادته لزيادة **الباطن**، فيكون دليلا على زيادة الإيمان **الباطن** ونقصه لنقص **الباطن**، فيكون نقصه دليلا على نقص **الباطن**، وهو المطلوب .

وهذه الأمور كلها إذا تدبرها المؤمن بعقله، تبين له أن مذهب السلف هو المذهب الحق، الذي لا عدول عنه، وأن من خالفهم لزمه فساد معلوم بصريح المعقول، وصحيح المنقول كسائر ما يلزم الأقوال المخالفة لأقوال السلف والأئمة، والله أعلم .

وقول جهم ومن وافقه : إن الإيمان مجرد العلم والتصديق، وهو بذلك وحده يستحق الثواب والسعادة، يشبه قول من قال من الفلاسفة المشائين وأتباعهم : إن سعادة الإنسان في مجرد أن يعلم الوجود على ما هو عليه، كما أن قول الجهمية وهؤلاء الفلاسفة في [مسائل الأسماء والصفات] و [مسائل الجبر، والقدر] متقاربان، وكذلك في [مسائل الإيمان] ، وقد بسطنا الكلام على ذلك وبينا بعض ما فيه من الفساد في غير هذا الموضع، مثل أن العلم هو أحد قوتي النفس، فإن النفس لها قوتان : قوة العلم والتصديق، وقوة الإرادة والعمل، كما أن الحيوان له قوتان : قوة الحس، وقوة الحركة بالإرادة .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣٢/١١٣

(٢) مجموع الفتاوى ١٣٣/١١٣

"ص -٦٠٩- فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " أخرجاه في الصحيحين .

ومعاذ أرسله إلى اليمن في آخر الأمر بعد فرض الصيام ؛ بل بعد فتح مكة بل بعد تبوك وبعد فرض الحج والجزية فإن النبي صلى الله عليه وسلم مات ومعاذ باليمن وإنما قدم المدينة بعد موته ؛ ولم يذكر في هذا الحديث الصيام لأنه تبع وهو باطن ولا ذكر الحج ؛ لأن وجوبه خاص ليس بعام وهو لا يجب في العمر إلا مرة .

ولهذا تنازع العلماء في تكفير من يترك شيئا من هذه الفرائض الأربع بعد الاقرار بوجوبها؛ فأما الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهوكافر بإتفاق المسلمين، وهو كافر باطنا وظاهرا عند سلف الأمة وائمتها، وجماهير علمائها، وذهبت طائفة من المرجئة، وهم جهمية المرجئة : كجهم والصالحى وأتباعهما إلى أنه إذا كان مصدقا بقلبه كان كافرا في **الظاهر** دون **الباطن**؛ وقد تقدم التنبيه على أصل هذا القول، وهو قول مبتدع في الإسلام لم يقله أحد من الأئمة . وقد تقدم أن الإيمان **الباطن** يستلزم الإقرار **الظاهر** بل وغيره، وأن وجود الايمان **الباطن** تصديقا وحبا وإنقيادا بدون الإقرار **الظاهر** ممتنع .

وأما الفرائض الأربع فإذا جحد وجوب شيء منها بعد بلوغ الحجة." (١)

"ص -٦١١- والثالث : لا يكفر إلا بترك الصلاة، وهي الرواية الثالثة عن أحمد وقول كثير من السلف، وطائفة من أصحاب مالك، والشافعى، وطائفة من أصحاب أحمد .

والرابع : يكفر بتركها وترك الزكاة فقط .

والخامس : بتركها، وترك الزكاة إذا قاتل الإمام عليها دون ترك الصيام والحج وهذه المسألة لها طرفان :

أحدهما : في إثبات الكفر **الظاهر** .

والثاني : في إثبات الكفر **الباطن** .

فأما الطرف الثاني : فهو مبنى على مسألة كون الايمان قولا وعملا؛ كما تقدم ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمنا إيمانا ثابتا في قلبه، بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة، ولا يصوم من رمضان، ولا يؤدي لله زكاة، ولا يحج إلى بيته، فهذا ممتنع، ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة، لا مع إيمان صحيح؛ ولهذا إنما يصف سبحانه بالامتناع من السجود الكفار كقوله

(١) مجموع الفتاوى ١٥٧/١١٣

: ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ﴾ [القلم : ٤٢، ٤٣] .." [١]

"ص -٦١٦- كان هذا القول مع هذه الحال كذبا منه، كما لو أخذ يلقي المصحف في الحش ويقول : أشهد أن ما فيه كلام الله، أو جعل يقتل نبيا من الأنبياء ويقول : أشهد أنه رسول الله، ونحو ذلك من الأفعال التي تنافي إيمان القلب، فإذا قال : أنا مؤمن بقلبي مع هذه الحال كان كاذبا فيما أظهره من القول؛ فهذا الموضع ينبغي تدبره فمن عرف ارتباط الظاهر بالباطن زالت عنه الشبهة في هذا الباب، وعلم أن من قال من الفقهاء أنه إذا أقر بالوجوب وامتنع عن الفعل لا يقتل، أو يقتل مع إسلامه؛ فإنه دخلت عليه الشبهة التي دخلت على المرجئة والجهمية، والتي دخلت على من جعل الإرادة الجازمة مع القدرة التامة لا يكون بها شيء من الفعل، ولهذا كان الممتنعون من قتل هذا من الفقهاء بنوه على قولهم في [مسألة الإيمان] وأن الأعمال ليست من الإيمان وقد تقدم أن جنس الأعمال من لوازم ايمان القلب، وأن إيمان القلب التام بدون شيء من الأعمال الظاهرة ممتنع، سواء جعل الظاهر من لوازم الإيمان أو جزء من الإيمان كما تقدم بيانه .

وحينئذ فإذا كان العبد يفعل بعض المأمورات، ويترك بعضها، كان معه من الايمان بحسب ما فعله، والإيمان يزيد وينقص، ويجتمع في العبد إيمان ونفاق؛ كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال : " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق، حتى يدعها، إذا حدث كذب، وإذا ائتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر " .." [٢]

"ص -٦٤٢- فأجاب :

الحمد لله رب العالمين . اسم الإيمان يستعمل مطلقا، ويستعمل مقيدا، وإذا استعمل مطلقا، فجميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة، يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، الذين يجعلون الإيمان قولا وعملا، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويدخلون جميع الطاعات فرضها ونفلها في مسماه، وهذا مذهب الجماهير من أهل الحديث والتصوف والكلام والفقه، من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم .

ويدخل في ذلك ما قد يسمى مقاما وحالا؛ مثل الصبر والشكر والخوف والرجاء والتوكل والرضا والخشية

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/١٥٩

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/١٦٤

والإنابة والإخلاص والتوحيد وغير ذلك .

ومن هذا ما خرج في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، أعلاها : قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان " . فذكر أعلى شعب الإيمان، وهو قول لا إله إلا الله، فإنه لا شيء أفضل منها كما في الموطأ وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أفضل الدعاء؛ دعاء يوم." (١)

"ص -٦٤٥- القلب، مع الدليل المستلزم لنفيه، وإن لم يكن دليلا لم يجز الاستدلال به على الكفر والباطن .

والله سبحانه في غير موضع يبين أن تحقيق الإيمان وتصديقه بما هو من الأعمال الظاهرة والباطنة، كقوله : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ [الأنفال : ٢ : ٤] وقال : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ [الحجرات : ١٥] ، وقال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﴾ [النور : ٦٢] ، وقال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [النساء : ٦٥] .

فإذا قال القائل : هذا يدل على أن الإيمان ينتفي عند انتفاء هذه الأمور، لا يدل على أنها من الإيمان، قيل : هذا اعتراف بأنه ينتفي الإيمان الباطن مع عدم مثل هذه الأمور الظاهرة، فلا يجوز أن يدعي أنه يكون في القلب إيمان ينافي الكفر بدون أمور ظاهرة، لا قول ولا عمل وهو المطلوب وذلك تصديق وذلك لأن القلب إذ تحقق ما فيه أثر في الظاهر ضرورة، لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر، فالإرادة الجازمة للفعل مع القدرة التامة توجب وقوع المقدور، فإذا كان في القلب حب الله ورسوله ثابتا استلزم موالاة أوليائه." (٢)

"ص -٦٤٦- ومعاداة أعدائه، ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، ﴿ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ﴾ [المائدة : ٨١] فهذا التلازم أمر ضروري .

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/١١٤

(٢) مجموع الفتاوى ٦/١١٤

ومن جهة ظن انتفاء التلازم غلط غالطون، كما غلط آخرون في جواز وجود إرادة جازمة، مع القدرة التامة بدون الفعل، حتى تنازعوا : هل يعاقب على الإرادة بلا عمل ؟ وقد بسطنا ذلك في غير هذا الموضع، وبينا أن الهمة التي لم يقترن بها فعل ما يقدر عليه الهام ليست إرادة جازمة، وأن الإرادة الجازمة لابد أن يوجد معها ما يقدر عليه العبد، والعفو وقع عمن هم بسيئة ولم يفعلها؛ لا عمن أراد وفعل المقدور عليه، وعجز عن حصول مراده، كالذي أراد قتل صاحبه فقاتله حتى قتل أحدهما، فإن هذا يعاقب؛ لأنه أراد وفعل المقدور من المراد، ومن عرف الملازمات التي بين الأمور **الباطنة والظاهرة** زالت عنه شبهات كثيرة في مثل هذه المواضع التي كثر اختلاف الناس فيها .

بقى أن يقال : فهل اسم الإيمان للأصل فقط، أو له ولفروعه ؟ والتحقيق : أن الاسم المطلق يتناولهما، وقد يخص الاسم وحده بالاسم مع الاقتران، وقد لا يتناول إلا الأصل، إذا لم يخص إلا هو، كاسم الشجرة، فإنه يتناول الأصل والفرع إذا وجدت، ولو قطعت الفروع لكان اسم الشجرة يتناول الأصل وحده، وكذلك اسم الحج هو اسم لكل ما يشرع فيه من ركن، وواجب،." (١)

"ص -٣١٣- والذين يذكرون عن أبي يزيد وغيره كلمات من الاتحاد الخاص، ونفي الفرق ويعذرونه في ذلك يقولون : إنه غاب عقله حتى قال : أنا الحق وسبحاني وما في الجبة إلا الله، ويقولون : إن الحب إذا قوى على صاحبه وكان قلبه ضعيفا يغيب بمحبوبه عن حبه وبموجوده عن وجده، وبمذكوره عن ذكره حتي يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل، ويحكون أن شخصا ألقى بنفسه في الماء فألقى محبة نفسه خلفه، فقال : أنا وقعت، فلم وقعت أنت ؟ فقال : غبت بك عني فظننت أنك أني . فمثل هذا الحال التي يزول فيها تمييزه بين الرب والعبد، وبين المأمور والمحظور ليست علما ولا حقا، بل غايته أنه نقص عقله الذي يفرق به بين هذا وهذا، وغايته أن يعذر، لا أن يكون قوله تحقيقا .

وطائفة من الصوفية المدعين للتحقيق يجعلون هذا تحقيقا وتوحيدا، كما فعله صاحب منازل السائرين، وابن العريف وغيرهما، كما أن الاتحاد العام جعله طائفة تحقيقا وتوحيدا، كابن عربي الطائي .

وقد ظن طائفة أن الحلاج كان من هؤلاء ثم صاروا حزبين :

حزب يقول : وقع في ذلك الفناء فكان معذورا في **الباطن**، ولكن قتله واجب في **الظاهر**، ويقولون : القاتل

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/١١٤

مجاهد، والمقتول شهيد، ويحكون عن بعض الشيوخ أنه قال : عثر عثرة لو كنت في زمنه لأخذت بيده، ويجعلون حاله من جنس حال أهل الاصطلام والفناء .." (١)

"ص -٣١٥- شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار " . فالحاكم يحكم بما يسمعه من البينة والإقرار، و قد يكون للآخر حجج لم يبينها، وأمثال هذا .

فالشريعة في نفس الأمر هي الأمر **الباطن**، وما قضى به القاضي ينفذ ظاهرا، وكثير من الأمور قد يكون باطنها بخلاف ما يظهر لبعض الناس، ومن هذا قصة موسى والخضر فإنه كان الذي فعله مصلحة، وهو شريعة أمره الله بها، ولم يكن مخالفا لشرع الله، لكن لما لم يعرف موسى **الباطن**، كان في **الظاهر** عنده أن هذا لا يجوز، فلما بين له الخضر الأمور وافقه، فلم يكن ذلك مخالفا للشرع .

وهذا الباب يقال فيه : قد يكون الأمر في **الباطن** بخلاف ما يظهر، وهذا صحيح، لكن تسمية **الباطن** حقيقة، **والظاهر** شريعة، أمر اصطلاحي .

ومن الناس من يجعل الحقيقة هي الأمر **الباطن** مطلقا، والشريعة الأمور **الظاهرة** .

وهذا كما أن لفظ الإسلام إذا قرن بالإيمان أريد به الأعمال **الظاهرة**، ولفظ الإيمان يراد به الإيمان الذي في القلب، كما في حديث جبريل، فإذا جمع بينهما فقيل : شرائع الإسلام وحقائق الإيمان، كان هذا كلاما صحيحا، لكن متى." (٢)

"ص -٣٨٨- وفلاحهم، وقبحت لإفضائها إلى ما فيه فسادهم، والله سبحانه متعال عن أن يلحقه مالا يليق به سبحانه .

وأما قوله : هل هو مؤثر في وجود الفعل أو غير مؤثر ؟

فالكلام في مقامين :

أحدهما : أن هذا سؤال فاسد، إن أخذ على ظاهره؛ لأن كسب العبد هو نفس فعله وصنعه، فكيف يقال : هل يؤثر كسبه في فعله، أو هل يكون الشيء مؤثرا في نفسه ؟ وإن حسب حاسب أن الكسب هو التعاطي والمباشرة وقصد الشيء ومحاولته، فهذه كلها أفعال يقال فيها ما يقال في أفعال البدن من قيام وقعود .

وأظن السائل فهم هذا وتشبث بقول من يقول : إن فعل العبد يحصل بخلق الله عز وجل وكسب العبد .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/١٣٣

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/١٣٣

وتحقيق الكلام أن يقال : فعل العبد خلق لله عز وجل وكسب للعبد، إلا أن يراد أن أفعال بدنه تحصل بكسبه، أي بقصده وتآخيه، وكأنه قال : أفعاله **الظاهرة** تحصل بأفعاله **الباطنة**، وغير مستنكر عدم تجديد هذا السؤال، فإنه مزلة أقدام، ومضلة إفهام، وحسن المسألة نصف العلم . إذا كان السائل قد تصور السؤال . وإنما يطلب إثبات الشيء أو نفيه، ولو حصل التصور التام لعلم أحد الطرفين .." (١)

"ص -١٦- الكتاب جمع الكفرين؛ الكفر بخاتم المرسلين، والكفر بحقائق صفات الرسالة في جميع المرسلين، فهذا هذا .

فيقال لهم مع علمهم بتفاوت قوى بني آدم في الإدراك : ما المانع من أن يخرق سمع أحدهم وبصره، حتى يسمع ويرى من الأمور الموجودة في الخارج ما لا يراه غيره، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو قاعد أو راكع أو ساجد " ، فهذا إحساس **بالظاهر** أو **الباطن** لما هو في الخارج .

وكذلك العلوم الكلية البديهية، قد علمتم أنها ليس لها حد في بني آدم، فمن أين لكم أن بعض النفوس يكون لها من العلوم البديهية ما يختص بها وحدها أو بها وبأمثالها ما لا يكون من البديهيات عندكم ؟ وإذا كان هذا ممكنا وعامة أهل الأرض على أنه واقع لغير الأنبياء دع الأنبياء فمثل هذه العلوم ليس في منطقكم طريق إليها؛ إذ ليست من المشهورات ولا الجدليات، ولا موادها عندكم يقينية، وأنتم لا تعلمون نفيها، وجمهور أهل الأرض من الأولين والآخرين على إثباتها، فإن كذبتم بها، كنتم مع الكفر والتكذيب بالحق وخسارة الدنيا والآخرة تاركين لمنطقكم أيضا، وخارجين عما أوجبتموه على أنفسكم؛ أنكم لا تقولون إلا بموجب القياس، إذ ليس لكم بهذا النفي قياس." (٢)

"ص -٢٧- فهم بالنسبة إلى جهال الأمم كبادية الترك ونحوهم أمثل إذا خلوا عن ضلالهم، فأما مع ضلالهم فقد يكون الباقون على الفطرة من جهال بني آدم أمثل منهم .

فأما أضل أهل الملل مثل جهال النصارى وسامرة اليهود فهم أعلم منهم وأهدى وأحكم وأتبع للحق . وهذا قد بسطته بسطا كثيرا في غير هذا الموضع .

وإنما المقصود هنا : بيان أن هذه الصناعة قليلة المنفعة عظيمة الحشو .

وذلك أن الأمور العملية الخلقية قل أن ينتفع فيها بصناعة المنطق؛ إذ القضايا الكلية الموجبة وإن كانت

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/١٣٦

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/١٤٧

توجد في الأمور العملية لكن أهل السياسة لنفوسهم ولأهلهم ولملكهم، إنما ينالون تلك الآراء الكلية من أمور لا يحتاجون فيها إلى المنطق، ومتى حصل ذلك الرأي كان الانتفاع به بالعمل .

ثم الأمور العملية لا تقف على رأي كلي، بل متى علم الإنسان انتفاعه بعمل، عمله، وأي عمل تضرر به، تركه . وهذا قد يعلمه بالحس الظاهر أو الباطن لا يقف ذلك على رأي كلي .

فعلم أن أكثر الأمور العملية لا يصح استعمال المنطق فيها؛ ولهذا كان." (١)

"ص -٤٧- فإذا كان حذاق بني آدم في كل فن من العلم أحكموه بدون هذه الحدود المتكلفة، بطل دعوى توقف المعرفة عليها .

وأما علوم بني آدم الذين لا يصنفون الكتب، فهي مما لا يحصيه إلا الله، ولهم من البصائر والمكاشفات والتحقيق والمعارف ما ليس لأهل هذه الحدود المتكلفة، فكيف يجوز أن تكون معرفة الأشياء متوقفة عليها ؟

الوجه الرابع :

أن الله جعل لابن آدم من الحس الظاهر والباطن ما يحس به الأشياء ويعرفها، فيعرف بسمعه وبصره وشمه وذوقه ولمسه الظاهر ما يعرف، ويعرف أيضا بما يشهده ويحسه بنفسه وقلبه ما هو أعظم من ذلك . فهذه هي الطرق التي تعرف بها الأشياء . فأما الكلام فلا يتصور أن يعرف بمجرده مفردات الأشياء إلا بقياس تمثيل أو تركيب ألفاظ، وليس شيء من ذلك يفيد تصور الحقيقة .

فالمقصود أن الحقيقة إن تصورها بباطنه أو ظاهره استغنى عن الحد القولي، وإن لم يتصورها بذلك امتنع أن يتصور حقيقته بالحد القولي، وهذا أمر محسوس يجده الإنسان من نفسه، فإن من عرف المحسوسات المذوقة." (٢)

"ص -٤٨- مثلا - كالعسل، لم يفده الحد تصورها . ومن لم يذق ذلك، كمن أخبر عن السكر وهو لم يذقه لم يمكن أن يتصور حقيقته بالكلام والحد، بل يمثل له ويقرب إليه، ويقال له : طعمه يشبه كذا، أو يشبه كذا وكذا، وهذا التشبيه والتمثيل ليس هو الحد الذي يدعونه .

وكذلك المحسوسات الباطنة، مثل الغضب والفرح والحزن والغم والعلم ونحو ذلك، من وجدها فقد تصورها، ومن لم يجدها لم يمكن أن يتصورها بالحد؛ ولهذا لا يتصور الأكمه الألوان بالحد، ولا العنين الوقاع بالحد

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٤/١٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ٤٧/١٤٧

. فإذن القائل بأن الحدود هي التي تفيد تصور الحقائق، قائل للباطل المعلوم بالحس الباطن والظاهر .

الوجه الخامس :

أن الحدود إنما هي أقوال كلية، كقولنا : حيوان ناطق، ولفظ يدل على معنى ونحو ذلك، فتصور معناها لا يمنع من وقوع الشركة فيها، وإن كانت الشركة ممتنعة لسبب آخر، فهي إذن لا تدل على حقيقة معينة بخصوصها، وإنما تدل على معنى كلي . والمعاني الكلية وجودها في الذهن لا في الخارج، فما في الخارج لا يتعين، ولا يعرف بمجرد الحد، وما في الذهن ليس هو حقائق الأشياء، فالحد لا يفيد تصور حقيقة أصلا .." (١)

"ص –٥٠– الوجه الثامن :

وهو أن الحس الباطن والظاهر يفيد تصور الحقيقة تصورا مطلقا، أما عمومها وخصوصها فهو من حكم العقل؛ فإن القلب يعقل معنى من هذا المعين ومعنى يماثله من هذا المعين، فيصير في القلب معنى عاما مشتركا، وذلك هو عقله، أي عقله للمعاني الكلية .

فإذا عقل معنى الحيوانية الذي يكون في هذا الحيوان وهذا الحيوان، ومعنى الناطق الذي يكون في هذا الإنسان وهذا الإنسان، وهو مختص به، عقل أن في نوع الإنسان معنى يكون نظيره في الحيوان، ومعنى ليس له نظير في الحيوان .

فالأول هو الذي يقال له : الجنس . والثاني : الذي يقال له : الفصل . وهما موجودان في النوع .

فهذا حق، ولكن لم يستفد من هذا اللفظ ما لم يكن يعرفه بعقله من أن هذا المعنى عام للإنسان ولغيره من الحيوان، بمعنى أن ما في هذا نظير ما في هذا ؛ إذ ليس في الأعيان الخارجة عموم، وهذا المعنى يختص بالإنسان . فلا فرق بين قولك : الإنسان حيوان ناطق، وقولك : الإنسان هو الحيوان الناطق، إلا من جهة الإحاطة والحصر في الثاني، لا من جهة تصوير." (٢)

"ص –٥٩– في النفس . ومعرفة حدود الأسماء واجبة ؛ لأنه بها تقوم مصلحة بني آدم في النطق الذي جعله الله رحمة لهم، لاسيما حدود ما أنزل الله في كتبه من الأسماء كالخمر والربا .

فهذه الحدود هي الفاصلة المميزة بين ما يدخل في المسمى ويتناوله ذلك الاسم وما دل عليه من الصفات، وبين ما ليس كذلك؛ ولهذا ذم الله من سمى الأشياء بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، فإنه أثبت للشيء

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٨/١٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ٥٠/١٤٧

صفة باطلة كإلهية الأوثان .

فالأسماء النطقية سمعية، وأما نفس تصور المعاني ففطري، يحصل بالحس **الباطن** **والظاهر**، وبإدراك الحس وشهوده ببصر الإنسان بباطنه وبظاهره وبسمعه يعلم أسماءها، وبفؤاده يعقل الصفات المشتركة والمختصة .

والله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا، وجعل لنا السمع والأبصار والأفئدة .

فأما الحدود المتكلفة فليس فيها فائدة، لا في العقل، ولا في الحس، ولا في السمع، إلا ما هو كالأسماء مع التطويل، أو ما هو كالتمييز كسائر الصفات .

ولهذا لما رأوا ذلك جعلوا الحد نوعين : نوعا بحسب الاسم؛ وهو بيان ما يدخل فيه، ونوعا بحسب الصفة أو الحقيقة أو المسمى، وزعموا كشف." (١)

"ص -٧٠- الوجه الأول :

أن القياس المذكور لا يفيد علما إلا بواسطة قضية كلية موجبة . فلابد من كلية جامعة ثابتة في كل قياس . وهذا متفق عليه معلوم أيضا؛ ولهذا قالوا : لا قياس عن سالبتين، ولا عن جزئيتين . وإذا كان كذلك وجب أن تكون العلوم الكلية الكلمات الجامعة هي أصول الأقيسة والأدلة، وقواعدها التي تبني عليها وتحتاج إليها .

ثم قالوا : إن مبادئ القياس البرهاني هي العلوم اليقينية التي هي الحسيات **الباطنة** **والظاهرة**، والعقليات والبديهيات والمتواترات والمجربات، وزاد بعضهم : الحدسيات . وليس في شيء من الحسيات **الباطنة** **والظاهرة** قضايا كلية؛ إذ الحس **الباطن** **والظاهر** لا يدرك إلا أمورا معينة لا تكون إلا إذا كان المخبر أدرك ما أخبر به بالحس، فهي تبع للحسيات . وكذلك التجربة إنما تقع على أمور معينة محسوسة . وإنما يحكم العقل على النظائر بالتشبيه، وهو قياس التمثيل، والحدسيات عند من يثبتها منهم من جنس التجريبيات .

لكن الفرق : أن التجربة تتعلق بفعل المجرب كالأطعمة والأشربة والأدوية." (٢)

"ص -٧١- والحدس يتعلق بغير فعل، كاختلاف أشكال القمر عند اختلاف مقابلته للشمس، وهو في الحقيقة تجربة علمية بلا عمل، فالمستفاد به أيضا أمور معينة جزئية، لا تصير عامة إلا بواسطة قياس

---

(١) مجموع الفتاوى ٥٩/١٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ٧١/١٤٧

التمثيل .

وأما البديهيات وهي العلوم الأولية التي يجعلها الله في النفوس ابتداء بلا واسطة، مثل الحساب، وهي كالعلم بأن الواحد نصف الاثنين فإنها لا تفيد العلم بشيء معين موجود في الخارج، مثل الحكم على العدد المطلق والمقدار المطلق، وكالعلم بأن الأشياء المساوية لشيء واحد هي متساوية في أنفسها، فإنك إذا حكمت على موجود في الخارج لم يكن إلا بواسطة الحس مثل العقل، فإن العقل؛ إنما هو عقل ما علمته بالإحساس الباطن أو الظاهر بعقل المعاني العامة أو الخاصة .

فأما أن العقل الذي هو عقل الأمور العامة التي أفرادها موجودة في الخارج يحصل بغير حس، فهذا لا يتصور . وإذا رجع الإنسان إلى نفسه وجد أنه لا يعقل ذلك مستغنيا عن الحس الباطن والظاهر لكليات مقدرة في نفسه، مثل الواحد، والاثنين، والمستقيم والمنحنى، والمثلث والمربع، والواجب والممكن والممتنع، ونحو ذلك مما يفرضه هو ويقدره . فأما العلم بمطابقة ذلك المقدر للموجود في الخارج والعلم بالحقائق الخارجية، فلابد فيه من الحس الباطن أو الظاهر . فإذا اجتمع الحس والعقل كاجتماع البصر والعقل أمكن أن يدرك الحقائق الموجودة المعينة ويعقل حكمها العام." (١)

"ص -٧٢- الذي يندرج فيه أمثالها لا أضدادها، ويعلم الجمع والفرق . وهذا هو اعتبار العقل وقياسه

.

وإذا انفرد الإحساس الباطن أو الظاهر، أدرك وجود الموجود المعين . وإذا انفرد المعقول المجرد، علم الكليات المقدرة فيه التي قد يكون لها وجود في الخارج وقد لا يكون، ولا يعلم وجود أعيانها وعدم وجود أعيانها إلا بإحساس باطن أو ظاهر .

فإنك إذا قلت : موجود أن المائة عشر الألف لم تحكم على شيء في الخارج، بل لو لم يكن في العالم ما يعد بالمائة والألف لكنت عالما بأن المائة المقدرة في عقلك عشر الألف . ولكن إذا أحسست بالرجال والدواب والذهب والفضة، وأحسست بحسك أو بخبر من أحس أن هناك مائة رجل أو درهم، وهناك ألف ونحو ذلك، حكمت على أحد المعدودين بأنه عشر الآخر . فأما المعدودات فلا تدرك إلا بالحس، والعدد المجرد يعقل بالقلب، وبعقل القلب والحس، يعلم العدد والمعدود جميعا، وكذلك المقادير الهندسية هي من هذا الباب .

---

(١) مجموع الفتاوى ٧٢/١٤٧

فالعلوم الأولية البديهية العقلية المحضة، ليست إلا في المقدرات الذهنية كالعدد والمقدار، لا في الأمور الخارجية الموجودة .." (١)

"ص –٧٣– فإذا كانت مواد القياس البرهاني لا يدرك بعامتها إلا أمور معينة ليست كلية، وهي الحس الباطن والظاهر، والتواتر والتجربة والحدس والذي يدرك الكليات البديهية الأولية، إنما يدرك أمورا مقدرة ذهنية، لم يكن في مبادئ البرهان ومقدماته المذكورة ما يعلم به قضية كلية عامة للأمور الموجودة في الخارج، والقياس لا يفيد العلم إلا بواسطة قضية كلية، فامتنع حينئذ أن يكون فيما ذكروه من صورة القياس ومادته حصول علم يقيني .

وهذا بين لمن تأمله، وبتحريره وجودة تصوره تنفتح علوم عظيمة ومعارف، وسنبين إن شاء الله من أي وجه وقع عليهم اللبس .

فتدبر هذا، فإنه من أسرار عظائم العلوم التي يظهر لك به ما يجل عن الوصف من الفرق بين الطريقة الفطرية العقلية السمعية الشرعية الإيمانية، وبين الطريقة القياسية المنطقية الكلامية .

وقد تبين لك بإجماعهم وبالعقل أن القياس المنطقي لا يفيد إلا بواسطة قضية، وتبين لك أن القضايا التي هي عندهم مواد البرهان وأصوله ليس فيها قضية كلية للأمور الموجودة، وليس فيها ما تعلم به القضية الكلية إلا العقل المجرد الذي يعقل المقدرات الذهنية، وإذا لم يكن في أصول برهانهم علم بقضية عامة للأمور الموجودة لم يكن في ذلك علم .." (٢)

"ص –٧٥– فقد تبين أن هذا القياس العقلي المنطقي الذي وضعوه وحددوه لا يعلم بمجرده شيء من العلوم الكلية الثابتة في الخارج، فبطل قولهم : إنه ميزان العلوم الكلية البرهانية، ولكن يعلم به أمور معينة شخصية جزئية، وتلك تعلم بغيره أجود مما تعلم به . وهذا هو :

الوجه الثاني :

فنقول : أما الأمور الموجودة المحققة فتعلم بالحس الباطن والظاهر، وتعلم بالقياس التمثيلي، وتعلم بالقياس الذي ليس فيه قضية كلية ولا شمول ولا عموم بل تكون الحدود الثلاثة فيه الأصغر والأوسط والأكبر أعيانا جزئية، والمقدمتان والنتيجة قضايا جزئية . وعلم هذه الأمور المعينة بهذه الطرق أصح وأوضح وأكمل؛ فإن من رأى بعينه زيدا في مكان وعمرا في مكان آخر، استغنى عن أن يستدل على ذلك بكون الجسم الواحد

---

(١) مجموع الفتاوى ٧٣/١٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ٧٤/١٤٧

لا يكون في مكانين، وكذلك من وزن دراهم كل منها ألف درهم، استغنى عن أن يستدل على ألف درهم منها بأنها مساوية للصنجة، وهي شيء واحد، والأشياء المساوية لشيء واحد متساوية، وأمثال ذلك كثير؛ ولهذا يسمى هؤلاء [أهل كلام] أي لم يفيدوا علما لم يكن معروفا، وإنما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد، وهو ما ضربوه من القياس؛ لإيضاح ما علم بالحس، وإن كان هذا." (١)

"ص -٧٧- حكم مثله، وأن الواحد مثل الواحد، كما علم أن الأشياء المساوية لشيء واحد متساوية

.

فالتماثل والاختلاف في الصفة أو القدر قد يعلم بالإحساس **الباطن** **والظاهر**، والعلم بأن المثلين سواء، وأن الأكثر والأكبر أعظم وأرجح، يعلم ببديهة العقل .

وكذلك القياس المؤلف من قضايا معينة، مثل العلم بأن زيدا أخو عمرو، وعمرو أخو بكر، فزيد أخو بكر . ومثل العلم بأن أبا بكر أفضل من عمر، وعمر أفضل من عثمان وعلي، فأبو بكر أفضل من عثمان وعلي . وأن المدينة أفضل من بيت المقدس والمدينة لا يجب أن يحج إليها، فبيت المقدس لا يحج إليه . وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل القبور، ولا يشرع استلامه ولا تقبيله، فقبر فلان وفلان لا يشرع استلامه ولا تقبيله، وأمثال هذه الأقيسة ملء العالم . وهذا أبلغ في إفادة حكم المعين من ذكر العام . فدلالة الاسم الخاص على المعين أبلغ من الدلالة عليه بالاسم العام، وإن كان في العام أمور أخرى ليست في الخاص .

فتبين أن المعلوم من الأمور المعينة يعلم بالحس وبقياس التمثيل والأقيسة المعينة أعظم مما يعلم أعيانها بقياس الشمول، فإذا كان قياس الشمول الذي حرروه لا يفيد الأمور الكلية، كما تقدم، ولا تحتاج إليه الأمور المعينة،." (٢)

"ص -٨٠- العلم، فيدعون العلم، وقد تكلموا بهذه القضية الكلية السالبة التي تعم ما لا يحصى عدده إلا الله بلا علم لهم بها أصلا . ويزيد هذا بيانا :

الوجه الخامس :

وهو أن المبادئ المذكورة التي جعلوها مفيدة لليقين وهي الحسيات **الباطنة** **والظاهرة**، والبديهيات والتجريبيات والحدسيات لا ريب أنها تفيد اليقين الحسي، فمن أين لهم أن اليقين لا يحصل بغيرها ؟ لابد

---

(١) مجموع الفتاوى ٧٦/١٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ٧٨/١٤٧

من دليل على النفي، حتى يصح قولهم : لا يحصل اليقين بدونها .

فهذا صحيح، لكنه ليس هو قول رؤوسهم .

ولا ريب أن من له عقل وإيمان، يجب أن يخالفهم في تكذيبهم بالحق الخارج عن هذا الطريق .

ومن هذا الموضع صار منافقا وتزندق من نافق منهم، وصار عند عقلاء الناس من أهل الملل وغيرهم أن المنطق مظنة التكذيب بالحق والعناد والزندقة والنفاق، حتى حكى لنا بعض الناس : أن شخصا من الأعاجم جاء ليقرأ على بعض شيوخهم منطقا، فقرأ منه قطعة، ثم قال : حو ا جا، أي باب ترك الصلاة ؟ فضحكوا منه .." (١)

"ص -٨٧- لا يفتقر إلى الألفاظ، فإن المتكلم قد يصور معنى ما يقوله بدون لفظ، والمستمع يمكنه ذلك من غير مخاطب بالكلية فكيف يقال : لا تتصور المفردات إلا بالحد ؟ !

التاسع : أن الموجودات المتصورة إما أن يتصورها الإنسان بحواسه **الظاهرة** كالطعم واللون والريح والأجسام التي تحمل هذه الصفات، أو **الباطنة** كالجوع والحب والبغض والفرح والحزن واللذة والألم والإرادة والكراهة وأمثال ذلك، وكلها غنية عن الحد .

العاشر : أنهم يقولون للمعترض أن يطعن على الحد بالنقض في الطرد أو في المنع وبالمعارضة بحد آخر، فإذا كان المستمع للحد يبطله بالنقض تارة وبالمعارضة أخرى، ومعلوم أن كليهما لا يمكن إلا بعد تصور المحدود، علم أنه يمكن تصور المحدود بدون الحد وهو المطلوب .

الحادي عشر : أنهم معترفون بأن من التصورات ما يكون بديهيا لا يحتاج إلى حد، وحينئذ فيقال : كون العلم بديهيا أو نظريا من الأمور النسبية الإضافية، فقد يكون النظري عند رجل بديهيا عند غيره لوصوله إليه بأسبابه من مشاهدة أو تواتر أو قرائن . والناس يتفاوتون في الإدراك تفاوتا لا ينضبط فقد يصير البديهي عند هذا دون ذاك بديهيا كذلك أيضا بمثل الأسباب التي حصلت لهذا ولا يحتاج إلى حد .." (٢)

"ص -١٣٤- المسلمين، وإن كان إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية . وكان هو وأهل بيته وأتباعهم معروفين عند المسلمين بالإلحاد، وأحسن ما يظهرون دين الرفض وهم في **الباطن** يبطنون الكفر المحض . وقد صنف المسلمون في كشف أسرارهم وهتك أستارهم كتبا كبارا وصغارا، وجاهدوهم باللسان واليد؛ إذ كانوا بذلك أحق من اليهود والنصارى . ولو لم يكن إلا كتاب [كشف الأسرار

---

(١) مجموع الفتاوى ٨١/١٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ٧/١٤٨

وهتك الأستار] للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب، وكتاب عبد الجبار بن أحمد، وكتاب أبي حامد الغزالي، وكلام أبي إسحاق، وكلام ابن فورك، والقاضي أبي يعلي، والشهرستاني، وغير هذا مما يطول وصفه .

والمقصود هنا أن ابن سينا أخبر عن نفسه أن أهل بيته وأباه وأخاه كانوا من هؤلاء الملاحدة، وأنه إنما اشتغل بالفلسفة بسبب ذلك، فإنه كان يسمعهم يذكرون العقل والنفس، وهؤلاء المسلمون الذين ينتسب إليهم، هم مع الإلحاد **الظاهر** والكفر **الباطن**، أعلم بالله من سلفه الفلاسفة؛ كأرسطو وأتباعه؛ فإن أولئك ليس عندهم من العلم بالله إلا ما عند عباد مشركي العرب ما هو خير منه .

وقد ذكرت كلام أرسطو نفسه الذي ذكره في [علم ما بعد الطبيعة] في [مقالة اللام] وغيرها، وهو آخر منتهى فلسفته وبينت بعض ما فيه من الجهل، فإنه ليس في الطوائف المعروفين الذين يتكلمون في العلم الإلهي مع الخطأ والضلال مثل علماء اليهود والنصارى وأهل البدع من المسلمين وغيرهم أجهل." (١)

"ص -١٩٩- قالوا : والفراسة البدنية هي عين التمثيل، غير أن الجامع فيها بين الأصل والفرع دليل العلة لا نفسها، وهو المسمى في عرف الفقهاء بقياس الدلالة، فإنها استدلال بمعلول العلة على ثبوتها، ثم الاستدلال بثبوتها على معلولها الآخر؛ إذ مبناها على أن المزاج علة لخلق **الباطن** وخلق ظاهر، فيستدل بالخلق **الظاهر** على المزاج، ثم بالمزاج على الخلق **الباطن**، كالاستدلال بعرض الأعلى على الشجاعة، بناء على كونهما معلولي مزاج واحد كما يوجد مثل ذلك في الأسد، ثم إثبات العلة في الأصل لابد فيها من الدوران أو التقسيم كما تقدم، وإن قدر أن علة الحكمين في الأصل واحدة، فلا مانع من ثبوت أحدهما في الفرع بغير علة الأصل، وعند ذلك فلا يلزم الحكم الآخر . هذا كلامهم .

فيقال : تفريقهم بين قياس الشمول وقياس التمثيل، بأن الأول قد يفيد اليقين والثاني لا يفيد إلا الظن، فرق باطل، بل حيث أفاد أحدهما اليقين، أفاد الآخر اليقين . وحيث لا يفيد أحدهما إلا الظن لا يفيد الآخر إلا الظن، فإن إفادة الدليل لليقين أو الظن ليس لكونه على صورة أحدهما دون الآخر، بل باعتبار تضمن أحدهما لما يفيد اليقين . فإن كان أحدهما اشتمل على أمر مستلزم للحكم يقينا، حصل به اليقين، وإن لم يشتمل إلا على ما يفيد الحكم ظنا، لم يفد إلا الظن . والذي يسمى في أحدهما حدا أوسط هو في الآخر الوصف المشترك، والقضية الكبرى المتضمنة لزوم الحد الأكبر للأوسط هو بيان تأثير الوصف." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ٥٤/١٤٨

(٢) مجموع الفتاوى ١١٩/١٤٨

"ص –٢٤٩– ثم من بلاياهم وكفرياتهم أنهم قالوا : إن الباري تعالى لا يعلم الجزئيات، و لا يعرف عين موسى وعيسى ولا غيرهما، ولا شيئا من تفاصيل الحوادث . والكلام والرد عليهم في ذلك مبسوط في موضعه .

والمقصود أن يعرف الإنسان أنهم يقولون : من الجهل والكفر ما هو في غاية الضلال؛ فرارا من لازم ليس لهم قط دليل على نفيه .

الوجه الحادي عشر : أنهم معترفون بالحسيات **الظاهرة والباطنة** كالجوع والألم واللذة . ونفوا وجود ما يمكن أن يختص برؤيته بعض الناس كالملائكة والجن، وما تراه النفس عند الموت، والكتاب والسنة ناطقان بإثبات ذلك، ولبسط هذه الأمور موضع آخر . وإنما المقصود أن ما تلقوه من القواعد الفاسدة المنطقية من نفي ما لم يعلم نفيه، أوجب لهم من الجهل والكفر ما صار حاجبا، وأنهم به أسوأ حالا من كفار اليهود والنصارى .

الوجه الثاني عشر : أن يقال : كون القضية [برهانية] معناه عندهم : أنها معلومة للمستدل بها، وكونها [جدلية] ، معناه كونها مسلمة، وكونها [خطابية] معناه كونها مشهورة أو مقبولة أو مظنونة، وجميع هذه الفروق هي نسب وإضافات عارضة للقضية، ليس فيها ما هو صفة ملازمة لها، فضلا." (١)

"ص –٢٥٨– و المرتبة الثالثة : الكلام في القياس وضروبه وشروط نتاجه من أنه لابد فيه من قضية عامة إيجابية، وأن النتاج لا يحصل عن سالبتين ولا خاصيتين جزئيتين ولا سالبة صغرى وجزئية كبرى، بل إما موجبتان فيهما كلية، وإما صغرى سالبة وكبرى جزئية وغير ذلك من أحكام صور القياس وأنواعه، التي تتبين ببرهان الخلف المردود إلى حكم نقيض القضية، أو بالرد إلى عكس القضية أو عكس نقيضها .

ثم بينوا بعد ذلك مواد القياس فقسموه إلى :

برهاني : وهو ما كانت مواده يقينية وحصروا اليقينيات فيما ذكروه من الحسيات **الباطنة والظاهرة** والبديهيات والمتواترات والمجربات، وزاد بعضهم الحدسيات .

وإلى خطابي : وهو ما كانت مواده مشهورة يقينية، أو غير يقينية .

وإلى جدلي : وهو ما كانت مواده مسلمة من المنازع، يقينية أو مشهورة أو غير ذلك .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤٨/١٦٩

وإلى شعري : وهو ما كانت مواده مشعورا بها غير معتقدة كالمفرحة والمحزنة والمضحكة .
وإلى مغلطي سوفسطائي : وهو ما كانت مواده مموهة بشبه الحق .." (١)

"ص -٢٦٧- والمطلوب من التصديقات لا ينال إلا بجنس القياس، وقد يسمى جنس القياس بالنسبة، كما يسمى جنس القول الشارح حدا، وأما البديهي من النوعين فمستغن عن الحد والبرهان، فتضمن هذا الكلام أن الحدود تفيد تصوير الحقائق، وأن ذلك لا يحصل بغيرها، وأن القياس يفيد التصديق بالحقائق، وأن ذلك لا يحصل بغيره، وفي كلا الأمرين وقع الخطأ .

أما في الحد ففي كلا القضيتين السلب والإيجاب، فيما أثبتوه وفيما نفوه .

أما الأول، فإن الحد لا يفيد تصور الحقائق، وإنما يفيد التمييز بين المحدود وغيره، وتصور الحقائق لا يحصل بمجرد الحد الذي هو كلام الحاد، بل لابد من إدراكها **بالباطن والظاهر**، وإذا لم تدرك ضرب المثل لها، فيحصل بالمثال الذي هو قياس التصوير لا قياس التصديق نوع من الإدراك كإدراكنا لما وعد الله به في الآخرة من الثواب والعقاب، والأمثال المضروبة في القرآن تارة تكون للتصوير، وتارة تكون للتصديق، وهذا الوجه مقرر بوجوه متعددة، وإنما الغرض هنا تلخيص المقصود .

وأما الثاني، وهو النفي فإن إدراك الحقائق المتصورة المطلقة ليس موقوفا على الحد لو فرض أنها تعرف بالحد، بل تحصل بأسباب الإدراك المعروفة." (٢)

"ص -٣٠٧- وقال شيخ الإسلام العالم العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبوالعباس أحمد بن تيمية الحراني قدس الله روحه ونور ضريحه :

فصل ثم إن الله خلق القلب للإنسان يعلم به الأشياء كما خلق سائر الحواس

ثم إن الله سبحانه وتعالى خلق القلب للإنسان يعلم به الأشياء، كما خلق له العين يرى بها الأشياء، والأذن يسمع بها الأشياء، كما خلق له سبحانه كل عضو من أعضائه لأمر من الأمور، وعمل من الأعمال، فاليد للبطش، والرجل للسعي، واللسان للنطق، والفم للذوق، والأنف للشم، والجلد للمس، وكذلك سائر الأعضاء **الباطنة والظاهرة** .

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/١٤٩

(٢) مجموع الفتاوى ٤/١٥٠

فإذا استعمل الإنسان العضو فيما خلق له وأعد لأجله، فذلك هو الحق القائم، والعدل الذي قامت به السموات والأرض، وكان ذلك خيرا وصلاحا لذلك العضو ولربه وللشيء الذي استعمل فيه، وذلك." (١)

"ص -١٥- ولهذا كان رأس الإسلام [شهادة أن لا إله إلا الله] ، وهي متضمنة عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينا سواه، كما قال تعالى : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [آل عمران : ٨٥] ، وقال تعالى : ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم . إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران : ١٨، ١٩] .

وهذا الذي ذكرناه، مما يبين أن أصل الدين في الحقيقة : هو الأمور **الباطنة** من العلوم والأعمال، وأن الأعمال **الظاهرة** لا تنفع بدونها . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده : "الإسلام علانية، والإيمان في القلب " ؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم : "الحلال بين، والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب " ، وعن أبي هريرة قال : القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده .." (٢)

"ص -٦٦- ﴿فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة : ٤] ، ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة : ٧] ، ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف : ٤] ، ﴿بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين﴾ [آل عمران : ٧٦] .

وأما الأعمال التي يحبها الله من الواجبات والمستحبات **الظاهرة والباطنة** فكثيرة معروفة، وكذلك حبه لأهلها وهم المؤمنون أولياء الله المتقون .

وهذه المحبة حق كما نطق بها الكتاب والسنة، والذي عليه سلف الأمة وأئمتها وأهل السنة والحديث

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/١٥٣

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/١٥٥

وجميع مشائخ الدين المتبعون، وأئمة التصوف إن الله سبحانه محبوب لذاته محبة حقيقية، بل هي أكمل محبة، فإنها كما قال تعالى : ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] وكذلك هو سبحانه يحب عباده المؤمنين محبة حقيقية .

وأنكرت الجهمية حقيقة المحبة من الطرفين، زعما منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة، وكان أول من ابتدع هذا في الإسلام هو الجعد بن درهم في أوائل المائة الثانية فضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق والمشرق بواسط . خطب الناس يوم الأضحى فقال : أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم." (١)

"ص -١٣٧- وليتخذ وردا من الأذكار في النهار، ووقت النوم، وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف، فإنه لا يلبث أن يؤيده الله بروح منه . ويكتب الإيمان في قلبه .

وليحرص على إكمال الفرائض من الصلوات الخمس باطنة وظاهرة فإنها عمود الدين، وليكن هجيراه لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها بها تحمل الأثقال، وتكابد الأهوال، وينال رفيع الأحوال .

ولا يسأم من الدعاء والطلب، فإن العبد يستجاب له ما لم يعجل، فيقول : قد دعوت ودعوت فلم يستجب لي، وليعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا، ولم ينل أحد شيئا من ختم الخير نبي فمن دونه إلا بالصبر .

والحمد لله رب العالمين، وله الحمد والمنة على الإسلام والسنة، حمدا يكافئ نعمه **الظاهرة والباطنة**، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله .

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وأزواجه أمهات المؤمنين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا .." (٢)

"ص -١٤٩- سئل الشيخ رحمه الله عن قوله عز وجل : ﴿ياأيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ [البقرة : ٢١] ، فما العبادة وفروعها ؟ وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا ؟ وما حقيقة العبودية ؟ وهل هي أعلى المقامات في الدنيا والآخرة أم فوقها شيء من المقامات ؟ وليبسطوا لنا القول في ذلك .

فأجاب :

---

(١) مجموع الفتاوى ٧١/١٥٥

(٢) مجموع الفتاوى ٤٩/١٥٦

الحمد لله رب العالمين، العبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال **الباطنة والظاهرة**، كالصلاة والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم، والمسكين وابن السبيل، والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة .

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه،." (١)

"ص -٢٦٨- فالتوحيد والإشراك يكون في أقوال القلب، ويكون في أعمال القلب؛ ولهذا قال الجنيد : التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب . أراد بذلك التوحيد الذي هو التصديق، فإنه لما قرنه بالتوكل جعله أصله، وإذا أفرد لفظ التوحيد، فهو يتضمن قول القلب وعمله، والتوكل من تمام التوحيد .

وهذا كلفظ الإيمان فإنه إذا أفرد دخلت فيه الأعمال **الباطنة** **والظاهرة**، وقيل : الإيمان قول وعمل، أي : قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه : "الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان " ، ومنه قوله تعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ [الحجرات : ١٥] ، وقوله : ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ [الأنفال : ٢٤] وقوله : ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﴾ [النور : ٦٢] .

والإيمان المطلق يدخل فيه الإسلام كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لوفد عبد القيس : "آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله،." (٢)

"ص -٣٢٧- سواء كان **بالباطن** أو **الظاهر**، ثم هذا الذوق يستلزم اللذة، واللذة أمر يحسه الحي باطنا وظاهرا .

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/١٥٨

(٢) مجموع الفتاوى ٣٣/١٥٩

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : "ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا " ، وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه من سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار " .
فبين صلى الله عليه وسلم أن ذوق طعم الإيمان لمن رضى بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وأن وجد حلاوة الإيمان حاصل لمن كان حبه لله ورسوله أشد من حبه لغيرهما، ومن كان يحب شخصا لله لا لغيره، ومن كان يكره ضد الإيمان، كما يكره أن يلقي في النار، فهذا الحب للإيمان، والكراهية للكفر استلزم حلاوة الإيمان، كما استلزم الرضا المتقدم ذوق طعم الإيمان، وهذا هو اللذة، وليس هو نفس التصديق والمعرفة الحاصلة في القلب، ولا نفس الحب الحاصل في القلب، بل هذا نتيجة ذاك وثمرته ولازم له، وهي أمور متلازمة، فلا توجد اللذة إلا بحب وذوق، وإلا فمن أحب شيئا ولم يذق منه." (١)

"ص -٣٨٦- وبقيت هنا المسألة التي تشتبه غالبا، وهو أن يظهر من بعض الرجال المجهول الحال، أمر مخالف للشرع في **الظاهر**، ويجوز أن يكون معذورا فيه عذرا شرعيا . مثل وجد خرج فيه عن الشرع، لا يدري أهو صادق فيه أم متصنع، وأخذ مال بغير إذن صاحبه في **الظاهر**، مع تجويز أن يكون علم طيب قلب صاحبه به، فهذا إن قيل : ينكر عليه جاز أن يكون معذورا، وإن قيل : لا ينكر عليه لزم إقرار المجهولين على مخالفة الشرع في **الظاهر**، فالواجب في مثل هذا أن يخاطب صاحبه أولا برفق، ويقال له : هذا في **الظاهر** منكر، وأما في **الباطن**، فأنت أمين الله على نفسك، فأخبرنا بحالك فيه أولا تظهره حيث يكون إظهاره فتنة، وتسلك في ذلك طريقة لا تفضي إلى إقرار المنكرات، ولا لوم البرآء .
والضابط أن من عرف من عادته الصدق، والأمانة أقر على ما لم يعلم أنه كذب وحرام، ومن عرف منه الكذب أو الخيانة، لم يقر على المجهول، وأما المجهول فيتوقف فيه .." (٢)

"ص -٤٣٠- وقال الشيخ :
الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .
أما بعد :

---

(١) مجموع الفتاوى ٩٤/١٥٩
(٢) مجموع الفتاوى ٤٤/١٦١

اعلم أنه يجب على كل بالغ عاقل من الإنس والجن، أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا . أرسله إلى جميع الخلق، إنسهم وجنهم، وعربهم وعجمهم، وفرسهم وهندهم، وبربرهم ورومهم، وسائر أصناف العجم أسودهم، وأبيضهم، والمراد بالعجم من ليس بعربي على اختلاف ألسنتهم .

فمحمد صلى الله عليه وسلم أرسل إلى كل أحد، من الإنس والجن كتابيهم وغير كتابيهم، في كل ما يتعلق بدينه من الأمور **الباطنة والظاهرة**، في عقائده وحقائقه، وطرائقه وشرائعه، فلا عقيدة إلا عقيدته، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا طريقة إلا طريقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا يصل أحد من الخلق إلى الله، وإلى رضوانه وجنته وكرامته." (١)

"ص -٤٣١- وولايته، إلا بمتابعته باطنا وظاهرا في الأقوال والأعمال **الباطنة والظاهرة** في أقوال القلب وعقائده، وأحوال القلب وحقائقه، وأقوال اللسان وأعمال الجوارح .

وليس لله ولي إلا من اتبعه باطنا، وظاهرا، فصدقه فيما أخبر به من الغيوب، والتزم طاعته فيما فرض على الخلق من أداء الواجبات وترك المحرمات . فمن لم يكن له مصدقا فيما أخبر ملتزما طاعته فيما أوجب، وأمر به في الأمور **الباطنة** التي في القلوب والأعمال **الظاهرة** التي على الأبدان لم يكن مؤمنا فضلا عن أن يكون وليا لله ولو حصل له من خوارق العادات ماذا عسى أن يحصل، فإنه لا يكون مع تركه لفعل المأمور وترك المحظور من أداء الواجبات من الصلاة وغيرها بطهارتها وواجباتها إلا من أهل الأحوال الشيطانية، المبعدة لصاحبها عن الله، والمقربة إلى سخطه وعذابه .

لكن من ليس بمكلف من الأطفال والمجانين قد رفع القلم عنهم، فلا يعاقبون وليس لهم من الإيمان بالله وتقواه باطنا وظاهرا ما يكونون به من أولياء الله المتقين، وحزبه المفلحين وجنده الغالبين، لكن يدخلون في الإسلام تبعا لآبائهم، كما قال تعالى : ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين ﴾ [الطور : ٢١] .." (٢)

"ص -٤٤٨- ولا قصد المتابعة لرسول الله الذي قال الله فيه : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ الآية [آل عمران : ٣١] فهؤلاء أهل البدع والضلالات من حزب الشيطان لا من أولياء الرحمن، فمن شهد لهم بولاية الله فهو شاهد زور كاذب وعن طريق الصواب ناكب

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/١٦٤

(٢) مجموع الفتاوى ٣/١٦٤

.

ثم إن كان قد عرف أن هؤلاء مخالفون للرسول، وشهد مع ذلك أنهم من أولياء الله، فهو مرتد عن دين الإسلام وإما مكذب للرسول، وإما شاك فيما جاء به مرتاب، وإما غير منقاد له بل مخالف له إما جحودا أو عنادا أو اتباعا لهواه، وكل من هؤلاء كافر .

وأما إن كان جاهلا بما جاء به الرسول، وهو معتقد مع ذلك أنه رسول الله إلى كل أحد في الأمور **الباطنة والظاهرة**، وأنه لا طريق إلى الله إلا بمتابعته صلى الله عليه وسلم، لكن ظن أن هذه العبادات البدعية والحقائق الشيطانية هي مما جاء بها الرسول ولم يعلم أنها من الشيطان، لجهله بسنته وشريعته ومنهاجه وطريقته وحقيقته، لا لقصد مخالفته، ولا يرجو الهدى في غير متابعته فهذا يبين له الصواب ويعرف ما به من السنة والكتاب، فإن تاب وأناب وإلا ألحق بالقسم الذي قبله وكان كافرا مرتدا، ولا تنجيه عبادته ولا زهادته من عذاب الله، كما لم ينج من ذلك الرهبان وعباد الصلبان وعباد النيران وعباد الأوثان، مع كثرة من فيهم ممن له خوارق شيطانية، ومكاشفات شيطانية قال." (١)

"ص -٤٧٧- بدليل ينقدح في قلب المؤمن، ولا يمكنه التعبير عنه . وهذا أحد ما فسر به معنى الاستحسان .

وقد قال من طعن في ذلك كأبي حامد وأبي محمد : ما لا يعبر عنه فهو هوس، وليس كذلك؛ فإنه ليس كل أحد يمكنه إبانة المعاني القائمة بقلبه، وكثير من الناس يبينها بيانا ناقصا، وكثيرمن أهل الكشف يلقي في قلبه أن هذا الطعام حرام، أو أن هذا الرجل كافر أو فاسق، من غيردليل ظاهر، وبالعكس قد يلقي في قلبه محبة شخص وأنه ولي لله أو أن هذا المال حلال .

وليس المقصود هنا بيان أن هذا وحده دليل على الأحكام الشرعية، لكن إن مثل هذا يكون ترجيحا لطالب الحق إذا تكافأت عنده الأدلة السمعية **الظاهرة** . فالترجيح بها خير من التسوية بين الأمرين المتناقضين قطعا، فإن التسوية بينهما باطلة قطعا . كما قلنا : إن العمل بالظن الناشئ عن ظاهر أو قياس خير من العمل بنقيضه إذا احتيج إلى العمل بأحدهما . والصواب الذي عليه السلف والجمهور أنه لابد في كل حادثة من دليل شرعي، فلايجوز تكافؤ الأدلة في نفس الأمر، لكن قد تتكافأ عند الناظر لعدم ظهور الترجيح له، وأما

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/١٦٤

من قال : إنه ليس في نفس الأمر حق معين، بل كل مجتهد عالم بالحق الباطن في المسألة، وليس لأحدهما على الأخر مزية في علم ولا عمل، فهؤلاء." (١)

"ص -٥٢٥- في الشرع وترك ما نهى عنه في الشرع، وأنه إذا أمر العبد بترك إرادته فهو فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه، وهذا حق . فإنه لم يؤمر به فتكون له إرادة في وجوده ولا نهي عنه فتكون له إرادة في عدمه فيخلو في مثل هذا عن إرادة النقيضين .

وقد بين أن صاحب الحقيقة عليه أن يلزم الأمر دائما الأمر الشرعي الظاهر إن عرفه، أو الأمر الباطن، وبين أن الأمر الباطن إنما يكون فيما ليس بواجب في الشرع ولا محرم، وإن مثل هذا ينتظر فيه الأمر الخاص حتى يفعله بحكم الأمر .

فإن قلت : فما الفرق بين هذا وبين صاحب التقوى الذي قبله ؟ وصاحب الحق الذي بعده ؟ .

قيل : أما الذي بعده الذين سماهم : الأبدال، فهم الذين لا يفعلون إلا بأمر الحق ولا يفعلون إلا به فلا يشهدون لأنفسهم فعلا فيما فعلوه من الطاعة؛ بل يشهدون أنه هو الفاعل بهم ما قام بهم من طاعة أمره، ولهذا قال : فاتباع الأمر فيها مخالفتك إياك ب التبري من الحول والقوة .

فهؤلاء يشهدون توحيد الربوبية مع توحيد الإلهية، فيشهدون." (٢)

"ص -٧٦٨- وأما المنافق فإذا وقعت له الأهواء والآراء المتعلقة بالنفاق لم يكرهها ولم ينفها، فإنه قد وجدت منه سيئة الكفر من غير حسنة إيمانية تدفعها أو تنفيها، والقلوب يعرض لها الإيمان والنفاق، فتارة يغلب هذا، وتارة يغلب هذا .

وقوله صلى الله عليه وسلم : "إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدثت به أنفسها " كما في بعض ألفاظه في الصحيح، هو مقيد بالتجاوز للمؤمنين، دون من كان مسلما في الظاهر، وهو منافق في الباطن وهم كثيرون في المتظاهرين بالإسلام قديما وحديثا . وهم في هذه الأزمان المتأخرة في بعض الأماكن أكثر منهم في حال ظهور الإيمان في أول الأمر، فمن أظهر الإيمان وكان صادقا مجتنبا ما يضاده أويضعفه يتجاوز له عما يمكنه التكلم به والعمل به، دون ما ليس كذلك . كما دل عليه لفظ الحديث .

فالقسمان اللذان بينا أن العبد يثاب فيهما ويعاقب على أعمال القلوب خارجة من هذا الحديث، وكذلك

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٤/١٦٥

(٢) مجموع الفتاوى ٧٤/١٦٥

قوله : "من هم بحسنة " ، "من هم بسيئة " إنما هو في المؤمن الذي يهم بسيئة أو حسنة يمكنه فعلها فربما فعلها وربما تركها؛ لأنه أخبر أن الحسنة تضاعف بسبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة .." (١)

"ص -٦٦- وطاعته في جميع أموره **الباطنة والظاهرة**، ولو كان أحد يأتيه من الله مالا يحتاج إلى عرضه على الكتاب والسنة لكان مستغنيا عن الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض دينه .

وهذا من أقوال المارقين الذين يظنون أن من الناس من يكون مع الرسول كالخضر مع موسى . ومن قال هذا فهو كافر .

وقد قال الله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ﴾ [الحج : ٥٢] فقد ضمن الله للرسول وللنبي أن ينسخ ما يلقي الشيطان في أمنيته، ولم يضمن ذلك للمحدث، ولهذا كان في الحرف الآخر الذي كان يقرأ به ابن عباس وغيره : " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته " .

ويحتمل والله أعلم ألا يكون هذا الحرف متلوا، حيث لم يضمن نسخ ما ألقى الشيطان في أمنية المحدث؛ فإن نسخ ما ألقى الشيطان ليس إلا للأنبياء والمرسلين؛ إذ هم معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى أن يستقر فيه شيء من إلقاء الشيطان، وغيرهم لا تجب عصمته من ذلك، وإن كان من أولياء الله المتقين، فليس من شرط أولياء الله المتقين ألا يكونوا مخطئين في بعض الأشياء خطأ مغفورا لهم؛ بل." (٢)

"ص -٧٠- وقد يكون الفقراء سابقين، وقد يكونون مقتصدين، وقد يكونون ظالمي أنفسهم كالأغنياء، وفي كلا الطائفتين : المؤمن الصديق، والمنافق الزنديق .

وأما المستأخرون ف [الفقير] في عرفهم عبارة عن السالك إلى الله تعالى، كماهو [الصوفي] في عرفهم أيضا، ثم منهم من يرجح مسمى [الصوفي] على مسمى [الفقير] لأنه عنده الذي قام **بالباطن والظاهر** ومنهم من يرجح مسمي الفقير؛ لأنه عنده الذي قطع العلائق، ولم يشتغل في **الظاهر** بغير الأمور الواجبة، وهذه منازعات لفظية اصطلاحية .

و [التحقيق] أن المراد المحمود بهذين الاسمين، داخل في مسمى الصديق، والولي والصالح، ونحو ذلك من الأسماء التي جاء بها الكتاب والسنة، فمن حيث دخل في الأسماء النبوية، يترتب عليه من الحكم ما

---

(١) مجموع الفتاوى ٥٢/١٧٤

(٢) مجموع الفتاوى ٣٢/١٧٨

جاءت به الرسالة، وأما ما تميز به مما يعده صاحبه فضلا وليس بفضل، أو مما يوالي عليه صاحبه غيره، ونحو ذلك من الأمور التي يترتب عليها زيادة الدرجة في الدين والدنيا، فهي أمور مهدرة في الشريعة إلا إذا جعلت من المباحات كالصناعات، فهذا لا بأس به، بشرط ألا يعتقد أن تلك المباحات من الأمور المستحبات . وإما ما يقترن بذلك من الأمور المكروهة في دين الله : من أنواع البدع والفجور . فيجب النهي عنه كما جاءت به الشريعة .." (١)

"ص -١٦٤- إلى قوله : ﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ﴾ [الأنفال : ٣٠ ٣٤] فبين سبحانه أن المشركين ليسوا أولياءه . ولا أولياء بيته، إنما أولياؤه المتقون . وثبت في الصحيحين عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جهارا من غير سر : " إن آل فلان ليسوا لى بأولياء يعنى طائفة من أقاربه إنما ولى الله وصالح المؤمنين " وهذا موافق لقوله تعالى : ﴿فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ﴾ الآية [التحريم : ٤] . وصالح المؤمنين هو من كان صالحا من المؤمنين، وهم المؤمنون المتقون أولياء الله . ودخل في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلى، وسائر أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة، وكانوا ألفا وأربعمائة، وكلهم في الجنة كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة " ومثل هذا الحديث الآخر : " إن أوليائي المتقون أيا كانوا وحيث كانوا " .

كما أن من الكفار من يدعى أنه ولى الله وليس وليا لله، بل عدو له، فكذلك من المنافقين الذين يظهرون الإسلام يقرون في الظاهر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأنه مرسل إلى جميع الإنس، بل إلى الثقلين الإنس والجن، ويعتقدون في الباطن." (٢)

"ص -١٦٥- ما يناقض ذلك، مثل ألا يقروا في الباطن بأنه رسول اله، وإنما كان ملكا مطاعا ساس الناس برأيه من جنس غيره من الملوك، أو يقولون : إنه رسول الله إلى الأميين دون أهل الكتاب كما يقوله كثير من اليهود والنصارى، أو أنه مرسل إلى عامة الخلق وأن لله أولياء خاصة لم يرسل إليهم ولا يحتاجون إليه، بل لهم طريق إلى الله من غير جهته، كما كان الخضر مع موسى، أو أنهم يأخذون عن الله كل ما يحتاجون إليه وينتفعون به من غير واسطة، أو أنه مرسل بالشرائع الظاهرة وهم موافقون له فيها، وأما الحقائق الباطنة فلم يرسل بها، أو لم يكن يعرفها، أو هم أعرف بها منه، أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته

(١) مجموع الفتاوى ٣٦/١٧٨

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/١٨٥

وقد يقول بعض هؤلاء : إن [أهل الصفة] كانوا مستغنين عنه، ولم يرسل إليهم، ومنهم من يقول : إن الله أوحى إلى أهل الصفة في **الباطن** ما أوحى إليه ليلة المعراج، فصار أهل الصفة بمنزلته، وهؤلاء من فرط جهلهم لا يعلمون أن الإسراء كان بمكة كما قال تعالى : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾ [الإسراء : ١] ، وأن الصفة لم تكن إلا بالمدينة، وكانت صفة في شمالي مسجده صلى الله عليه وسلم ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم أهل وأصحاب ينزلون عندهم؛ فإن المؤمنين كانوا يهاجرون إلى النبي." (١)

"ص -١٦٨- بن أبي طالب أولى بالحق من معاوية وأصحابه، وكيف يكون الأبدال في أدنى العسكرين دون أعلاهما ؟

وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أنشد منشد :

قد لسعت حية الهوى كبدى فلا طبيب لها ولا راقى

إلا الحبيب الذى شغفت به فعنده رقيتى وترياقى

وأن النبي صلى الله عليه وسلم تواجد حتى سقطت البردة عن منكبه، فإنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث، وأكذب منه ما يرويه بعضهم : " أنه مزق ثوبه، وأن جبريل أخذ قطعة منه فعلقها على العرش " ، فهذا وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من أظهر الأحاديث كذبا عليه صلى الله عليه وسلم .

وكذلك ما يروونه عن عمر رضى الله عنه أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان وكنت بينهما كالزنجى . وهو كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث .

والمقصود هنا أن فيمن يقر برسالته العامة في **الظاهر** من يعتقد في **الباطن** ما يناقض ذلك، فيكون منافقا وهو يدعى في نفسه وأمثاله." (٢)

"ص -١٩٢- أقواله كلها لغو لا يتعلق بها حكم شرعي، ولا ثواب ولا عقاب . بخلاف الصبى المميز فإن له أقوالا معتبرة في مواضع بالنص والإجماع . وفي مواضع فيها نزاع .

وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان ولا التقوى ولا التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، وامتنع أن يكون وليا لله، فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله؛ لا سيما أن تكون حجته على ذلك إما مكاشفة سمعها

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/١٨٥

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/١٨٥

منه، أو نوع من تصرف، مثل أن يراه قد أشار إلى واحد فمات أو صرع، فإنه قد علم أن الكفار والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية كالكهان والسحرة وعباد المشركين وأهل الكتاب، فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص وليا لله وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله، فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله ؟ ! مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا، بل يعتقد أنه يتبع الشرع **الظاهر** دون الحقيقة **الباطنة** . أو يعتقد أن لأولياء الله طريقا إلى الله غير طريق الأنبياء عليهم السلام أو يقول : إن الأنبياء ضيقوا الطريق أو هم على قدوة العامة دون الخاصة ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعى الولأية، فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الإيمان. فضلا عن ولاية الله عز وجل . فمن احتج بما يصدر عن أحدهم من خرق عادة على ولأيتهم كان أضل من اليهود والنصارى .." (١)

"ص -٢١٤- أو يمشى على الماء أحيانا، أو يملأ إبريقا من الهواء، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب أو أن يختفي أحيانا عن أعين الناس، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه فقضى حاجته، أو يخبر الناس بما سرق لهم، أو بحال غائب لهم أو مريض أو نحو ذلك من الأمور، وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولى لله، بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله صلى الله علية وسلم وموافقته لأمره ونهيه .

وكرامات أولياء الله تعالى أعظم من هذه الأمور، وهذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان قد يكون صاحبها وليا لله فقد يكون عدوا لله، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولى لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التى دل عليها الكتاب والسنة ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان **الباطنة** وشرائع الإسلام **الظاهرة** .

مثال ذلك : أن هذه الأمور المذكورة وأمثالها قد توجد في أشخاص ويكون أحدهم لا يتوضأ؛ ولا يصلى الصلوات المكتوبة، بل يكون." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨٥/٤٢

(٢) مجموع الفتاوى ١٨٥/٦٦

"ص -٢٢٥- والأعمال الصالحة ما فرقه في غيره من الأنبياء، فكان ما فضله الله به من الله بما أنزله إليه وأرسله إليه لا بتوسط بشر . وهذا بخلاف [الأولياء] فإن كل من بلغه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لا يكون وليا لله إلا باتباع محمد صلى الله عليه وسلم، وكل ما حصل له من الهدى ودين الحق هو بتوسط محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك من بلغه رسالة رسول إليه لا يكون وليا لله إلا إذا اتبع ذلك الرسول الذي أرسل إليه .

ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد فهذا كافر ملحد، وإذا قال : أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة؛ فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا : إن محمدا رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب، فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض فكانوا كفارا بذلك، وكذلك هذا الذي يقول : إن محمدا بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن، آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر ، وهو أكفر من أولئك؛ لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة .." (١)

"ص -٢٤٨- إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي

أمنية ظفرت نفسي بها زمنا واليوم أحسبها أضغاث أحلام

فإنه كان يظن أنه هو الله، فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه تبين له بطلان ما كان يظنه، وقال الله تعالى : ﴿سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [الحديد : ١] فجميع ما في السموات والأرض يسبح لله، ليس هو الله، ثم قال تعالى : ﴿له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ [الحديد : ٢، ٣] .

وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه : " اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر " . ثم قال : ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما

(١) مجموع الفتاوى ٧٧/١٨٥

يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ [الحديد : ٤]." (١)

"ص -٢٦٣- قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار " فقد أخبر سيد الخلق أنه إذا قضى بشيء مما سمعه وكان في **الباطن** بخلاف ذلك، لم يجز للمقضي له أن يأخذ ما قضى به له، وأنه إنما يقطع له به قطعة من النار . وهذا متفق عليه بين العلماء في الأملاك المطلقة إذا حكم الحاكم بما ظنه حجة شرعية كالبينة والإقرار، وكان **الباطن** بخلاف **الظاهر**، لم يجز للمقضي له أن يأخذ ما قضى به له بالاتفاق . وإن حكم في العقود والفسوخ بمثل ذلك، فأكثر العلماء يقول إن الأمر كذلك، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وفرق أبو حنيفة رضي الله عنه بين النوعين . فلفظ [الشرع، والشريعة] إذا أريد به الكتاب و السنة لم يكن لأحد من أولياء الله ولا لغيرهم أن يخرج عنه، ومن ظن أن لأحد من أولياء الله طريقا إلى الله، غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا . فلم يتابعه باطنا وظاهرا فهو كافر . ومن احتج في ذلك بقصة موسى مع الخضر كان غالطا من وجهين : أحدهما : أن موسى لم يكن مبعوثا إلى الخضر، ولا كان على الخضر اتباعه، فإن موسى كان مبعوثا إلى بني إسرائيل، وأما محمد صلى الله عليه وسلم فرسالته عامة لجميع الثقلين الجن والإنس، ولو." (٢)

"ص -٣١٣- إلى قوله : ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ [الإسراء : ٩٠ - ٩٣]
وتارة يعيبون عليه الحاجة البشرية، كقوله : ﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ﴾ [الفرقان : ٧، ٨]

فأمره أن يخبر أنه لا يعلم الغيب، ولا يملك خزائن الله، ولا هو ملك غني عن الأكل والمال، إن هو إلا متبع لما أوحى إليه، واتباع ما أوحى إليه هو الدين، وهو طاعة الله، وعبادته علما وعملا **بالباطن** **والظاهر**، وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله تعالى فيعلم منه ما علمه إياه، ويقدر منه على ما أقدره الله عليه، ويستغني عما أغناه الله عنه من الأمور المخالفة للعادة المطردة أو لعادة غالب الناس .

فما كان من الخوارق من [باب العلم] فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره . وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره يقظة ومناما، وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره وحيا وإلهاما، أو إنزال علم ضروري، أو فراسة صادقة،

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠١/١٨٥

(٢) مجموع الفتاوى ١١٨/١٨٥

ويسمى كشفا ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات : فالسماع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله [كشفا] ، و [مكاشفة] أي كشف له عنه .." (١)

"ص -٣١٣- إلى قوله : ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ [الإسراء : ٩٠ - ٩٣]
وتارة يعيبون عليه الحاجة البشرية، كقوله : ﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ﴾ [الفرقان : ٧، ٨]
فأمره أن يخبر أنه لا يعلم الغيب، ولا يملك خزائن الله، ولا هو ملك غني عن الأكل والمال، إن هو إلا متبع لما أوحى إليه، واتباع ما أوحى إليه هو الدين، وهو طاعة الله، وعبادته علما وعملا **بالباطن** **والظاهر**، وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله تعالى فيعلم منه ما علمه إياه، ويقدر منه على ما أقدره الله عليه، ويستغنى عما أغناه الله عنه من الأمور المخالفة للعادة المطردة أو لعادة غالب الناس .
فما كان من الخوارق من [باب العلم] فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره . وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره يقظة ومناما، وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره وحيا وإلهاما، أو إنزال علم ضروري، أو فراسة صادقة، ويسمى كشفا ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات : فالسماع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله [كشفا] ، و [مكاشفة] أي كشف له عنه .." (٢)

"ص -٣٨٢- باطنا أو ظاهرا، فقد يكون ما يسمى باطنا أوجب مثل ترك الحسد والكبر فإنه أوجب عليه من نوافل الصيام، وقد يكون ما سمى ظاهرا أفضل : مثل قيام الليل، فإنه أفضل من مجرد ترك بعض الخواطر التي تخطر في القلب من جنس الغبطة ونحوها، وكل واحد من عمل **الباطن** **والظاهر** يعين الآخر، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتورث الخشوع، ونحو ذلك من الآثار العظيمة : هي أفضل الأعمال والصدقة . والله أعلم .." (٣)

"ص -٤٣٢- وقد ذكرنا من تفصيل ذلك في غيرهذا الموضع ما لا يتسع له هذا المجال .
والله تعالى يوفقنا وسائر إخواننا لما يحبه ويرضاه، من الأقوال والأفعال **الباطنة** **والظاهرة**، وفي جميع الأحوال

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨٥/١٧٣
(٢) مجموع الفتاوى ١٨٦/٣
(٣) مجموع الفتاوى ١٨٨/١١

. والله سبحانه وتعالى أعلم . والحمد لله وحده، وصلواته وسلامه على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم .." (١)

"ص -٤٦٤- فقال هذا الشيخ منهم يخاطب الأمير : نحن نريد أن تجمع لنا القضاة الأربعة والفقهاء ونحن قوم شافعية .

فقلت له : هذا غير مستحب ولا مشروع عند أحد من علماء المسلمين، بل كلهم ينهى عن التعبد به ويعده بدعة، وهذا الشيخ كمال الدين بن الزملكاني [هو محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري، كمال الدين، المعروف بابن الزملكاني فقيه، انتهت إليه رياسة الشافعية في عصره، ولد وتعلم بدمشق وتوفي في بلبيس ودفن بالقاهرة، له رسالة في الرد على ابن تيمية في مسألتي [الطلاق والزيارة] وله كتاب في التاريخ، وكتب أخرى، وكان شكله حسنا ومنظره رائعا، وعقيدته صحيحة متمكنة أشعرية . [فوات الوفيات ٤ ٧-١١ " ٤٨٨ "] ، مفتى الشافعية ودعوته وقلت : ياكمال الدين ما تقول في هذا ؟ فقال : هذا بدعة غير مستحبة بل مكروهة، أو كما قال . وكان مع بعض الجماعة فتوى فيها خطوط طائفة من العلماء بذلك .

وقلت : ليس لأحد الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولا الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأشك هل تكلمت هنا في قصة موسى والخضر، فإني تكلمت بكلام بعد عهدي به .

فانتدب ذلك الشيخ [عبد الله] ورفع صوته . وقال : نحن لنا أحوال وأمور باطنة لا يوقف عليها، وذكر كلاما لم أضبط لفظه : مثل المجالس والمدارس والباطن والظاهر، ومضمونه أن لنا الباطن ولغيرنا الظاهر، وإن لنا أمرا لا يقف عليه أهل الظاهر فلا ينكرونه علينا .." (٢)

"ص -٤٦٥- فقلت له ورفعت صوتي وغضبت : الباطن والظاهر والجالس والمدارس، والشريعة والحقائق، كل هذا مردود إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ليس لأحد الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا من المشايخ والفقراء، ولامن الملوك والأمراء، ولا من العلماء والقضاة وغيرهم، بل جميع الخلق عليهم طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . وذكرت هذا ونحوه .
فقال ورفع صوته : نحن لنا الأحوال وكذا وكذا، وادعى الأحوال الخارقة؛ كالنار وغيرها، واختصاصهم بها،

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/١٩١

(٢) مجموع الفتاوى ٢١/١٩٣

وأنهم يستحقون تسليم الحال إليهم لأجلها .

فقلت ورفعت صوتي وغضبت : أنا أخاطب كل أحمدي من مشرق الأرض إلى مغربها أي شيء فعلوه في النار فأنا أصنع مثل ما تصنعون، ومن احترق فهو مغلوب، وربما قلت : فعليه لعنة الله، ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار، فسألني الأمراء والناس عن ذلك ؟ فقلت : لأن لهم حيلا في الاتصال بالنار يصنعونها من أشياء : من دهن الضفادع، وقشر النارنج، وحجر الطلق . فضج الناس بذلك، فأخذ يظهر القدرة على ذلك فقال : أنا وأنت نلف في بارية بعد أن تطلى جسومنا بالكبريت . فقلت : فقم،." (١)

"ص -٥١٢- الأولين بإحسان، فكما أن المرأ له من يعلمه القرآن ونحوه، فكذلك له من يعلمه الدين الباطن والظاهر، ولا يتعين ذلك في شخص معين، ولا يحتاج الإنسان في ذلك أن ينتسب إلى شيخ معين، كل من أفاد غيره إفادة دينية هو شيخه فيها، وكل ميت وصل إلى الإنسان من أقواله وأعماله وآثاره ما انتفع به في دينه فهو شيخه من هذه الجهة، فسلف الأمة شيوخ الخلفاء قرنا بعد قرن، وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعته، ويعادي على ذلك، بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان، ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم، ولا يخص أحدا بمزيد موالاة، إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه، فيقدم من قدم الله تعالى ورسوله عليه، ويفضل من فضله الله ورسوله، قال الله تعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لافضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أسود على أبيض، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى " .." (٢)

"ص -٦٣٦- قال شيخ الإسلام رحمه الله :

فصل

قد كتبت فيما تقدم : الكلام في [المكاشفات، والمشاهدات] ، وأنها على [ثلاثة أقسام] في الظاهر، والباطن . وكذلك [السماع، والمخاطبات، والمحادثات] ثلاثة أقسام : في الباطن والظاهر .

فإن [السامع] إما أن يسمع نفس الصوت الذي هو كلام المتكلم الصوتي، أو غير كلامه . كما ترى عينه، وإما أن يسمع صدى الصوت ورجعه كما يرى تمثاله في ماء، أو مرآة . فهذه رؤية مقيدة، وسماع مقيد،

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩٣/٢٢

(٢) مجموع الفتاوى ١٩٥/٢١

كما يقال : رأيته في المرآة ، لكن السمع يجمع بين الصورتين .

وإما أن يتمثل له : يعني كلامه في أصوات مسموعة، كما يتمثل له في صورة فيراها . مثل أن ينقر بيده نقرات، أو يضرب بيده أوتارا، أو يظهر أصواتا منفصلة عنه، يبين فيها مقصوده .." (١)

"ص -٦٤٤- والقصاص، إذا عرف أنهم قتلوا بالأحوال الشيطانية الفاسدة، لأنهم ظالمون، وهم إنما يغتبطون بما ينفذونه من مراداتهم المحرمة، كما يغتبط الظلمة المسلطون .

ومن هذا الجنس حال خفراء الكافرين، والمبتدعين والظالمين، فإنهم قد يكون لهم زهد وعبادة وهمة، كما يكون للمشركين، وأهل الكتاب، وكما كان للخوارج المارقين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : " يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية . أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة " .

وقد يكون لهم مع ذلك أحوال باطنة، كما يكون لهم ملكة ظاهرة، فإن سلطان **الباطن** معناه السلطان **الظاهر**، ولا يكون من أولياء الله إلامن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون . وما فعلوه من الإعانة على الظلم فهم يستحقون العقاب عليه بقدر الذنب . وباب القدرة، والتمكن باطنا وظاهرا ليس مستلزما لولاية الله تعالى، بل قد يكون ولي الله متمكنا ذا سلطان، وقد يكون مستضعفا إلى أن ينصره الله، وقد يكون مسلطا إلى أن ينتقم الله منه، فخفراء التتار في **الباطن** من جنس التتار في **الظاهر**، هؤلاء في العباد بمنزلة هؤلاء في الأجناد .." (٢)

"ص -٢٣- العبارة في **الظاهر**، وكفرت بمعناها في **الباطن**، وردوها إلى أصلهم أصل الصابئين، وصاروا منافقين في المسلمين وفي غيرهم من أهل الملل .

فيقولون : هذا القرآن كلام الله، وهذا الذي جاءت به الرسل كلام الله، ولكن المعنى : أنه فاض على نفس النبي صلى الله عليه وسلم من العقل الفعال، وربما قالوا : إن العقل هو جبريل، الذي ليس على الغيب بضنين، أي بخيل؛ لأنه فياض . ويقولون : إن الله كلم موسى من سماء عقله، وإن أهل الرياضة والصفا يصلون إلى أن يسمعوا ما سمعه موسى كما سمعه موسى .

وقد ضل بكلامه كثير من المشهورين، مثل أبي حامد الغزالي، ذكر هذا المعنى في بعض كتبه، وصنفوا [

---

(١) مجموع الفتاوى ٥٢/١٩٩

(٢) مجموع الفتاوى ٦٠/١٩٩

رسائل إخوان الصفا] وغيرها، وجمعوا فيها على زعمهم بين مقالات الصابئة المتأخرين التي هي الفلسفة المبتدعة، وبين ما جاءت به الرسل عن الله، فأتوا بما زعموا أنه معقول ولا دليل على كثير منه، وربما ذكروا أنه منقول . وفيه من الكذب والتحريف أمر عظيم، وإنما يضلون به كثيرا بما فيه من الأمور الطبيعية . والرياضية، التي لا تعلق لها بأمر النبوات والرسالة لا بنفي ولا بإثبات، ولكن ينتفع بها في مصالح الدنيا؛ كالصناعات من الحراثة والحياكة، والبناية والخياطة ونحو ذلك .." (١)

"ص -٣٤٩- بواسطة القياس المنطقي، وأن النبي له قوة حدسية يظفر بالحد الأوسط في القياس المنطقي بدون معلم، فيكون أكمل من غيره، فيجعلون علمه بالغيب من هذا الباب ولم يدرك بمثل هذا القياس علوما طبيعية أو حسابية ونحو ذلك، فمن أين أنه لا ينال علم إلا به ؟ ومن أين أنه لا مواد يقينية إلا ما يدعيه المدعي مما عنده من الحدسيات المعتادة **الظاهرة والباطنة**، والبديهيات المعتادة، والمتواترات، والمجربات المعتادة، والحدسيات المعتادة، والحس **الباطن**، **والظاهر**، والتجربة، ونحو ذلك لا يعلم بمجرده إلا أمر معين جزئي، وذلك لا يصلح أن يكون مقدمة في القياس، ولكن يعلم في العموم إما بواسطة قياس تمثيل، وإما بعلم ضروري يحدثه الله في القلب ابتداء، وإذا أحدث علما ضروريا عاما لأفراد فإحداث العلم ببعض تلك الأفراد سهل، فقل أن يستفاد بطريقهم علم بنتيجة إلا والعلم بالنتيجة فيه ممكن بالطريق الذي به عرفت المقدمات أو أسهل، فلا يكون في قياسهم إلا زيادة تطويل وتهويل وتضليل .

وقد بسطنا الكلام علي [المنطق اليوناني] بما فيه من حق وباطل، ونافع وضار، في غير هذا الموضع، ونفي العلم إلا بهذا القياس، ونفي كون القياس يقينيا إلا بهذه المقدمات قول بلا علم، وتكذيب بما لم يحط المكذب بعلمه ؛ ولهذا كانت الطريقة النبوية السلفية أن يستعمل في العلوم الإلهية [قياس الأولي] كما قال الله تعالى :." (٢)

"ص -٣٥٢- يكون في الخارج عن نفوسهم لله عندهم كلام، وهكذا كان الجهم يقول أولا : إن الله لا كلام له، ثم احتاج أن يطلق أن له كلاما لأجل المسلمين فيقول : هو مجاز؛ ولهذا كان الإمام أحمد وغيره من الأئمة يعلمون مقصودهم، وأن غرضهم التعطيل، وأنهم زنادقة، والزنديق المنافق .

ولهذا تجد مصنفات الأئمة يصفونهم فيها بالزندقة، كما صنف الإمام أحمد [الرد علي الزنادقة والجهمية] ، وكما ترجم البخاري آخر كتاب الصحيح ب [كتاب التوحيد والرد علي الزنادقة والجهمية] ، وكان عبد

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٣/٢٠٤

(٢) مجموع الفتاوى ٣١/٢١١

الله بن المبارك يقول : إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية .

وتقول الصابئة المحضة الذين آمنوا في **الظاهر** وآمنوا في **الباطن** ببعض الكتاب : كلام الله اسم لما يفيض علي قلب النبي من [العقل الفعال] أوغيره، و [ملائكة الله] اسم لما يتشكل في نفسه من الصور النورانية . وقد يقولون : إن جبريل ه و [العقل الفعال] أو هو ما يتمثل في نفسه من الصور الخيالية كما يراه النائم؛ ولهذا يقول هؤلاء : إن خاصة النبي التخييل، وإن الأنبياء أظهروا خلاف ما أبطنوه لمصلحة العامة، ولم يفيدوا بكلامهم علما، لكن تخييلا ينتفع به العامة، ويجعلون هذا من أفضل الأمور، ويمدحون الأنبياء بذلك، ويعظمونهم،." (١)

"ص -٤٦٨- ويجاهد عليه، ويزن جميع ما خاض الناس فيه من أقوال وأعمال في الأصول والفروع **الباطنة والظاهرة** بكتاب الله وسنة رسوله، غير متبعين لهوى، من عادة، أو مذهب، أو طريقة، أو رئاسة، أو سلف، ولا متبعين لظن؛ من حديث ضعيف، أو قياس فاسد . سواء كان قياس شمول أو قياس تمثيل . أو تقليد لمن لا يجب اتباع قوله وعمله، فإن الله ذم في كتابه الذين يتبعون الظن وما تهوي الأنفس، ويتركون اتباع ما جاءهم من ربهم من الهدى .

فصل

إذا تبين ذلك، فاعلم أن [مسائل التكفير، والتفسيق] هي من مسائل [الأسماء والأحكام] التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا؛ فإن الله . سبحانه . أوجب الجنة للمؤمنين، وحرم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان، قال الله تعالى:﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى و الصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾

وقال تعالى – لما ذكر قول اليهود والنصارى –:." (٢)

"ص -٤٦٩- ويجاهد عليه، ويزن جميع ما خاض الناس فيه من أقوال وأعمال في الأصول والفروع **الباطنة والظاهرة** بكتاب الله وسنة رسوله، غير متبعين لهوى، من عادة، أو مذهب، أو طريقة، أو رئاسة، أو سلف، ولا متبعين لظن؛ من حديث ضعيف، أو قياس فاسد سواء كان قياس شمول أو قياس تمثيل أو تقليد لمن لا يجب اتباع قوله وعمله، فإن الله ذم في كتابه الذين يتبعون الظن وما تهوي الأنفس، ويتركون

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٤/٢١١

(٢) مجموع الفتاوى ١٥١/٢١١

اتباع ما جاءهم من ربهم من الهدى .

فصل

إذا تبين ذلك، فاعلم أن [مسائل التكفير، والتفسيق] هي من مسائل [الأسماء والأحكام] التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا؛ فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين، وحرم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان، قال الله تعالى : ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ١١١] . فأمر أن يطالبهم بالبرهان على هذا النفي العام، وما فيه من الإثبات الباطل، ثم قال : ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ١١٢] .." (١)

"ص -٤٩٧- فوجب أن يلحق بهم، وعلى هذا مضى عمل الأمة قديما وحديثا، في أن عامة المخطئين من هؤلاء تجرى عليهم أحكام الإسلام التى تجرى على غيرهم، هذا مع العلم بأن كثيرا من المبتدعة منافقون النفاق الأكبر، وأولئك كفار في الدرك الأسفل من النار، فما أكثر ما يوجد في الرافضة والجهمية ونحوهم زنادقة منافقون، بل أصل هذه البدع هو من المنافقين الزنادقة، ممن يكون أصل زندقته عن الصابئين والمشركين، فهؤلاء كفار في **الباطن**، ومن علم حاله فهو كافر في **الظاهر** أيضا .

وأصل ضلال هؤلاء الإعراض عما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة، وابتغاء الهدى في خلاف ذلك، فمن كان هذا أصله فهو بعد بلاغ الرسالة كافر لا ريب فيه، مثل من يرى أن الرسالة للعامة دون الخاصة، كما يقوله قوم من المتفلسفة، وغالية المتكلمة والمتصوفة، أو يرى أنه رسول إلى بعض الناس دون بعض، كما يقوله كثير من اليهود والنصارى .

فهذا الكلام يمهد أصلين عظيمين :

أحدهما : أن العلم والإيمان والهدى فيما جاء به الرسول، وأن خلاف ذلك كفر على الإطلاق، فنفي الصفات كفر، والتكذيب بأن الله يرى في الآخرة، أو أنه على العرش، أو أن القرآن كلامه، أو." (٢)

"ص -٩- بالفرقان نفس المصدر فيكون إنزاله كإنزال الإيمان وإنزال العدل؛ فإنه جعل في القلوب التفريق بين الحق والباطل بالقرآن، كما جعل فيها الإيمان والعدل، وهو سبحانه وتعالى أنزل الكتاب والميزان،

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥٢/٢١١

(٢) مجموع الفتاوى ١٨٣/٢١١

والميزان قد فسر بالعدل، وفسر بأنه ما يوزن به ليعرف العدل، وهو كالفرقان يفسر بالفرق، ويفسر بما يحصل به الفرق، وهما متلازمان؛ فإذا أريد الفرق نفسه فهو نتيجة الكتاب وثمرته ومقتضاه، وإذا أريد الفارق فالكتاب نفسه هو الفارق، ويكون له اسمان،كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة الأخرى، سمي كتابا باعتبار أنه مجموع مكتوب تحفظ حروفه ويقرأ ويكتب،وسمى فرقانا باعتبار أنه يفرق بين الحق والباطل كما تقدم، كما سمى هدى باعتبار أنه يهدي إلى الحق، وشفاء باعتبار أنه يشفي القلوب من مرض الشبهات والشهوات، ونحو ذلك من أسمائه .

وكذلك أسماء الرسول؛ كالمقفى، والماحي، والحاشر . وكذلك أسماء الله الحسنى؛ كالرحمن، والرحيم، والملك، والحكيم، ونحو ذلك .

والعطف يكون لتغاير الأسماء والصفات، وإن كان المسمى واحدا كقوله : ﴿سبح اسم ربك لأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى ﴾ [الأعلى : ١٣] ، وقوله : ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ [الحديد : ٣] ، ونحو ذلك .." (١)

"الجزء الثالث عشر

رسالة في علم الباطن والظاهر." (٢)

"ص -٢٣٢- من أهل العلم، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث؛ ولكن يروى عن الحسن البصري موقوفا أو مرسلا : " أن لكل آية ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا " وقد شاع في كلام كثير من الناس : [علم الظاهر، وعلم الباطن] ، و [أهل الظاهر، وأهل الباطن] . ودخل في هذه العبارات حق وباطل .

وقد بسط هذا في غير هذا الموضع؛ لكن نذكر هنا جملا من ذلك فنقول :

قول الرجل : [الباطن] ، إما أن يريد علم الأمور الباطنة، مثل : العلم بما في القلوب من المعارف والأحوال، والعلم بالغيوب التي أخبرت بها الرسل، وإما أن يريد به العلم الباطن، أي الذي يبطن عن فهم أكثر الناس، أو عن فهم من وقف مع الظاهر ونحو ذلك .

فأما الأول، فلا ريب أن العلم منه ما يتعلق بالظاهر، كأعمال الجوارح . ومنه ما يتعلق بالباطن، كأعمال القلوب . ومنه ما هو علم بالشهادة، وهو ما يشهده الناس بحواسهم . ومنه ما يتعلق بالغيب، وهو ما غاب

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/٢٢١

(٢) مجموع الفتاوى ١/٢٢٢

عن إحس ا سهم .

وأصل الإيمان هو الإيمان بالغيب، كما قال تعالى :." (١)

"ص -٢٣٣- ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ﴾ [البقرة : ١ ٣] والغيب الذي يؤمن به ما أخبرت به الرسل من الأمور العامة، ويدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وملائكته والجنة، والنار . فالإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخر يتضمن الإيمان بالغيب؛ فإن وصف الرسالة هو من الغيب، وتفصيل ذلك هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، كما ذكر الله تعالى ذلك في قوله : ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملآئكة والكتاب والنبيين ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وقال : ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ [النساء : ١٣٦] والعلم بأحوال القلوب كالعلم بالاعتقادات الصحيحة والفاسدة، والإرادات الصحيحة والفاسدة، والعلم بمعرفة الله ومحبته، والإخلاص له وخشيته، والتوكل عليه، والرجاء له، والحب فيه، والبغض فيه، والرضا بحكمه، والإنابة إليه، والعلم بما يحمد ويذم من أخلاق النفوس، كالسخاء والحياء، والتواضع والكبر، والعجب والفخر، والخيلاء، وأمثال ذلك من العلوم المتعلقة بأمور باطنة في القلوب ونحوه قد يقال له : [علم الباطن] أي علم بالأمر الباطن، فالمعلوم هو الباطن . وأما العلم الظاهر فهو ظاهر يتكلم به ويكتب، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، وكلام السلف وأتباعهم، بل غالب آي القرآن هو من هذا." (٢)

"ص -٢٣٥- محسوسة لهم بالحس الباطن؛ لكن الناس في حقائق الإيمان متفاضلون تفاضلا عظيما، فأهل الطبقة العليا يعلمون حال أهل السفلى من غير عكس، كما أن أهل الجنة في الجنة ينزل الأعلى إلى الأسفل، ولا يصعد الأسفل إلى الأعلى، والعالم يعرف الجاهل؛ لأنه كان جاهلا، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالما؛ فلهذا كان في حقائق الإيمان الباطنة وحقائق أنباء الغيب التي أخبرت بها الرسل ما لا يعرفه إلا خواص الناس، فيكون هذا العلم باطنا من جهتين : من جهة كون المعلوم باطنا، ومن جهة كون العلم باطنا لا يعرفه أكثر الناس . ثم إن هذا الكلام في هذا العلم يدخل فيه من الحق والباطل ما لا يدخل في غيره، فما وافق الكتاب والسنة فهو حق، وما خالف ذلك فهو باطل كالكلام في الأمور الظاهرة .

(١) مجموع الفتاوى ٤/٢٢٢

(٢) مجموع الفتاوى ٥/٢٢٢

فصل

وأما إذا أريد بالعلم **الباطن** العلم الذي يبطن عن أكثر الناس، أو عن بعضهم، فهذا على نوعين : أحدهما : باطن يخالف العلم **الظاهر** . والثاني : لا يخالفه .." (١)

"ص -٢٣٦- فأما الأول فباطل؛ فمن ادعى علما باطنا أو علما بباطن وذلك يخالف العلم **الظاهر** كان مخطئا؛ إما ملحدا زنديقا، وإما جاهلا ضالا .

وأما الثاني فهو بمنزلة الكلام في العلم **الظاهر**، قد يكون حقا، وقد يكون باطلا، فإن **الباطن** إذا لم يخالف **الظاهر** لم يعلم بطلانه من جهة مخالفته للظاهر المعلوم، فإن علم أنه حق قبل، وإن علم أنه باطل رد وإلا أمسك عنه . وأما **الباطن** المخالف للظاهر المعلوم فمثل ما يدعيه **الباطنية** القرامطة من الإسماعيلية والنصيرية وأمثالهم، ممن وافقهم من الفلاسفة وغلاة المتصوفة والمتكلمين .

وشر هؤلاء القرامطة؛ فإنهم يدعون أن للقرآن والإسلام باطنا يخالف **الظاهر**؛ فيقولون : الصلاة المأمور بها ليست هذه الصلاة، أو هذه الصلاة إنما يؤمر بها العامة، وأما الخاصة فالصلاة في حقهم معرفة أسرارنا . والصيام : كتمان أسرارنا . والحج : السفر إلى زيارة شيوخنا المقدسين .

ويقولون : إن [الجنة] للخاصة : هي التمتع في الدنيا باللذات، و [النار] هي التزام الشرائع والدخول تحت أثقالها . ويقولون : إن [الدابة] التي يخرجها الله للناس هي العالم الناطق بالعلم في كل وقت، وإن [إسرافيل] الذي ينفخ في الصور هو العالم الذي ينفخ بعلمه في القلوب حتى تحيا، و [جبريل] هو العقل الفعال الذي تفيض عنه الموجودات، و [القلم] هو العقل الأول." (٢)

"ص -٢٣٧- الذي تزعم الفلاسفة أنه المبدع الأول، وأن الكواكب والقمر والشمس التي رآها إبراهيم هي النفس والعقل وواجب الوجود، وأن الأنهار الأربعة التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هي العناصر الأربعة، وأن الأنبياء التي رآها في السماء هي الكواكب . فآدم هو القمر، ويوسف هو الزهرة، وإدريس هو الشمس، وأمثال هذه الأمور .

وقد دخل في كثير من أقوال هؤلاء كثير من المتكلمين والمتصوفين، لكن أولئك القرامطة ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض، وعامة الصوفية والمتكلمين ليسوا رافضة يفسقون الصحابة ولا يكفرونهم، لكن فيهم من هو كالزيدية الذين يفضلون عليا على أبي بكر، وفيهم من يفضل عليا في العلم **الباطن** كطريقة

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٢٢/٧

(٢) مجموع الفتاوى ٢٢٢/٨

الحربي وأمثاله، ويدعون أن عليا كان أعلم **بالباطن**، وأن هذا العلم أفضل من جهته، وأبو بكر كان أعلم **بالظاهر** . وهؤلاء عكس محققي الصوفية وأئمتهم، فإنهم متفقون على أن أعلم الخلق بالعلم **الباطن** هو أبو بكر الصديق . وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن أبا بكر أعلم الأمة **بالباطن والظاهر**، وحكى الإجماع على ذلك غير واحد .

وهؤلاء **الباطنية** قد يفسرون : ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ [يس : ١٢] ، أنه علي، ويفسرون قوله تعالى : ﴿تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ [المسد : ١] بأنهما أبو بكر وعمر، وقوله : ﴿فقاتلوا أئمة الكفر ﴾ [التوبة : ١٢] أنهم طلحة والزبير." (١)

"ص -٢٤٤- شئت لأوقرت من تفسير فاتحة الكتاب . . . إلخ، فهذا إذا صح عمن نقل عنه كعلي وغيره، لم يكن فيه دلالة على **الباطن** المخالف للظاهر، بل يكون هذا من **الباطن** الصحيح الموافق للظاهر الصحيح .

وقد تقدم أن **الباطن** إذا أريد به ما لا يخالف **الظاهر** المعلوم فقد يكون حقا، وقد يكون باطلا، ولكن ينبغي أن يعرف أنه قد كذب على علي وأهل بيته، لا سيما على جعفر الصادق ما لم يكذب على غيره من الصحابة، حتى إن الإسماعيلية والنصيرية يضيفون مذهبهم إليه وكذلك المعتزلة .

وكذلك فرقة التصوف يقولون : إن الحسن البصري صحبه، وأنه دخل المسجد فرأي الحسن يقص مع القصاص، فقال : ما صلاح الدين ؟ قال : الورع . قال : فما فساده ؟ قال : الطمع، فأقره وأخرج غيره . وقد اتفق أهل المعرفة بالمنقولات أن الحسن لم يصحب عليا، ولم يأخذ عنه شيئا، و إنما أخذ عن أصحابه كالأحنف بن قيس، وقيس بن سعد بن عباد وأمثالهما، ولم يقص الحسن في زمن علي، بل ولا في زمن معاوية، وإنما قص بعد ذلك . وقد كانوا في زمن علي يكذبون عليه حتى كان الناس يسألونه، كما ثبت في الصحيحين : أنه قيل له : هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب تقرؤونه ؟ فقال : لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا هذه الصحيفة . وفيها أسنان الإبل، وفكاك الأسير، وألا يقتل مسلم بكافر . وفي لفظ : "هل عهد إليكم." (٢)

"ص -٢٥٤- يعلم السر الذي لا يعلمه غيره .

وكان ذلك ما أسره إليه النبي صلى الله عليه وسلم عام تبوك من أعيان المنافقين؛ فإنه روى أن جماعة من

---

(١) مجموع الفتاوى ٩/٢٢٢

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/٢٢٢

المنافقين أرادوا أن يحلوا حزام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ليسقط عن بعيره فيموت، وأنه أوحى إليه بذلك، وكان حذيفة قريبا منه فأسر إليه أسماءهم .

ويقال : إن عمر لم يكن يصلي على أحد حتى يصلي عليه حذيفة، وهذا ليس فيه شيء من حقائق الدين، ولا من **الباطن** الذي يخالف **الظاهر**؛ فإن الله قد ذكر في كتابه من صفات المنافقين وأخبارهم ما ذكره، حتى إن سورة [براءة] سميت الفاضحة؛ لكونها فضحت المنافقين، وسميت المبعثرة، وغير ذلك من الأسماء، لكن القرآن لم يذكر فلانا وفلانا، فإذا عرف بعض الناس أن فلانا وفلانا من هؤلاء المنافقين الموصوفين كان ذلك بمنزلة تعريفه أن فلانا وفلانا من المؤمنين الموعودين بالجنة، فإخباره صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر وعمر وغيرهما في الجنة، كإخباره أن أولئك منافقون، وهذا إذا كان من العلم **الباطن**، فهو من **الباطن** الموافق للظاهر المحقق له المطابق له .

ونظيره في [الأمر] ما يسمى : [تحقيق المناط] ، وهو أن يكون الشارع قد علق الحكم بوصف، فنعلم ثبوته في حق المعين، كأمره باستشهاد ذوي عدل، ولم يعين فلانا وفلانا، فإذا علمنا أن هذا ذو." (١)

"ص -٢٥٥- عدل، كنا قد علمنا أن هذا المعين موصوف بالعدل المذكور في القرآن . وكذلك لما حرم الله الخمر والميسر، فإذا علمنا أن هذا الشراب المصنوع من الذرة والعسل خمرا، علمنا أنه داخل في هذا النص، فعلمنا بأعيان المؤمنين وأعيان المنافقين هو من هذا الباب، وهذا هو من تأويل القرآن .

وهذا على الإطلاق لا يعلمه إلا الله؛ فإن الله يعلم كل مؤمن وكل منافق، ومقادير إيمانهم ونفاقهم وما يختم لهم .

وأما الرسول فقد قال تعالى : ﴿ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم ﴾ [التوبة : ١٠١] فالله يطلع رسوله ومن شاء من عباده على ما يشاء من ذلك .

وأما حديث أبي هريرة، فهو حديث صحيح، قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين، فأما أحدهما فبثثته فيكم، وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا البلعوم . ولكن ليس في هذا من **الباطن** الذي يخالف **الظاهر** شيء، بل ولا فيه من حقائق الدين، وإنما كان في ذلك الجراب الخبر عما سيكون من الملاحم والفتن، فالملاحم الحروب التي بين المسلمين والكفار، والفتن ما يكون بين المسلمين؛." (٢)

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/٢٢٢

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/٢٢٢

"ص -٢٥٦- ولهذا قال عبد الله بن عمر : لو أخبركم أبوهريرة أنكم تقتلون خليفتكم، وتفعلون كذا وكذا لقلتم : كذب أبو هريرة . وإظهار مثل هذا مما تكرهه الملوك؛ وأعوانهم؛ لما فيه من الإخبار بتغير دولهم .

ومما يبين هذا : أن أبا هريرة إنما أسلم عام خيبر، فليس هو من السابقين الأولين، ولا من أهل بيعة الرضوان، وغيره من الصحابة أعلم بحقائق الدين منه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحدثه وغيره بالحديث فيسمعونه كلهم، ولكن كان أبو هريرة أحفظهم للحديث ببركة حصلت له من جهة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم ذات يوم حديثا فقال : " أيكم يبسط ثوبه فلا ينسى شيئا سمعه " ففعل ذلك أبو هريرة . وقد روى : أنه كان يجزئ الليل ثلاثة أجزاء : ثلثا يصلي، وثلثا ينام، وثلثا يدرس الحديث . ولم ينقل أحد قط عن أبي هريرة حديثا يوافق **الباطنية**، ولا حديثا يخالف **الظاهر** المعلوم من الدين . ومن المعلوم أنه لو كان عنده شيء من هذا لم يكن بد أن ينقل عنه أحد شيئا منه، بل النقول المتواترة عنه كلها تصدق ما ظهر من الدين، وقد روى من أحاديث صفات الله وصفات اليوم الآخر وتحقيق العبادات ما يوافق أصول أهل الإيمان، ويخالف قول أهل البهتان .." [١]

"ص -٢٦٨- وهؤلاء شر من القدرية المعتزلة، الذين يقرون بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، ويكذبون بالقدر، فإن أولئك يشبهون المجوس، وهؤلاء يشبهون المشركين المكذبين بالأنبياء والشرائع، فهم من شر الناس . وقد بسط الكلام على هذه الأمور في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا أن **الظاهر** لابد له من باطن يحققه ويصدقه ويوافقه، فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق **بالباطن** فهو منافق، ومن ادعى باطنا يخالف ظاهرا فهو كافر منافق بل باطن الدين يحقق ظاهره ويصدقه ويوافقه، وظاهره يوافق باطنه ويصدقه ويحققه، فكما أن الإنسان لابد له من روح وبدن وهما متفقان، فلابد لدين الإنسان من ظاهر وباطن يتفقان، **فالباطن** للباطن من الإنسان، **والظاهر** للظاهر منه .

والقرآن مملوء من ذكر أحكام **الباطن والظاهر**، **والباطن** أصل **الظاهر**، كما قال أبوهريرة : القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب " . وفي المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الإسلام علانية،

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٩/٢٢٢

والإيمان في القلب " ، وقد قال تعالى : ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ [المجادلة : ٢٢] ،." [١]

"ص -٢٩٨- وهذا الغلو في الظاهر من جنس غلو القرامطة في الباطن، لكن هذا أيبس وذاك أكفر .

ثم يقال لهذا المعاند : فهل هذه الأسماء دالة على الإله المعبود وعلى حق موجود أم لا ؟ فإن قال : لا، كان معطلا محضا، وما أعلم مسلما يقول هذا . وإن قال : نعم، قيل له : فلم فهمت منها دلالتها على نفس الرب ولم تفهم دلالتها على ما فيها من المعاني من الرحمة والعلم وكلاهما في الدلالة سواء ؟ فلابد أن يقول : نعم؛ لأن ثبوت الصفات محال في العقل؛ لأنه يلزم منه التركيب أو الحدوث بخلاف الذات . فيخاطب حينئذ بما يخاطب به الفريق الثاني كما سنذكره وهو من أقر بفهم بعض معنى هذه الأسماء والصفات دون بعض . فيقال له : ما الفرق بين ما أثبته وبين ما نفيته أو سكت عن إثباته ونفيه، فإن الفرق إما أن يكون من جهة السمع؛ لأن أحد النصين دال دلالة قطعية أو ظاهرة بخلاف الآخر، أو من جهة العقل بأن أحد المعنيين يجوز أو يجب إثباته دون الآخر، وكلا الوجهين باطل في أكثر المواضع ؟ .

أما الأول : فدلالة القرآن على أنه رحمن رحيم ودود سميع بصير علي عظيم، كدلالته على أنه عليم قدير، ليس بينهما فرق من جهة النص، وكذلك ذكره لرحمته ومحبته وعلوه، مثل ذكره لمشيئته وإرادته .." [٢]

"ص -٣٣٤- تضمنها الاسم، كالعليم يدل على الذات والعلم، والقدير يدل على الذات والقدرة، والرحيم يدل على الذات والرحمة . ومن أنكر دلالة أسمائه على صفاته ممن يدعي الظاهر، فقوله من جنس قول غلاة الباطنية القرامطة الذين يقولون : لا يقال : هو حي، ولا ليس بحي، بل ينفون عنه النقيضين؛ فإن أولئك القرامطة الباطنية لا ينكرون اسما هو علم محض كالمضمرات، وإنما ينكرون ما في أسمائه الحسنى من صفات الإثبات، فمن وافقهم على مقصودهم كان مع دعواه الغلو في الظاهر موافقا لغلاة الباطنية في ذلك، وليس هذا موضع بسط ذلك .

وإنما المقصود أن كل اسم من أسمائه يدل على ذاته، وعلى ما في الاسم من صفاته، ويدل أيضا على الصفة التي في الاسم الآخر بطريق اللزوم، وكذلك أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، مثل محمد، وأحمد، والماحي، والحاشر، والعاقب . وكذلك أسماء القرآن : مثل القرآن، والفرقان، والهدى، والشفاء، و البيان،

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٢/٢٢٢

(٢) مجموع الفتاوى ٣٠/٢٢٣

والكتاب، وأمثال ذلك .

فإذا كان مقصود السائل تعيين المسمى عبرنا عنه بأي اسم كان إذا عرف مسمى هذا الاسم، وقد يكون الاسم علما وقد يكون صفة كمن يسأل عن قوله : ﴿ومن أعرض عن ذكري ﴾ [طه : ١٢٤] ما ذكره ؟ فيقال له : هو القرآن مثلا، أو هو ما أنزله من الكتب . فإن الذكر مصدر، والمصدر تارة يضاف إلى الفاعل وتارة إلى المفعول .." (١)

"ص -٣٨٢- ويقول الآخر : ﴿الصراط المستقيم ﴾ هو الإسلام أو دين الإسلام، ويقول الآخر : ﴿الصراط المستقيم ﴾ هو السنة والجماعة، ويقول الآخر : ﴿الصراط المستقيم ﴾ طريق العبودية، أو طريق الخوف والرجا والحب، وامتثال المأمور واجتناب المحظور، أو متابعة الكتاب والسنة، أو العمل بطاعة الله أو نحو هذه الأسماء والعبارات .

ومعلوم أن المسمى هو واحد وإن تنوعت صفاته وتعددت أسماؤه وعباراته، كما إذا قيل : محمد هو أحمد، وهو الحاشر، وهو الماحي، وهو العاقب، و هو خاتم المرسلين، وهو نبي الرحمة، وهو نبي الملحمة .

وكذلك إذا قيل : القرآن هو الفرقان، والنور، والشفاء، والذكر الحكيم، والكتاب الذي أحكمت آياته ثم فصلت .

وكذلك أسماء الله الحسنى ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ [الحديد : ٣] وهو ﴿الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ﴾ [الأعلى : ٢ ٥] ، ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ﴾ [الحشر : ٢٢، ٢٣] ﴿هو الله الخالق البارئ المصور ﴾ [الحشر : ٢٤] وأمثال ذلك .." (٢)

"ص -٣٩٠- فأما ذكر أقاويل الناس وأدلتهم وتقرير الحق فيها مبسوطا، فيحتاج من ذكر الأحاديث الواردة في ذلك، وذكر ألفاظها، وسائر الأدلة، إلى ما لا يتسع له هذا المكان، ولا يليق بمثل هذا الجواب، ولكن نذكر النكت الجامعة، التي تنبه على المقصود بالجواب .

فنقول : لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن [الأحرف السبعة] التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن أنزل عليها ليست هي قراءات القراء السبعة المشهورة، بل أول من جمع قراءات هؤلاء هو الإمام أبو بكر

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/٢٢٥

(٢) مجموع الفتاوى ٣/٢٢٧

بن مجاهد، وكان على رأس المائة الثالثة ببغداد، فإنه أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين والعراقين والشام؛ إذ هذه الأمصار الخمسة هي التي خرج منها علم النبوة من القرآن وتفسيره، والحديث والفقه من الأعمال الباطنة والظاهرة، وسائر العلوم الدينية، فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار؛ ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة، أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم .

ولهذا قال من قال من أئمة القراء : لولا أن ابن مجاهد سبقني إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمام جامع البصرة وإمام قراء البصرة في زمانه في رأس المائتين .." (١)

"ص –١٠– إذا تقرر هذا الأصل، فالإنسان فى هذين الواجبين لا يخلو من أحوال أربعة هي القسمة الممكنة، إما أن يأتي بهما، وإما أن يأتى بالعبادة فقط، وإما أن يأتى بالاستعانة فقط، وإما أن يتركهما جميعا .

ولهذا كان الناس فى هذه الأقسام الأربعة، بل أهل الديانات هم أهل هذه الأقسام، وهم المقصودون هنا بالكلام .

قسم يغلب عليه قصد التأله لله ومتابعة الأمر والنهى والإخلاص لله تعالى، واتباع الشريعة فى الخضوع لأوامره وزواجره وكلماته الكونيات، لكن يكون منقوصا من جانب الاستعانة والتوكل، فيكون إما عاجزا وإما مفرطا، وهو مغلوب إما مع عدوه الباطن وإما مع عدوه الظاهر، وربما يكثر منه الجزع مما يصيبه، والحزن لما يفوته، وهذا حال كثير ممن يعرف شريعة الله وأمره، ويرى أنه متبع للشريعة وللعبادة الشرعية، ولا يعرف قضاءه وقدره، وهو حسن القصد، طالب للحق، لكنه غير عارف بالسبيل الموصلة، والطريق المفضية .

وقسم يغلب عليه قصد الاستعانة بالله والتوكل عليه، وإظهار الفقر والفاقة بين يديه، والخضوع لقضائه وقدره وكلماته الكونيات، لكن يكون منقوصا من جانب العبادة وإخلاص الدين لله، فلا يكون مقصوده." (٢)

"ص –١٨– " لبيك وسعديك، والخير بيديك، والشر ليس إليك، تباركت ربنا وتعاليت " .

وذلك أن الشر إما أن يكون موجودا أو معدوما . فالمعدوم سواء كان عدم ذات أو عدم صفة من صفات كمالها أو فعل من أفعالها، مثل عدم الحياة، أو العلم، أو السمع أو البصر، أو الكلام، أو العقل، أو العمل

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/٢٢٩

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/٢٣٢

الصالح على تنوع أصنافه، مثل معرفة الله ومحبته وعبادته والتوكل عله، والإنابة إليه، ورجائه وخشيته، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وغير ذلك من الأمور المحمودة **الباطنة والظاهرة**، من الأقوال والأفعال . فإن هذه الأمور كلها خيرات وحسنات وعدمها شر وسيئات، لكن هذا العدم ليس بشيء أصلا، حتى يكون له بارئ وفاعل فيضاف إلى الله، وإنما هو من لوازم النفس التى هى حقيقة الإنسان قبل أن تخلق وبعد أن خلقت، فإنها قبل أن تخلق عدم مستلزم لهذا العدم، وبعد أن خلقت وقد خلقت ضعيفة ناقصة فيها النقص والضعف والعجز، فإن هذه الأمور عدمية، فأضيف إلى النفس من باب إضافة عدم المعلول إلى عدم علته، وعدم مقتضيه، وقد تكون من باب إضافته إلى وجود منافيه من وجه آخر سنبينه إن شاء الله تعالى .

ونكتة الأمر : أن هذا الشر والسيئات العدمية، ليست موجودة حتى يكون الله خالقها، فإن الله خالق كل شيء .." (١)

"ص -١٢٠- ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ [الحج : ٣٧] .

وكذلك تكذيب الرسول بالقلب وبغضه وحسده والاستكبار عن متابعته، أعظم إثما من أعمال ظاهرة خالية عن هذا كالقتل والزنا والشرب والسرقة، وما كان كفرا من الأعمال **الظاهرة**؛ كالسجود للأوثان، وسب الرسول ونحو ذلك، فإنما ذلك لكونه مستلزما لكفر **الباطن**، وإلا فلو قدر أنه سجد قدام وثن ولم يقصد بقلبه السجود له بل قصد السجود لله بقلبه لم يكن ذلك كفرا، وقد يباح ذلك إذا كان بين مشركين يخافهم على نفسه فيوافقهم فى الفعل **الظاهر** ويقصد بقلبه السجود لله، كما ذكر أن بعض علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب فعل نحو ذلك مع قوم من المشركين، حتى دعاهم إلى الإسلام فأسلموا على يديه، ولم يظهر منافرتهم فى أول الأمر .

وهنا أصول تنازع الناس فيها، منها أن القلب هل يقوم به تصديق أو تكذيب ولا يظهر قط منه شيء على اللسان والجوارح، وإنما يظهر من غير خوف ؟ فالذى عليه السلف والأئمة وجمهور الناس : أنه لا بد من ظهور موجب ذلك على الجوارح، فمن قال : إنه يصدق الرسول ويحبه ويعظمه بقلبه ولم يتكلم قط بالإسلام ولا فعل شيئا من واجباته بلا خوف، فهذا لا يكون مؤمنا فى **الباطن**، وإنما هو كافر .." (٢)

"ص -٣٧٦- وهذه الأمور كان النبى صلى الله عليه وسلم يجمعها فى الصلاة، كما ثبت عنه فى الصحيح : أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه من الركوع، يقول : " ربنا ولك الحمد، ملء السماء

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/٢٣٢

(٢) مجموع الفتاوى ٨٣/٢٣٣

وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد " . فهذا حمد، وهو شكر لله ـ تعالى ـ وبيان أن حمده أحق ما قاله العبد، ثم يقول بعد ذلك : " اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد " .

وهذا تحقيق لوحدانيته، لتوحيد الربوبية ـ خلقا وقدرا وبداية وهداية ـ هو المعطى المانع، لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع، ولتوحيد الإلهية ـ شرعا وأمرا ونهيا ـ وهو أن العباد، وإن كانوا يعطون ملكا وعظمة، وبختا ورياسة فى **الظاهر** أو فى **الباطن**، كأصحاب المكاشفات والتصرفات الخارقة، فلا ينفع ذا الجد منك الجد، أى : لا ينجيه ولا يخلصه من سؤلك وحسابك حظه وعظمته وغناه .

ولهذا قال : " لا ينفعه منك " ولم يقل : " لا ينفعه عندك " ، فإنه لو قيل ذلك أوهم أنه لا يتقرب به إليك، لكن قد لا يضره . فيقول صاحب الجد : إذا سلمت من العذاب فى الآخرة فما أبالى، كالذين." (١)

"ص -٤٦٦- إلى الصور المحرمة من النساء والصبيان ما لا يبتلى به أهل السنة المتبعون للشريعة المحمدية .

وحكايتهم في هذا أكثر من أن يحكى بسطها فى كتاب، وعندهم من الفواحش **الباطنة** **والظاهرة** ما لا يوجد عند غيرهم، وخيار من فيهم يميل إلى الأحداث والغناء والسماع؛ لما يجدون في ذلك من راحة النفوس، ولو اتبعوا السنة لاستراحوا من ذلك .

قال أبو سعيد الخراز لما قال له الشيطان فى المنام : لي فيكم لطيفتان : السماع وصحبة الأحداث . قال أبو سعيد : قل من ينجو منها من أصحابنا، حتى لقوة محبة نفوسهم صار ذلك ممتزجا بطريقهم إلى الله؛ فإن أحدهم يجد فى نفسه عند مشاهدة الشاهد من الرغبة فيما اعتاده من العبادة والزهادة ما لا يجدها بدون ذلك، وعنده في نفسه عند سماع القصائد من الشوق والرغبة والنشاط ما لا يجده عند سماع القرآن، فصاروا في شبهة وشهوة، لم يكتف الشيطان منهم بوقوعهم فى الأمور المحرمة، التى تفتنهم، حتى جعلهم يعتبرون ذلك عبادة، كالذين قال الله فيهم : ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ﴾ الآية [الأعراف : ٢٨] ، وهؤلاء الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات .

وإذا وقعوا فى السماع وقعوا فيه بشوق ورغبة قوية، ومحبة تامة." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ٢١٦/٢٣٤

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/٢٣٥

"ص –٢٦– المنكر ؟ ! فهذا الصبر هو من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ كان الجهاد مقصودا به : أن تكون كلمة الله هي العليا وأن الدين كله لله، فالجهاد والصبر فيه أفضل الأعمال، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله " وهو حديث صحيح رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه، وهو من حديث معاذ بن جبل الطويل، وهو أحب الأعمال إلى الله . فالصبر على تلك المعصية صبر المهاجر الذي هجر ما نهي عنه، وصبر المجاهد الذي جاهد نفسه في الله وجاهد عدو الله **الظاهر** **والباطن**، والمهاجر الصابر على ترك الذنب إنما جاهد نفسه وشيطانه، ثم يجاهد عدو الله **الظاهر**؛ لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، صبر المظلوم وصبر المصاب .

لكن المصاب بمصيبة سماوية تصبر نفسه ما لا تصبر نفس من ظلمه الناس، فإن ذاك يستشعر أن الله هو الذي فعل به هذا، فتيأس نفسه من الدفع والمعاقبة وأخذ الثأر، بخلاف المظلوم الذي ظلمه الناس، فإن نفسه تستشعر أن ظالمه يمكن دفعه وعقوبته وأخذ ثأره منه، فالصبر على هذه المصيبة أفضل وأعظم كصبر يوسف صلوات الله عليه وسلامه وهذا يكون لأن صاحبه يعلم أن الله قدر ذلك فيصبر على ذلك كالمصائب السماوية، ويكون أيضا لينال ثواب الكاظمين الغيظ والعافين عن." (١)

"ص –٣٠– آمنوا ثم كفروا، ثم آمنوا ثم كفروا، ثم ازدادوا كفرا، قيل : لأن المرتد إذا تاب غفر له كفره، فإذا كفر بعد ذلك ومات كافرا حبط إيمانه، فعوقب بالكفر الأول والثاني، كما في الصحيحين عن ابن مسعود قال : قيل : يا رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية ؟ فقال : " من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر " ، فلو قال : إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم، كان هؤلاء الذين ذكرهم في آل عمران فقال : ﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم﴾ [آل عمران : ٩٠] ، بل ذكر أنهم آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا بعد ذلك، وهو المرتد التائب، فهذا إذا كفر وازداد كفرا لم يغفر له كفره السابق أيضا، فلو آمنوا، ثم كفروا، ثم آمنوا، ثم كفروا، ثم آمنوا، لم يكونوا قد ازدادوا كفرا فلا يدخلون في الآية .

والفقهاء إذا تنازعوا في قبول توبة من تكررت ردته، أو قبول توبة الزنديق، فذاك إنما هو في الحكم **الظاهر**؛ لأنه لا يوثق بتوبته، أما إذا قدر أنه أخلص التوبة لله في **الباطن** فإنه يدخل في قوله : ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ [الزمر :

(١) مجموع الفتاوى ٢٣/٢٣٨

٥٣] .
ونحن حقيقة قولنا أن التائب لا يعذب لا في الدنيا ولا في الآخرة،." (١)

"ص -٤٤٧- ولهذا قال عبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط وغيرهما : أصول البدع أربعة : الشيعة، والخوارج، والقدرية، والمرجئة . قالوا : والجهمية ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة . وكذلك ذكر أبو عبد الله ابن حامد عن أصحاب أحمد في ذلك قولين، هذا أحدهما، وهذا أرادوا به التجهم المحض الذي كان عليه جهم نفسه ومتبعوه عليه، وهو نفي الأسماء مع نفي الصفات، بحيث لا يسمي الله بشيء من أسمائه الحسني، ولا يسميه شيئا ولا موجودا ولا غير ذلك، وإنما نقل عنه أنه كان يسميه قادرا لأن جميع الأسماء يسمي بها الخلق، فزعم أنه يلزم منها التشبيه، بخلاف القادر فإنه كان رأس الجبرية، وعنده ليس للعبد قدرة ولا فعل، ولا يسمى غير الله قادرا؛ فلهذا نقل عنه أنه سمي الله قادرا .

وشر منه نفاة الأسماء والصفات، وهم الملاحدة من الفلاسفة والقرامطة؛ ولهذا كان هؤلاء عند الأئمة قاطبة ملاحدة منافقين، بل فيهم من الكفر **الباطن** ما هو أعظم من كفر اليهود والنصارى، وهؤلاء لا ريب أنهم ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة، وإذا أظهروا الإسلام فغايتهم أن يكونوا منافقين، كالمنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأولئك كانوا أقرب إلى الإسلام من هؤلاء، فإنهم كانوا يلتزمون بشرائع الإسلام **الظاهرة**، وهؤلاء قد." (٢)

"ص -٤٥٩- الإسلام في التتار كثيرا جدا، وكلما ظهر فيهم الإسلام وعرفوا حقيقته قلت آثار الشياطين فيهم، وإن كان مسلما يختار الفواحش والظلم أعانته على الظلم والفواحش . وهذا كثير جدا أكثر من الذي قبله في البلاد التي في أهلها إسلام وجاهلية وبر وفجور، وإن كان الشيخ فيه إسلام وديانة ولكن عنده قلة معرفة بحقيقة ما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم . وقد عرف من حيث الجملة أن لأولياء الله كرامات، وهو لا يعرف كمال الولاية، وأنها الإيمان والتقوى واتباع الرسل باطنا وظاهرا، أو يعرف ذلك مجملا ولا يعرف من حقائق الإيمان **الباطن** وشرائع الإسلام **الظاهرة** ما يفرق به بين الأحوال الرحمانية، وبين النفسانية والشيطانية، كما أن الرؤيا ثلاثة أقسام : رؤيا من الله، ورؤيا مما يحدث المرء به نفسه في اليقظة فيراه في المنام، ورؤيا من الشيطان .

فكذلك الأحوال، فإذا كان عنده قلة معرفة بحقيقة دين محمد صلى الله عليه وسلم أمرته الشياطين بأمر لا

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٩/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ٤٥٣/٢٣٨

ينكره، فتارة يحملون أحدهم في الهواء ويقفون به بعرفات ثم يعيدونه إلى بلده، وهو لابس ثيابه لم يحرم حين حاذى المواقيت، ولا كشف رأسه، ولا تجرد عما يتجرد عنه المحرم، ولا يدعونه بعد الوقوف يطوف طواف الإفاضة ويرمي الجمار ويكمل حجه، بل يظن أن مجرد الوقوف -كما فعل -." (١)

"ص -١٦٤- كمال لها ولا صلاح ولا لذة ولا سرور ولا فرح ولا سعادة بدون ذلك، وتحقيق الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وغير ذلك مما يتعلق بهذا الموضع الذي في تحقيقه تحقيق مقصود الدعوة النبوية، والرسالة الإلهية، وهو لب القرآن وزبدته، وبيان التوحيد العلمي القولي، المذكور في قوله: ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ [الإخلاص : ١، ٢] ، والتوحيد القصدي العملي المذكور في قوله تعالى: ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ [الكافرون : ١] ، وما يتصل بذلك، فإن هذا بيان لأصل الدعوة إلى الله وحقيقتها ومقصودها

لكن المقصود في الجواب ذكر ذلك على طريق الإجمال؛ إذ لا يتسع الجواب لتفضيل ذلك، وكل ما أحبه الله ورسوله من واجب ومستحب، من باطن وظاهر فمن الدعوة إلى الله الأمر به،وكل ما أبغضه الله ورسوله من باطن وظاهر، فمن الدعوة إلى الله النهي عنه لا تتم الدعوة إلى الله إلا بالدعوة إلى أن يفعل ما أحبه الله، ويترك ما أبغضه الله، سواء كان من الأقوال أو الأعمال **الباطنة** أو **الظاهرة**، كالتصديق بما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من أسماء الله وصفاته، والمعاد وتفصيل ذلك، وما أخبر به عن سائر المخلوقات : كالعرش، والكرسي، والملائكة، والأنبياء، وأممهم، وأعدائهم؛ وكإخلاص الدين لله، وأن يكون الله ورسوله أحب إلينا مما سواهما، وكالتوكل عليه، والرجاء لرحمته،." (٢)

"ص -٥٦- حيث لا يحتسب . والمخرج هو موضع الخروج، وهو الخروج، وإنما يطلب الخروج من الضيق والشدة، وهذا هو الفرج والنصر والرزق، فبين أن فيها النصر والرزق، كما قال : ﴿أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ [قريش : ٤] ؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : " وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم ؟ بدعائهم، وصلاتهم، واستغفارهم " هذا لجلب المنفعة، وهذا لدفع المضرة .

وأما التوكل فبين أن الله حسبه، أي : كافيه، وفي هذا بيان التوكل علي الله من حيث أن الله يكفي المتوكل عليه، كما قال : ﴿أليس الله بكاف عبده ﴾ [الزمر : ٣٦] خلافا لمن قال : ليس في التوكل إلا التفويض والرضا . ثم إن الله بالغ أمره، ليس هو كالعاجز، ﴿قد جعل الله لكل شيء قدرا ﴾ [الطلاق : ٣] وقد

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٦٥/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ٥٥/٢٤٣

فسروا الآية بالمخرج من ضيق الشبهات بالشاهد الصحيح، والعلم الصريح، والذوق، كما قالوا : يعلمه من غير تعليم بشر، ويفطنه من غير تجربة، ذكره أبو طالب المكي، كما قالوا في قوله : ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ [الأنفال : ٢٩] أنه نور يفرق به بين الحق والباطل، كما قالوا : بصرا، والآية تعم المخرج من الضيق الظاهر والضيق الباطن، قال تعالى : ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ﴾ [الأنعام : ١٢٥] ، وتعم ذوق الأجساد وذوق القلوب، من العلم والإيمان، كما قيل مثل ذلك في قوله : ﴿ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [البقرة : ٣] ، وكما قال : ﴿أنزل من السماء ماء ﴾ [الأنعام : ٩٩] ، وهو القرآن والإيمان .." (١)

"ص -٣١- وقد يقول العارض : حدثك بلا استفهام بل إخبار، فيقول : نعم . ثم من أهل المدينة وغيرهم من يرجح هذا العرض؛ لما فيه من كون المتحمل ضبط الحديث، وأن المحمل يرد عليه ويصححه له، ويذكر هذا عن مالك وغيره . ومنهم من يرجح السماع . وهو يشبه قول أبي حنيفة والشافعي . ومنهم من يجيز فيه أخبرنا وحدثنا، كقول الحجازيين . ومنهم من لا يقول فيه إلا أخبرنا، كقول جماعات، وعن أحمد روايتان . ثم منهم من قال : لا فرق في اللغة وإنما فرق من فرق اصطلاحا؛ ولهذا يقال في الشهادة المعروضة من الحكم والإقرار والعقود أشهدني بكذا، وقد يقال : الخبر في الأصل عن الأمور الباطنة، ومنه الخبرة بالأشياء، وهو العلم ببواطنها، وفلان من أهل الخبرة بكذا، والخبير بالأمور المطلع على بواطنها، ومنه الخبير . وهو الفلاح الذي يجعل باطن الأرض ظاهرا، والأرض الخبار اللينة التي تنقلب، والمخابرة من ذلك .

فقول المبلغ : نعم، لم يدل بمجرد ظاهر لفظه على الكلام المعروف وإنما دل بباطن معناه، وهو أن لفظها يدل على موافقة السائل والمخبر، فإذا قال : أحدثك ؟ وأنكحت ؟ فقال : نعم فهو موافق لقوله : حدثني وأنكحت، وهذه الدلالة حصلت من مجموع لفظ نعم وسؤال السائل، كما أن أسماء الإشارة والمضمرات إنما تعين المشار إليه والظاهر." (٢)

"ص -٢٢٢- يتكلم،أو يتكلم مجازا، وهم يقولون : يتكلم حقيقة، ولكن قولهم في المعني قوله،وهو ينفي الأسماء كالباطنية والفلاسفة

ومنها : بطلان قول من زعم أنه فاض من العقل الفعال أو غيره، وهذا أعظم كفرا وضلالا من الذي قبله

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/٢٤٤

(٢) مجموع الفتاوى ٥/٢٤٥

ومنها : إبطال قول الأشعرية : إن كلام الله معني وهذا العربي خلق ليدل عليه، سواء قالوا : خلق في بعض الأجسام، أو ألهمه جبريل، أو أخذه من اللوح، فإن هذا لابد له من متكلم تكلم به أولا، وهذا يوافق قول من قال : إنه مخلوق، لكن يفارقه من وجهين :

أحدهما : أن أولئك يقولون : المخلوق كلام الله،وهؤلاء يقولون : إنه كلام مجازا، وهذا أشر من قول المعتزلة، بل هو قول الجهمية المحضة، لكن المعتزلة يوافقونهم في المعني

الثاني : أنهم يقولون : لله كلام قائم بذاته، والخلقية يقولون : لا يقوم بذاته؛ فإن الكلابية خير منهم في الظاهر، لكن في الحقيقة لم يثبتوا كلاما له غير المخلوق

والمقصود أن الآية تبطل هذا، " والقرآن " اسم للعربي، لقوله: ﴿ فإذا قرأت القرآن ﴾ [النحل : ٩٨] وأيضا،فقوله: ﴿ نزله ﴾ عائد إلي قوله: ﴿ والله أعلم بما ينزل ﴾ [النحل : ١٠١] ،." (١)

"ص -١٢٥- هذا لا يمنع أن يكون ذاك هو مراد الله ومأموره . فإن عجز الإنسان عن فهم كلام العالم لا يمنع أن يكون قد أراد بكلامه ذلك المعنى، وأن يكون الذي فهمه هو المصيب الذي له أجران . ولهذا تنازع أصحابنا فيمن لم يصب الحكم الباطن، هل يقال : إنه مصيب في الظاهر؛ لكونه أدي الواجب المقدور عليه من اجتهاده واقتصاره ؟ أو لا يطلق عليه اسم الإصابة بحال، وإن كان له أجر على اجتهاده وقصده الحق ؟ على قولين، هما روايتان عن أحمد؛ وذلك لأنه لم يصب الحكم الباطن ولكن قصد الحق، وهل اجتهد الاجتهاد المأمور به ؟ التحقيق أنه اجتهد الاجتهاد المقدور عليه، فهو مصيب من هذا الوجه من جهة المأمور المقدور، وإن لم يكن مصيبا من جهة إدراك المطلوب وفعل المأمور المطلق .

يوضح ذلك أن السلطان نوعان : سلطان الحجة والعلم، وهو أكثر ما سمي في القرآن سلطانا، حتى روي عن ابن عباس أن كل سلطان في القرآن فهو الحجة . والثاني : سلطان القدرة . والعمل الصالح لا يقوم إلا بالسلطانين؛ فإذا ضعف سلطان الحجة كان الأمر بقدره، وإذا ضعف سلطان القدرة كان الأمر بحسبه،والأمر مشروط بالقدرة على السلطانين، فالإثم ينتفي عن الأمر بالعجز عن كل منهما . وسلطان الله في العلم هو الرسالة، وهو حجة الله على خلقه، كما قال تعالى :." (٢)

"ص -١٠٠- والمقصود هنا أن علوه من صفات المدح اللازمة له . فلا يجوز اتصافه بضد العلو البتة؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : " أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/٢٤٦

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/٢٤٧

الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء " ، ولم يقل : [تحتك] ، وقد تكلمنا على هذا الحديث في غير هذا الموضع .

وإذا كان كذلك، فالمخالفون للكتاب والسنة وما كان عليه السلف لا يجعلونه متصفا بالعلو دون السفول، بل إما أن يصفوه بالعلو والسفول أو بما يستلزم ذلك، وإما أن ينفوا عنه العلو والسفول . وهم نوعان .

فالجهمية القائلون بأنه بذاته في كل مكان، أو بأنه لا داخل العالم ولا خارجه، لا يصفونه بالعلو دون السفول . فإنه إذا كان في مكان فالأمكنة منها عال وسافل، فهو في العالي عال، وفي السافل سافل . بل إذا قالوا : إنه في كل مكان . فجعلوا الأمكنة كلها محال له، ظروفا وأوعية، جعلوها في الحقيقة أعلى منه . فإن المحل يحوي الحال، والظرف والوعاء يحوي المظروف الذي فيه، والحاوي فوق المحوي .

والسلف والأئمة وسائر علماء السنة إذا قالوا : إنه فوق العرش،." (١)

"ص -١٢٧- فصل

قوله : ﴿الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى﴾ [الأعلى : ٢، ٣] . العطف يقتضي اشتراك المعطوف والمعطوف عليه فيما ذكر وأن بينهما مغايرة إما في الذات وإما في الصفات .

وهو في الذات كثير، كقوله : ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا﴾ [الحج : ١٧] . وأما في الصفات فمثل هذه الآية . فإن الذي خلق فسوى هو الذي قدر فهدى، لكن هذا الاسم والصفة ليس هو ذاك الاسم والصفة،ومثله قوله : ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ [الحديد : ٣] ،ومثله قوله : ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ إلى قوله : ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ [البقرة : ٣، ٤] ،وقوله : ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ [النساء : ١٦٢] ، وقوله : ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون﴾ [المؤمنون : ١ ٣] ، وقوله : ﴿إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم﴾ الآيات [المعارج : ٢٢ ٢٤] .." (٢)

"ص -٢٢٥- لأنه دون جمع المذكر، وثنى العينين والشفتين؛ لأن العينين هما ربيئة القلب، وليس من الأعضاء أشد ارتباطا بالقلب من العينين؛ ولهذا جمع بينهما في قوله : ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/٢٥٠

(٢) مجموع الفتاوى ٤٨/٢٥٠

[الأنعام : ١١٠] ، ﴿تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ [النور : ٣٧] ، ﴿وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر﴾ [الأحزاب : ١٠] ، ﴿قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة﴾ [النازعات : ٨، ٩] ، ولأن كليهما له النظر، فنظر القلب **الظاهر** بالعينين **والباطن** به وحده، وكذلك اللسان هو الذكر والشفتان أنثاه .." (١)

"ص -٢٨٨- رأى من يهوى بعض المتصلين به أو يعاشره عشرة منكرة، أو رأى له محبة أو ميلا وصبابة وعشقا، ولو كان ولده رأف به، وظن أن هذا من رحمة الخلق، ولين الجانب بهم، ومكارم الأخلاق، وإنما ذلك دياثة ومهانة، وعدم دين وضعف إيمان، وإعانة على الإثم والعدوان، وترك للتناهى عن الفحشاء والمنكر

وتدخل النفس به فى القيادة التى هى أعظم الدياثة، كما دخلت عجوز السوء مع قومها فى استحسان ما كانوا يتعاطونه من إتيان الذكران والمعاونة لهم على ذلك،وكانت فى **الظاهر** مسلمة على دين زوجها لوط،وفى **الباطن** منافقة على دين قومها،لا تقلى عملهم كما قلاه لوط؛ فإنه أنكره ونهاهم عنه وأبغضه،وكما فعل النسوة اللواتى بمصر مع يوسف، فإنهن أعن امرأة العزيز على ما دعته إليه من فعل الفاحشة معها؛ولهذا قال : ﴿ رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ﴾ [يوسف : ٣٣] ، وذلك بعد قولهن : ﴿ إنا لنراها في ضلال مبين ﴾ [يوسف : ٣٠]

ولا ريب أن محبة الفواحش مرض فى القلب، فإن الشهوة توجب السكر، كما قال تعالى عن قوم لوط : ﴿ إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ [الحجر : ٧٢] ، وفى الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : [العينان تزنيان وزناهما النظر] الحديث إلى آخره فكثير من الناس يكون مقصوده بعض هذه." (٢)

"ص -٣٥٨- وهذه طريقة يقر بها عامة العقلاء، حتى الفلاسفة يقولون : كل كمال في المعلول فهو من العلة .

وأما الاستدلال بطريق الأولى فكقوله : ﴿ولله المثل الأعلى﴾ [النحل : ٦٠] ، ومثل قوله : ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾ [الروم : ٢٨] ، وأمثال ذلك مما يدل على أن كل كمال لا نقص فيه يثبت

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/٢٥٢

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/٢٥٤

للمحدث المخلوق الممكن فهو للقديم الواجب الخالق أولى من جهة أنه أحق بالكمال؛ لأنه أفضل .
وذاك من جهة أنه هو جعله كاملا وأعطاه تلك الصفات .
واسمه [العلي] يفسر بهذين المعنيين؛ يفسر بأنه أعلى من غيره قدرا، فهو أحق بصفات الكمال . ويفسر بأنه العالي عليهم بالقهر والغلبة، فيعود إلى أنه القادر عليهم وهم المقدورون . وهذا يتضمن كونه خالقا لهم وربا لهم .
وكلاهما يتضمن أنه نفسه فوق كل شيء، فلا شيء فوقه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : [أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء . وأنت **الظاهر** فليس فوقك شيء، وأنت **الباطن** فليس دونك شيء] .." (١)
"ص -٣٦٩- نحوه، كما ذكره البخاري في صحيحه عن ابن عباس ورواه ابن أبي حاتم من عدة طرق لما قيل له : قوله : ﴿وكان الله . . ﴾ ، كأنه كان شيء ثم مضى ؟ فقال ابن عباس : هو سمى نفسه بذلك ولم يزل كذلك .
هذا لفظ ابن أبي حاتم من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس . فقال ابن عباس : كذلك كان ولم يزل .
ومن رواية عمرو بن أبي قيس، عن مطرف، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس . قال : أتاه رجل فقال : سمعت الله يقول : ﴿وكان الله . . . ﴾ ، كأنه شيء كان ؟ فقال ابن عباس : أما قوله : ﴿كان ﴾ ، فإنه لم يزل ولا يزال، و ﴿هو الأول والآخر **والظاهر** **والباطن** وهو بكل شيء عليم ﴾ [الحديد : ٣] .
ومن رواية عبد الرحمن بن مغراء عن مجمع بن يحيي، عن عمه، عن ابن عباس . قال، قال يهودي : إنكم تزعمون أن الله كان عزيزا حكيما، فكيف هو اليوم ؟ فقال ابن عباس : إنه كان في نفسه عزيزا حكيما .
وهذه أقوال ابن عباس تبين أنه لم يزل متصفا بخبر [كان] ، ولا." (٢)
"ص -٤٢٤- أثبت الله ورسوله باللفظ الذي أثبته، وينفي ما نفاه الله ورسوله كما نفاه . وهو أن يثبت النزول، والإتيان، والمجيء، وينفي المثل، والسمي، والكفؤ، والند .
وبهذا يحتج البخاري وغيره على نفي المثل . يقال : ينزل نزولا ليس كمثله شيء، نزل نزولا لا يماثل نزول

(١) مجموع الفتاوى ١٠٩/٢٥٤
(٢) مجموع الفتاوى ١٢٠/٢٥٤

المخلوقين نزولا يختص به، كما أنه في ذلك وفي سائر ما وصف به نفسه ليس كمثله شيء في ذلك .
وهو منزه أن يكون نزوله كنزول المخلوقين، وحركتهم، وانتقالهم، وزوالهم مطلقا لا نزول الآدميين ولا غيرهم .

فالمخلوق إذا نزل من علو إلى سفل، زال وصفه بالعلو وتبدل إلى وصفه بالسفول، وصار غيره أعلى منه .
والرب تعالى لا يكون شيء أعلى منه قط، بل هو العلي الأعلى ولا يزال هو العلي الأعلى مع أنه يقرب إلى عباده ويدنو منهم، وينزل إلى حيث شاء، ويأتي كما شاء . وهو في ذلك العلي الأعلى، الكبير المتعالى، على في دنوه، قريب في علوه .
فهذا وإن لم يتصف به غيره فلعجز المخلوق أن يجمع بين هذا وهذا . كما يعجز أن يكون هو الأول والآخر، والظاهر والباطن .." (١)

"ص -١٨٥- فهو إما كافر، وإما منافق، لكن الناس هم فيها كما هم في الأعمال الظاهرة؛ فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات، ونصوص الكتاب والسنة طافحة بذلك، وليس هؤلاء المعرضون عن هذه الأمور علما وعملا بأقل لوما من التاركين لما أمروا به من أعمال ظاهرة مع تلبسهم ببعض هذه الأعمال، بل استحقاق الذم والعقاب يتوجه إلى من ترك المأمور من الأمور الباطنة والظاهرة، وإن كانت الأمور الباطنة مبتدأ الأمور الظاهرة وأصولها، والأمور الظاهرة كمالها وفروعها التي لا تتم إلا بها .

فصل
وأما قوله : " يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا " وفي رواية : " وأنا أغفر الذنوب ولا أبالي " " فاستغفروني أغفر لكم " فالمغفرة العامة لجميع الذنوب نوعان :
أحدهما : المغفرة لمن تاب، كما في قوله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ إلى قوله : " ﴿ ثم لا تنصرون ﴾ [الزمر : ٥٣، ٥٤] ، فهذا السياق مع سبب نزول الآية يبين أن المعني لا ييأس مذنب من مغفرة الله، ولو كانت ذنوبه ما كانت، فإن الله." (٢)
"في صورة الحق فالظاهر حق والباطن باطل ثم قال تعالى ﴿ وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ سورة البقرة ٤٢

(١) مجموع الفتاوى ٢٥٤/١٧٥
(٢) مجموع الفتاوى ٢٥٥/٥٣

وهنا قولان قيل إنه نهاهم عن مجموع الفعلين وإن الواو واو الجمع التي يسميها نحاة الكوفة واو الصرف كما في قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن كما قال تعالى ﴿ ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ سورة آل عمران ١٤٢ على قراءة النصب وكما في قوله تعالى ﴿ أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص ﴾ سورة الشورى ٣٤ ٣٥ على قراءة النصب وعلى هذا فيكون الفعل الثاني في قوله ﴿ وتكتموا الحق ﴾ منصوبا والأول مجزوما

وقيل بل الواو هي الواو العاطفة المشركة بين المعطوف والمعطوف عليه فيكون قد نهى عن الفعلين من غير اشتراط اجتماعهما كما إذا قيل لا تكفر وتسرق وتزن

وهذا هو الصواب كما في قوله تعالى ﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾ سورة آل عمران ٧١ ولو ذمهم على الإجتماع لقال وتكتموا الحق بلا نون وتلك الآية نظير هذه

ومثل هذا الكلام إذا أريد به النهي عن كل من الفعلين فإنه قد يعاد فيه حرف النفي كما تقول لا تكفر ولا تسرق ولا تزن ومنه قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ سورة النساء ٢٩

". (١)

"وقال تعالى ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ وقال تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ وقال تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ وقال تعالى ﴿ وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ﴾

وأمثال هذه النصوص التي تبين أن الرسول هدى الخلق وبين لهم وأنه أخرجهم من الظلمات إلى النور لا أنه لبس عليهم وخيل وكتم الحق فلم يبينه ولم يهد إليه لا للخاصة ولا للعامة فإنه من المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتكلم مع أحد بما يناقض ما أظهره للناس ولا كان خواص أصحابه يعتقدون فيه نقيض ما أظهره للناس بل كل من كان به أخص وبحاله أعرف كان أعظم موافقة له وتصديقا له على ما أظهره وبينه فلو كان الحق في الباطن خلاف ما أظهره للزم إما أن يكون جاهلا به أو كاتما له عن الخاصة والعامة ومظهرا خلافه للخاصة والعامة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٢١٠

وكل من كان عارفا بسنته وسيرته علم أن ما يروى خلاف هذا فهو مختلق كذب مثل ما يذكره بعض الرافضة عن علي أنه كان عنده علم خاص باطن يخالف هذا **الظاهر**

(١) ".

"مع أن عقولنا تناقض ذلك لكان ذلك قدحا فيما علمنا به صدقك فنحن نعتقد موجب الأقوال المناقضة لما ظهر من كلامك وكلامك نعرض عنه لا نتلقى منه هدى ولا علم لم يكن مثل هذا الرجل مؤمنا بما جاء به الرسول ولم يرض الرسول منه بهذا بل يعلم أن هذا لو ساغ لأمكن كل أحد أن لا يؤمن بشيء مما جاء به الرسول إذ العقول متفاوتة والشبهات كثيرة والشيطان لا يزال يلقي الوساوس في النفوس فيمكن حينئذ أن يلقى في قلب غير واحد من الأشخاص ما يناقض عامة ما أخبر به الرسول وما أمر به

وقد ظهر ذلك في القرامطة **الباطنية** الذين ردوا عامة **الظاهر** الذي جاء به من الأمر والخبر وزعموا أن العقل ينافي هذا **الظاهر** الذي بينه الرسول

ثم قد يقولون **الظاهر** خطاب الجمهور والعامة حتى يصل الشخص إلى معرفة الحقيقة التي يزعمون أنها تناقض ما بينه الرسول وحينئذ فتسقط عنه طاعة أمره ويسوغ له تكذيب خبره

ومن المعلوم لعامة المسلمين أن قول **الباطنية** الذي يتضمن مخالفة الرسول معلوم الفساد بالضرورة من دين الإسلام

وكذلك ما أخبر به في المعاد قد قال متكلمة المسلمين إن قول الفلاسفة المناقض لذلك معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام

وهكذا ما أخبر به الرسول من أسماء الله وصفاته يعلم أهل الإثبات أن قول النفاة فيه معلوم الفساد بالضرورة من دين الإسلام

(٢) ".

" فصل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥/٢٥

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٥/٢١٥

ذكر أبو حامد في كتاب (الإحياء كلاما طويلا في علم الظاهر والباطن قال وذهبت طائفة إلى التأويل فيما يتعلق بصفات الله تعالى وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهره ومنعوا التأويل وهم الأشعرية أي متأخروهم الموافقون لصاحب الإرشاد قال وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا كونه سميعا بصيرا والرؤية والمعراج وإن لم يكن بالجسد وأولوا عذاب القبر والميزان والسراط وجملة من أحكام الآخرة ولكن أقروا بحشر الأجساد وبالجنة واشتمالها على المأكولات

". (١)

"

قال وتجد قوة أخرى لها أن تركب وتفصل ما يليها من الصور المأخوذة عن الحس والمعاني المدركة بالوهم وتركب أيضا الصور بالمعاني وتفصلها عنها وتسمى عند استعمال العقل مفكرة وعند استعمال الوهم متخيلة وكأنها قوة ما للوهم وبتوسط الوهم للعقل

قلت والمقصود أن يعرف اصطلاحهم ومرادهم بلفظ الخيال والوهم ونحو ذلك وأن الخيال هو تصور الأعيان المحسوسة في الباطن والوهم تصور المعاني التي ليست محسوسة في تلك الأعيان وكلاهما تصور معين جزئي والعقل هو الحكم العام الكلي الذي لا يختص بعين معينة ولا معنى معين

وإذا عرف ذلك فيقال هذه القوة في الباطن بمنزلة القوى الحسية في الظاهر والقدح فيها كالقدح في الحسيات وهذه القوة لا يجوز أن يناقض تصورها للمعقول كما لا يناقض سائر القوى الحسية

". (٢)

"للمعقول لأن المعقولات أمور كلية تتناول هذا المعين وهذا المعين سواء كان جوهرا قائما بنفسه أو معنى في الجوهر والحس الباطن والظاهر لا يتصور إلا أمورا معينة فلا منافاة بينهما فالحس الظاهر يدرك الأعيان المشاهدة وما قام بها من المعاني الظاهرة كالألوان والحركات والذي سموه الوهم جعلوه يدرك ما في المحسوسات من المعاني التي لا تدرك بالحس الظاهر كالصداقة والعداوة ونحو ذلك والتخيل هو بمثل تلك المحسوسات في الباطن ولهذا جعلوا الإدراكات ثلاثة الحس والتخيل والعقل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٤٧/٥

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٣/٦

قال ابن سينا الشيء يكون محسوسا عندما يشاهد ثم يكون متخيلا عند غيبته بتمثل صورته في **الباطن** كزيد الذي أبصرته مثلا إذا غاب عنك فتخيلته وقد يكون معقولا عندما يتصور من زيد مثلا معنى الإنسان الموجود أيضا لغيره وهو عندما يكون محسوسا تكون غشيته غواش غريبة عن ما هيته لو أزيلت عنه لم تؤثر في كنه ما هيته مثل أين ووضع وكيف ومقدار بعينه لو

". (١)

"

وأما قوله وأما الخيال **الباطن** فيتخيله مع تلك العوارض لا يقتدر على تجريده المطلق عنها لكنه يجرده عن تلك العلاقة المذكورة التي تعلق بها الحس فهو يتمثل صورته مع غيبوبة حاملها

فيقال له هذه حجة عليكم فإن ما يتخيله الإنسان في نفسه إنما هو موجود في نفسه فالصورة الخيالية ليست موجودة في الخارج ولا يشترط في التخيل ثبوت المتخيل في الخارج

وقولكم يتخيله مع تلك العوارض إثبات لشيئين ولا حقيقة لذلك بل لم يتخيل إلا الصورة التي هي عرض قائم بنفسه

وقولكم فهو يتمثل صورته مع غيبوبة حاملها كلام ملتبس فإن الصورة التي تخيلها في نفسه ليس لها حامل في الخارج وحامل الصورة التي في الخارج هو موجود معها فالصورة المحمولة في الخارج ليست عين ما في نفسه وما في نفسه ليست الصورة المحمولة

والتحقيق أنه يتخيل الصورة مع غيبوبتها بالكلية عن حسه **الظاهر** ليس مع غيبوبة حاملها قط سواء عني بالصورة نفس الشخص المتصور أو نفس الشكل القائم به

وقوله إن الخيال يتخيله مع تلك العوارض لا يقدر على

". (٢)

"

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٤/٦

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٤/٦

إذا كان كذلك فيقال إذا كان الوهم مفسرا عندهم بما ذكروه من تصور معنى غير محسوس في الأعيان المحسوسة وألا يتأدى من الحس فمعلوم أن هذا تدخل فيه كل صفة تقوم بالحي من الصفات **الباطنة** كالقدرة والإرادة والحب والبغض والشهوة والغضب وأمثال ذلك

فإن القدرة في القادر كالعداوة في العدو والصداقة في الصديق بل قد يكون ظهور الولاية والعداوة والحب والبغض إلى الحس **الظاهر** أقرب من ظهور القدرة

وعلى هذا فيكون تصور الملك والملك هو أيضا من الوهم فإن كون الشخص المعين ملكا لغيره أو مالكا لغيره هو تصور معنى في الشخص المحسوس وذلك المعنى غير محسوس ولا يتخيل تخيل المحسوسات

وكذلك تصور الشهوة والنفرة يكون أيضا من باب التصور الوهمي في اصطلاحهم وكذلك تصور الألم في الغير واللذة فيه هو من الباب فإن ما يجده الحيوان في نفسه من اللذة والألم غير محسوس

فإن قيل هذه الأمور تدرك بآثار تظهر يدرك الحس تلك الظواهر فلا يقال هي موهومة

قيل إن كان هذا كافيا فمعلوم أن تصور الشاة صورة الذئب المحسوسة إدراك لتلك الصورة فتلك الصورة مستلزمة للعداوة

". (١)

"وكذلك إدراك التيس صورة الشاة وكذلك إدراك الإنسان شعار صديقه وعدوه مثل إدراك كل من الطائفتين المقتتلتين شعار الأخرى المسموعة بالأذن كالشعائر المتداعى بها والمرئية كالرايات المرئية هي أيضا مما يدرك بالحس ويستدل بها على الولاية والعداوة التي ليست بمحسوسة بل هي في الأشخاص المحسوسة

ففي الجملة ليس من شرط الصورة الوهمية عندهم أن يدركها الوهم بلا توسط شيء محسوس بل لا تدرك تلك المعاني إلا في الأشياء المحسوسة ولا بد أن تدرك تلك الأشياء المحسوسة فيكون الوهم مقارنا للحس لا بد من ذلك وإلا فلو أدرك الوهم ما يدركه مجردا عن الحس لكان يدرك ما يدركه لا في أعيان محسوسة فلا بد أن يدرك بباطنه وهو القوة المسماة بالوهم عندهم وبظاهره وهو الحس ما في المدرك من الأمر **الباطن** وهو المعنى كالصداقة والعداوة **والظاهر** وهو الشخص الذي هو محل ذلك

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٥١

وعلى هذا فميل كل جنس إلى ما يناسبه في **الباطن** هو بسبب إدراك هذه القوة كما يتفق في المتحابين والمتباغضين والمتحابون قد يكون تحابهم لاشتراكهم في التعاون على ما ينفعهم ودفع ما يضرهم كما يوجد في أجناد العساكر وأهل المدينة الواحدة وأهل الدين الواحد والنسب الواحد ونحو ذلك

". (١)

"بسلب جميع الحقائق فجعل فيه وجودا مشتركا ووجودا مختصا فلم يفهم مذهبه كما فعل ذلك الطوسى منتصرا له فلم يفهم مذهبه

والقونوى وأمثاله يقولون هو المطلق لا بشرط وهذا إما أن يكون ممتنعا في الخارج وإما أن يكون جزءا من الممكنات فيكون الواجب جزءا من الممكنات

وقد بسط بيان تناقض أقوالهم في غير هذا الموضع واعتبر ما ذكرناه من أن كل ما يثبتونه بالبرهان القياسي فإنه قضايا كلية مطلقة بأنهم إذا أرادوا أن يعينوا شيئا موجودا في الخارج داخلا في تلك القضية الكلية عينوه إما بالحس **الباطن** أو **الظاهر** إذ العقل يدرك الكليات والحس هو الذي يدرك الجزئيات فإذا أثبتوا أن الحركة الإدارية مسبوقة بالتصور وأرادوا تعيين ذلك عينوا إما نفس الإنسان فيشيرون إليها وإما النفس الفلكية فيشرون إلى الفلك

وإن أثبتوا وجود موجود معين في الخارج يدخل تحت هذه القضية من غير إشارة إليه تعذر ذلك عليهم

وكذلك إذا ثبت بالعقل أن الكل أعظم من الجزء وأن الأمور المساوية لشي واحد متساوية وأن الشيء الواحد لا يكون موجودا معدوما ونحو ذلك فمتى أراد الإنسان إدخال معين في هذه القضية

". (٢)

"السلام إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم وأن نخاطبهم على قدر عقولهم ومن جعل الناس شرعا واحدا في التعليم فهو كمن جعلهم شرعا واحدا في عمل من الأعمال وهذا كله خلاف المحسوس والمعقول

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥٢/٦

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٩٧/٦

قال وقد تبين لك من هذا أن الرؤية معنى ظاهر وأنه ليس يعرض فيه شبهة إذا أخذ الشرع على ظاهره في حق الله تبارك وتعالى أعني إذا لم يصرح فيه بنفي الجسمية ولا إثباتها

قلت هذا الرجل قد ذكر في كتابه أن أصناف الناس أربعة الحشوية والأشعرية والمعتزلة **والباطنية** باطنية الصوفية وهو يميل إلى باطنية الفلاسفة الذين يوجبون إقرار الجمهور على **الظاهر** كما يفعل ذلك من يقول بقولهم من أهل الكلام والفقه والحديث ليس هو من باطنية الشيعة كالإسماعيلية ونحوهم الذين يظهرون الإلحاد

". (١)

"والقاضي أبي بكر وأبي الحسن التميمي وابن الزاغوني وأمثالهم ممن يقول إن الله فوق العرش وليس بجسم

وقال هؤلاء المتفلسفة كما يقوله هؤلاء المتكلمون الصفاتية إن إثبات العلو لله لا يوجب إثبات الجسمية بل ولا إثبات الكان وبناء ذلك على أن المكان هو السطح **الباطن** من الجسم الحاوي الملاقي للسطح **الظاهر** من الجسم المحوى وهذا قول أرسطو وأتباعه فهؤلاء يقولون مكان الإنسان هو باطن الهواء المحيط به وكل سطح باطن من الأفلاك فهو مكان للسطوح **الظاهرة** بما يلاقيه

ومعلوم أنه ليس وراء الأجسام سطح جسم باطن يحوي شيئا فلا مكان هناك على اصطلاحهم إذ لو كان هناك محوى لسطح الجسم لكان الحاوي جسما وإذا كان كذلك فالموجود هناك لا يكون في مكان ولا يكون جسما ولهذا قال فإذا إن قام البرهان على وجود موجود في هذه الجهة فواجب أن يكون غير جسم فالذي يمتنع وجود هناك هو موجود جسم لا وجود ما ليس بجسم

". (٢)

"القوى هي من باب الأعراض **الباطنة** في الإنسان وكذلك العشق والخجل والوجل ونحوها

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٣٧/٦

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٤٣/٦

ومن المعلوم أن أحدا لم يقل إن كل عرض له شكل وصورة وأنما غاية من يقول ذلك أن يقوله في الجسم القائم بنفسه لا في العرض بل الأعراض **الظاهرة** المشهودة كالألوان والحركات والطعوم والروائح ليس لها في أنفسها شكل وصورة قائمة بنفسها فكيف بالأعراض **الباطنة**

فإن قال بل هذه لها صورة وشكل إما باعتبار محلها وصورتها وشكلها بحسب الجسم الذي قامت به أو بجعل نفس العرض القائم بالجسم له صورة وشكل

يقال وهذا يمكن أن يقال في الأعراض **الباطنة** القائمة بباطن الإنسان كحسه **الباطن** وتوهمه وتخيله القائم بدماغه ونفسه ونحو ذلك فإن هذه أعراض قائمة ببعض بدن الإنسان وبروحه التي هي النفس الناطقة أو بهما وذلك جسم له شكل وصورة فلها من الشكل والصورة من جنس ما للطعم واللون والحركات

الوجه الثاني أن هذه الأمور إما أن تكون قائمة بنفسها وإما أن تكون قائمة بغيرها فإن قال هي قائمة بنفسها مثل أن يريد

(١) ".

"بالوهم والخيال الروح **الباطن** في الدماغ الذي تقوم به هذه القوى أو جسما آخر فمعلوم أن ذلك له ما لغيره من الأجسام من الشكل والصورة وإن كانت قائمة بهذه الأجسام فلها حكم أمثالها من الأعراض القائمة بالأجسام

فعلى التقديرين لم يثبت بذلك إمكان وجود موجود لا جسم ولا قائم بجسم فضلا عن أن يثبت وجود ما ليس في جهة وما لا يمكن الإشارة إليه

وهكذا القول في الخجل والوجل وسائر الأعراض النفسانية

فإن قال هذه الأعراض عندي قائمة بالنفس الناطقة وتلك ليست جسما ولا قوة في جسم ولا يمكن الإشارة إليها وليست داخل السموات والأرض ولا خارج السموات والأرض ولا تصعد ولا تنزل ولا تتحرك ولا تسكن

فيقال له هذا منتف في التخيل والتوهم ونحو ذلك مما يعرف بأن محله قائم بنفسه وهو جسم

ثم يقال إن ثبت ما تقوله في النفس الناطقة كان ذلك حجة في إثبات موجود لا يمكن الإشارة إليه وإن لم يثبت ذلك لم يكن في مجرد الدعوى حجة لك في إثبات موجود قائم بنفسه لا يمكن الإشارة إليه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٧٨/٦

وقال لك المنازع جميع هذه الأعراض عندي يمكن الإشارة إليها بالإشارة إلى محلها كما يشار إلى غيرها من الأعراض ويمكن الإحساس بها وإن كنت الآن لا أحس بها كما لا أحس ببعض أعضاء بدني **الباطنة والظاهرة**

". (١)

"

وإذا قال القائل هذا كما لا يوصف بالسفول فهو لا يوصف أيضا بالعلو فإن العالي المطلق هو المحيط إذا ليس إلا المحيط والمركز وهذا إذا لم يكن محيطا لم يكن عاليا

قيل عن هذا جوابان أحدهما أنه على هذا التقدير إذا كان محيطا لم يكن سافلا ألبتة بل يكون عاليا وعلى هذا فإن كان هو **الظاهر** الذي ليس فوقه شيء وهو **الباطن** الذي ليس دونه شيء ولو أدلى المدلى بحبل لهبط عليه كان محيطا بالعالم عاليا عليه مطلقا ولم يلزم من ذلك أن يكون فلكا ولا مشابها للفلك فإن الواحد من المخلوقات تحيط قبضته بما في يده من جميع جوانبها وليس شكلها شكل يده بل ولا شكل يده شكلها

وذكر أن بعض الشيوخ سئل عن كون الرب عاليا محيطا بالعالم ممسكا له فقال بعض مخلوقاته كالباشق مثلا يقبض بيده حمصة فيكون فوقها محيطا بها ممسكا لها فإذا كان هذا لا يمتنع في بعض مخلوقاته فكيف يكون ممتنعا في حقه

الثاني أنه إذا قدر أنه عال وليس بمحيط لم يلزم أن يكون له مركز ولا أن يكون مركز العالم مركزا له وأن يكون المركز هو السفل بالنسبة إليه وأن يكون العالي هو المحيط بالنسبة إليه بل ذلك بل ذلك إنما يلزم في المحيط كالنقطة من الدائرة فإذا قدر ما ليس بدائرة ولا هو كرة لم يكن له مركز كنقطة الدائرة ولهذا لو

". (٢)

"

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٢٧٩

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٣٣٥

قال والجواب أن دعوى الضرورة قد سبق بطلانها وبقي القسم الثالث فهذه المقدمة توجب الدور لتوقف ثبوتها على نفيها

والاعتراض على هذا أن دعوى الضرورة لا يمكن إبطالها إلا بتكذيب المدعي أو بيان حطئه والمدعون لذلك أمم كثيرة منتشرة يعلم أنهم لم يتواطأوا على الكذب فالقدح في ذلك كالقدح في سائر الأخبار المتواترة فلا يجوز أن يقال إنهم كذبوا فيما أخبروا به عن أنفسهم من العلم الضروري

وأيضا فالمنازع يسلم أن مثل هذا مستقر في فطر جميع الناس وبدائههم وأنهم مضطرون إليه لا يمكنهم دفعه عن أنفسهم إلا كما يمكن دفع أمثاله مما هم مضطرون إليه وإنما يقولون إن هذه الضرورة خطأ وهي من حكم الوهم

وقد تقدم بيان فساد ذلك وأن هذه القضية كلية عقلية لا خبرية معينة ولو كانت خبرية معينة فالجزم بها كالجزم بسائر الحسيات **الباطنة والظاهرة** فهي لا تخرج عن العقليات الكلية والحسيات المعينة وكما يمتنع اتفاق الطوائف الكثيرة التي لم تتواطأ على دعوى الكذب في مثل

(١) ".

"ذلك يمتنع اتفاقهم على الخطأ في مثل ذلك ولو جاز الخطأ في مثل ذلك لم يكن الجزم بما يخبر به الناس عما عرفوه بالحس أو الضرورة لإمكان غلطهم في ذلك فإن غلط الحس **الظاهر** أو **الباطن** أو العقل يقع لآحاد الناس ولطائفة حصل بينها مواطأة وتلقى بعضها عن بعض كالمذاهب الموروثة وكقول التابعين لكون هذا معلوما بالضرورة فإنهم أهل مذهب تلقاه بعضهم عن بعض

وأما الجازمون بالضرورة في أن الله فوق العالم أو أنه لا يعقل موجود قائم بنفسه لا يشار إليه ولا يعقل موجودان ليس أحدهما محايثا للآخر ولا مباينا له وأن مثل هذا ممتنع بالضرورة التي يجدونها في أنفسهم كسائر علومهم الضرورية فهؤلاء أمم كثيرة لم يتواطأوا ولم يتفقوا على مذهب معين

وأما قوله وبقي القسم الثالث فهذه المقدمة توجب الدور لتوقف ثبوتها على نفيها

فليس الأمر كذلك لأن هذه المقدمة الضرورية لا يتوقف ثبوتها على نفي ما يعارضها كسائر المعارف الضرورية بل نعلم بالضرورة أن ماعارضها من النظريات فهو باطل على سبيل الجملة وإن لم نذكر حل الشبه على وجه التفصيل كما نعلم فساد سائر النظريات السوفسطائية المعارضة للعلوم الضرورية

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٣٤١

وإذا قال القائل لا تثبت هذه المقدمة حتى ينفى المعارض المبطل لها ونفي ذلك لا يكون إلا بثبوتها

(١) ".

"حس لم تتفق على الكذب ولا الخطأ فكذلك أيضا العقول المتباينة والفطر المختلفة إذا سمعت ما يعلم بصريح العقل بطلانه وفساده لم تتفق على الإعراض عن النظر والاستدلال حتى يعرف فساده وبطلانه

ولهذا لم تظهر في امة من الأمم أقوال باطلة إلا كان فيهم من يعرف بطلان ذلك فيتكلم بذلك مع من يثق به وإن وافق في **الظاهر** لغرض من الأغراض

ولهذا تجد خلقا من الرافضة والإسماعيلية والنصيرية يعلمون في **الباطن** فساد قولهم ويتكلمون بذلك مع من يثقون به

وكذلك بين النصارى خلق عظيم يعلمون فساد قول النصارى وكذلك بين اليهود

وهذه الأمة قد كان فيها في القرون الثلاثة منافقون لا يعلم عددهم لا الله وقد جاورهم من المشركين وأهل الكتاب أمم أخر وهم طوائف متباينة فما يمكن احدا أن ينقل أنه كان قبل الجعد بن درهم وجهم بن صفوان من ظهر عنه القول بأن العقول تنافي ما في القرآن من إثبات العلو والصفات أو بعض الصفات لا من المؤمنين ولا من أهل الكتاب ولا من سائر الكافرين

ومن المعلوم أن هذا إذا كان مستقرا في صريح المعقول فلا بد مع توفر الهمم والدواعي أن يستخرج ويستنبط وإذا استخرج واستنبط فلا بد مع توفر الهمم والدواعي أن يتكلم به وإذا تكلم به فلا بد مع

(٢) ".

"

قلنا نعم وجد بعد أن ظهرت مقالة الجهمية في المسلمين وحديث الملاحدة من القرامطة **الباطنية** الذين أخذوا شر قول الجهمية وشر قول الرافضة وركبوا منهما قولا ثالثا شرا منهما ونحن لم نقل إنه لم يقدح أحد في الأنبياء والمرسلين ولا كذبهم ولا عارضهم في نفس ما دعوا إليه من التوحيد والنبوة والمعاد وعارضوهم بعقولهم ولم يعارضوهم معارضة صحيحة بل كان ما عارضوا به فاسدا في العقل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٣٤٢

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٧/٧٧

فهؤلاء الذين حدثوا من المعارضين هم أسوأ حالا من أولئك المعارضين فإن القرامطة الباطنية شر من عباد الأصنام من العرب وشر من اليهود والنصارى فمجادلة هؤلاء وأمثالهم بالباطل ليس بعجيب فما زال في الأرض من يجادل بالباطل ليدحض به الحق ولكن قلنا إذا كان الظاهر المفهوم مما خبروا به مخالفا لصريح العقل امتنع في العادة أن لا يعارض أولئك الأعداء به ولا يستشكله الأصدقاء مع طول الزمان وتفرق الأمة فإذا كان العدو يعارض بالمعقول الفاسد فكيف لا يعارض بالمعقول الصريح وإذا كان الولي يستشكل ما لا إشكال فيه لخطأه هو نفسه فكيف لا يستشكل ما هو مشكل يخالف ظاهره بل نصه للحق المعلوم بصريح العقل

فقلنا عدم وجود هذه المعارضات مع توفر الهمم والدواعي على وجودها لو كانت حقا دليل على أنها باطل كما أن عدم نقل ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله لو كان موجودا دليل على أنه كذب بخلاف وجود الطعن والمعارضة فإنه ليس دليلا على صحة ما

(١) ".

"ومن المعلوم أن هذا خلاف قول الطوائف كلها من المثبتة والنفاة حتى من الفلاسفة القائلين بقدم العالم وإنكار معاد الأبدان فإنهم معترفون بما اعترف به سائر الخلق من أن الظاهر المفهوم منها هو إثبات الصفات

لكن هؤلاء المتفلسفة يقولون إن الرسول لم يرد بيان العلم والإخبار بالأمر على وجهه وإنما أراد التخييل وإن تضمن ذلك التدليس وإظهار خلاف ما يبطن والكذب للمصلحة وهذا قول الملاحدة الباطنية

وفساد هذا معلوم من وجوه أكثر مما يعلم به فساد قول الجهمية والمعتزلة ولهذا كان هؤلاء عند المسلمين ملاحدة زنادقة

الوجه الثاني أن يقال التفاسير الثابتة المتواترة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان تبين أنهم إنما كانوا يفهمون منها الإثبات بل والنقول المتواترة المستفيضة عن الصحابة والتابعين في غير التفسير موافقة للإثبات ولم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين حرف واحد يوافق قول النفاة ومن تدبر الكتب المصنفة في آثار الصحابة والتابعين بل المصنفة في السنة من كتاب السنة والرد على الجهمية للأثرم ولعبد الله بن أحمد وعثمان بن سعيد الدارمي ومحمد بن إسماعيل البخاري وأبي داود السجستاني وعبد الله بن محمد الجعفي

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨٢/٧

والحكم بن معبد الخزاعي وحشيش بن أصرم النسائي وحرب بن إسماعيل الكرماني وأبي بكر الخلال ومحمد بن إسحاق بن خزيمة وأبي القاسم الطبراني وأبي الشيخ الأصبهاني وأبي أحمد العسال وأبي

". (١)

"ما كان أكمل وجودا كان أحق بأن يرى كان الباري سبحانه بأن يرى أحق من كل موجود وإذا كان تعذر الرؤية أحيانا قد يكون لضعف الأبصار وكان في الموجودات القائمة بنفسها ما تتعذر أحيانا رؤيته لضعف أبصارنا في الدنيا كان ضعفها في الدنيا عن رؤيته أولى وأولى

وليس المقصود هنا الكلام على أعيان المسائل ولكن المقصود بيان مسمى القياس وأنه وإن كان قد يحصل به من العلوم أمور عظيمة فإنه لا يحصل به كل مطلوب ولا يطرد في كل شيء فطرق العلم ثلاث أحدها الحس الباطن والظاهر وهو الذي تعلم به الأمور الموجودة بأعيانها

والثاني الاعتبار بالنظر والقياس وإنما يحصل العلم به بعد العلم بالحس فما أفاده الحس معينا يفيده العقل والقياس كليا مطلقا فهو لا يفيد بنفسه علم شيء معين لكن يجعل الخاص عاما والمعين مطلقا فإن الكليات إنما تعلم بالعقل كما أن المعينات إنما تعلم بالإحساس

والثالث الخبر والخبر يتناول الكليات والمعينات والشاهد والغائب فهو أعم وأشمل لكن الحس والعيان أتم وأكمل

". (٢)

" فصل

وأما كلام الفلاسفة في هذا الباب فقال القاضي أبو الوليد بن رشد الحفيد في كتابه المعروف بالأصول في العقائد قد رأيت أن أفصح في هذا الكتاب عن الظاهر من العقائد التي قصد الشرع حمل الجمهور عليها ونتحرى في ذلك كله مقصد الشارع صلى الله عليه وسلم بحسب الجهد والاستطاعة فإن الناس قد اضطربوا في هذا المعنى كل الاضطراب في هذه الشريعة حتى حدثت فرق ضالة وأصناف مختلفة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٠٨/٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٢٤/٧

كل واحد منهم يرى أنه على الشريعة الأولى وأن من خالفه إما مبتدع وإما كافر مستباح الدم والمال وهذا كله عدول عن مقصد الشارع صلى الله عليه وسلم وسببه ما عرض لهم من الضلال عن مقصد فهم الشريعة

وأشهر هذه الطوائف في زماننا هذا أربعة الطائفة التي تسمى بالأشعرية والتي تسمى بالمعتزلة والطائفة التي تسمى **بالباطنية** والطائفة التي تسمى بالحشوية وكل هذه الطوائف قد اعتقدت في

". (١)

"

ولهذا يقاتل الكافر حتى يسلم أو يعطى الجزية فيكون مكرها على أحد الأمرين ومن قال لا تؤخذ الجزية من وثني قال إنه يقاتل حتى يسلم وأما الإيمان **الباطن** الذي ينجي من عذاب الله في الآخرة فلا يكفي فيه مجرد الإقرار **الظاهر** بل قد يكون الرجل مع إسلامه **الظاهر** منافقا وقد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منافقون وقد ذكرهم الله تعالى في القرآن في غير موضع وميز سبحانه بين المؤمنين والمنافقين في غير موضع

كما في قوله ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ﴾ سورة الحديد ١٣ ١٥

وقال تعالى ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾

". (٢)

"

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٧/٣٤٥

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٧/٤٣٥

تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ سورة يوسف ١٠٦

ولهذا قالت الأنبياء عليهم السلام لأممهم ﴿ أفي الله شك فاطر السماوات والأرض ﴾ سورة إبراهيم ١٠ وهذا استفهام انكار يتضمن النفي ويبين انه ليس في الله شك

وقول القائل ليس في هذا شك يراد به انه قد بلغ في الظهور والوضوح ولزوم معرفته إلى حيث لا ينبغي أن يشك فيه والى حيث لا يشك فيه وعلى كلا التقديرين يتبين ان الإقرار بالصانع بهذه المثابة

وأما الطريق الثاني وهو ادراك الحواس فلا ريب انهم لا يقولون انهم يدركونه بالحس **الظاهر** بل يقولون ان الحس نوعان ظاهر وباطن والانسان يحس بباطنه الامور **الباطنة** كالجوع والعطش والشبع والري والفرح والحزن واللذة والالم ونحو ذلك من احوال النفس فهكذا يحسون ما في بواطنهم من محبته سبحانه وتعظيمه والذل له والافتقار اليه مما اضطروا اليه وفطروا عليه ويحسون أيضا ما يحصل في بواطنهم من المعرفة المتضمنة لمثله الاعلى في قلوبهم

والاحساس نوعان نوع بلا واسطة كالإحساس بنفس الشمس والقمر والكواكب واحساس بواسطة كالإحساس

". (١)

"

فإن كان الرابع فيلزم أن يستوي عندها الصدق والكذب والاعتقاد المطابق والفاسد وارادة ما ينفعها وارادة ما يضرها وهذا خلاف ما يعلم بالحس **الباطن** **والظاهر** وبالضرورة

وان كان الثالث فيلزم أن يستوي عندها مع العمل أن تعلم وان تجهل وان تهتدي وان تضل وان لا يكون فيها مع استواء الدواعي **الظاهرة** ميل إلى أحدهما وهو أيضا خلاف المعلوم بالحس والضرورة

وان كان الثاني فيلزم أن يستوي عندها إرادة الخير النافع والشر الضار دائما إذا استوت الدواعي الخارجة وهو أيضا خلاف الحس **الباطن** **والظاهر** وخلاف الضرورة فتبين انه لا يستوي عندها هذان بل يترجح عندها هذا وهذا جميعا

وحينئذ فلا تكون مفطورة لا على يهودية ولا على نصرانية فعلى المجوسة اولى ويلزم أن تكون مفطورة على الحنيفية المتضمنة لمعرفة الحق والعمل به وهو المطلوب فصل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٤٠

قال الله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ سورة الذريات ٥٦ وللناس في هذه العبادة التى خلقوا لها قولان أحدهما انها وقعت منهم ثم هؤلاء منهم من يقول جميعهم خلقوا لها ومنهم من يقول إنما خلق لها بعضهم

". (١)

"

ففي الجملة معرفة عين من علم بعض صفاته قد يحصل بالسماع وقد يحصل بالعيان وقد يحصل بالإستدلال والعلم بالموصوف قد يعلم بطرق متعددة فمن علم نعت الملك ثم رآه فقد يعلم عينه لما استقر عنده من معرفة صفاته وقد يعلم ذلك بمن يخبره أن ذلك المسمى الموصوف هو هذا المعين

ولهذا إذا كان في كتاب الوقف ونحوه حدود عقار وصفاته فقد تعلم الحدود بالمعاينة والاستدلال بأن لا يدل ما يطابق تلك النعوت إلا هي وقد يعلم بالخبر والشهادة ما يشهد الشهود بأن الحد المسمى الموصوف هو هذا المعين وإذا شهد الشهود على مسمى منسوب وكتب بذلك حاكم إلى حاكم آخر أو شهد شهود فرع على شهود أصل فإنه يعلم عين المسمى المنسوب كمن شهد بنسبه ولا يوجد له شريك فإن وجد له شريك لم تعلم عينه بالشهادة باسمه ونسبه وصار ذلك كالحلية والنعت المشترك وهل يشهد بالتعيين بمجرد الحلية عند الحاجة فيه نزاع بين الفقهاء

وكما أن معرفة عين الموصوف تحصل بطرق فنفس العلم الأول بصفته المختصة يحصل بطرق والعلم بالمعينة قد يكون بالمشاهدة **الظاهرة** وقد يكون بالمشاهدة **الباطنة** وقد لا يكون إلا لمجرد الآثار

ومما يبين الفرق بين المعين والمطلق ما ذكره الفقهاء في باب الأعيان المشاهدة والموصوفة فإن المبيع قد يكون معينا وقد لا يكون والمعين قد يكون مشاهدا فهذا يصح بيعه بالإجماع وقد يكون غائبا وفيه ثلاثة أقوال مشهورة للعلماء وهي ثلاث روايات عن أحمد أحدها أنه لا

". (٢)

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٦٨/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١١/٩

"وأخطأوا من وجه أصابوا من حيث نفوا عنها هذا التركب والتبعيض والانقسام وأخطأوا من حيث ادعوا ثبوت ذلك في كل ما يشارإليه وكل ما يمكن الإحساس به ورؤيته فإنهم لما زعموا أن كل ما يمكن الإشارة الحسية إليه فهو جسم وكل جسم فهو مركب بهذا الاعتبار لزمهم أن تكون النفس بحيث لا يشار إليها إشارة حسية

ومن المعلوم أن بدنها جسم معين محسوس وأنها هي التي ترى المعينات وتشمها وتذوقها وتسمعها بتوسط البدن فإذا كانت يشار إلى المعينات المحسوسة إشارة حسية تميز بها بين محسوس ومحسوس وتتعلق ببدن معين مخصوص لم تكن نسبتها إلى جميع الأبدان والأجسام واحدة

وإذا قيل هي تتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصريف

قيل المدبر المصرف لغيره إن كان تدبيره بعينه فلا بد من إحساسه وإما إن كان يدبره تدبيرا مطلقا كليا مثلما يأمر الإنسان أتباعه أو أجناده بأمر عام من غير قصد شخص معين منهم فهذا لا يفتقر إلى الإحساس بآحادهم أما إذا أمر واحدا بعينه فلا بد من امتيازه عن غيره

وتمييز الأعيان بعضها عن بعض إنما هو بالحس **الباطن** أو **الظاهر** ليس بمجرد العقل الكلي فإذا كانت تشير إلى المعينات من الأجسام المحسوسة أشارت إليها الأجسام المعينة فإن الإشارة الحسية مشتركة فما أشير إليه إشارة حسية أمكن أن يشير إشارة حسية وما لا فلا

". (١)

"سورة طه ١٢٣ ١٢٤

فقد بين أن حذاق الفلاسفة أيضا يثبتون أن التصديق بما جاء به الشارع لا يتوقف على شيء من الطرق الكلامية المحدثة ولا شيء من طرقهم الفلسفية وإنما غايتهم أن يقولوا إن الطرق الفلسفية تفيد علما لبعض الناس ليس مما يجب ولا يستحب لجمهور الناس وأن ذلك العلم الخاص يخالف بعض **الظاهر** المعروف عند الجمهور

ونحن نقبل من كلامهم ما أقاموا عليه الحجة الصحيحة سواء كانت شرعية أو عقلية فأما إذا قالوا ما نعلم بطلانه رددناه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٩٧/١٠

وقد نبهنا على أن قولهم فيما يدعون الاختصاص به من علم **الباطن** أضعف بكثير من قول من بينوا فساد قوله من المعتزلة والأشعرية

وقد تبين لك أن الطوائف التي في كلامها ما يعارضون به كلام الشارع من العقليات سواء عارضوا به في **الظاهر** **والباطن** كل منهم يقول جمهور العقلاء إن عقلياته تلك باطلة ويبينون فساد عقلياته بالعقليات الصحيحة الصريحة التي لا يمكن ردها

وهذا مما ينصر الله به رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا فإن الله تعالى إذا أقام لكل طائفة تعارض الرسول من جنسها من يبين فساد قولها المعارض له ويكشف جهلها وتناقضها كان بمنزلة أن يقيم لكل طائفة تزيد محاربته من جنسها من يحاربها بالسلاح ثم المؤمن المجاهد يمكنه جهاد هؤلاء كما يمكنه جهاد هؤلاء ويمكنه أن يستعين بما فعلته

". (١)

" ذلك إذا حمل على مثل هذا كان محملا صحيحا فلا نعتقد أن ما تخيله الإنسان في منامه أو يقظته من الصور أن الله في نفسه مثل ذلك فإنه ليس هو في نفسه مثل ذلك بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان ويتخيلها على حقيقتها

بل هي على خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته وإن كان ما رآه مناسبا مشابها لها فالله تعالى أجل وأعظم

وهؤلاء النفاة من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة ونحوهم يزعمون أن الرسل فيما أخبروا به من صفات الرب خيلوا ومثلوا حتى أخرجوا المعقول في مثال المحسوس وكذلك يقول هؤلاء المفلسفة إن ما أخبرت به الرسل من أمر المعاد أمثال مضروبة لتفهيم المعاد العقلي واللذة والألم العقليين ويقول الفارابي وأمثاله إن خاصة الأنبياء جودة التخيل والتخييل والكلام على هؤلاء وبيان خطئهم وضلالهم في هذا التخيل والتوهم الذي هو غير مطابق له موضع غير هذا ومن أكثر أسباب غلطهم بناؤهم على أن المعقول الموجود يكون له وجوده في الخارج وهم إذا تدبروا ذلك علموا أن المعقولات التي هي أمور كلية إنما وجودها في الأذهان لا في الأعيان وإن الخارج لا يكون فيه شيء مما هو معقول مجرد وهو الأمور الكلية إلا أن يراد بالمعقول في قولهم مثلوا المعقول في صورة المحسوس ما يحسه الإنسان بنفسه دون جسده فهذا في الحقيقة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣١٧/١٠

محسوس موجود لكن بالحس الباطن والوجد الباطن ليس معقولا محضا ولا في تمثل أن الإنسان يحس جوعه وشبعه ولذته وألمه أنه ينتقل حكمه من الباطن إلى الظاهر كما ينتقل حكم الحس بالظاهر إلى الباطن وإذا قدر وجود النفس بغير بدن فهو يحس بما يجده من لذة وألم وذلك أمر محسوس لها وبجنس أسباب ذلك لا يكون لها معقولا مجردا كليا فإن ." (١)

" أن يكون أحدهما قبل الآخر وليس مع العالم مقارنا له فوجب أن يكون متقدما عليه وهذا حق فهذا تمام الموازنة والمعادلة بين الحجتين

فالأولى دلت أن الباري تعالى خارج عن العالم ليس فيه وهذه دلت على أن الباري سابق للعالم لم يقارنه العالم وكذلك قال سبحانه هو الأول والآخر والظاهر والباطن ٦٠٥٧ وقال النبي صلى الله عليه و سلم في الحديث الصحيح أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء والباري سبحانه وتعالى فوق العالم فوقية حقيقية ليست فوقية الرتبة كما أن التقدم على الشيء قد يقال إنه بمجرد الرتبة كما يكون بالمكان مثل تقدم العالم على الجاهل وتقدم الإمام على المأموم فتقدم الله على العالم ليس بمجرد ذلك بل هو قبله حقيقة فكذلك العلو على العالم قد يقال إنه يكون بمجرد الرتبة كما يقال العالم فوق الجاهل وعلو الله على العالم ليس بمجرد ذلك بل هو عال عليه علوا حقيقيا وهو العلو المعروف والتقدم المعروف فهذا هو الذي يدل عليه ما ذكره من الموازنة والمقابلة وكلاهما حق يقولون به فعلم أن الحجة عليه لا له

الوجه الرابع أن هذه المعارضة قد أخذها الرازي ممن احتج بها قبله كأبي المعالي وذويه فإنهم ذكروها في مسألة حدوث العالم وذكروها في مسألة الجهة لما أورد عليهم كل واحدة من الطائفتين ما عارضهم به من القضيتين الفطريتين فظنوا أنهم بهذا الإلزام يخلصون من معارضة الطائفتين ويجعلون ذلك دليلا على أنها من حكم الوهم ومع هذا لم يخلصوا بذلك من معارضة الطائفتين بل ادعوا ما يخالف العقل الصريح وكان ذلك مما سلط ." (٢)

" وهو الجهة ليس مكانا على اصطلاح الفلاسفة إذ المكان عند آرسطو هو السطح الباطن من الجسم الحاوي الملاقي للسطح الظاهر من الجسم المحوي إلى أن قال وقد قيل في الآراء السالفة القديمة والشرائع الغابرة إن ذلك الموضع هو مسكن الروحانيين يريدون الله والملائكة إلى أن قال فقد ظهر من هذا

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٧٤/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١١١/١

أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل وأنه الذي جاء به الشرع وابتنى عليه فإن إبطال هذه القاعدة إبطال للشرائع فقد حكى اتفاق الحكماء على إثبات الجهة قال وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله تعالى والملائكة في السماء وأن مما قيل في الآراء السالفة والشرائع الغابرة إن ذلك الموضع يعني ما فوق العالم هو مسكن الروحانيين يريدون الله تعالى والملائكة وتصريحهم في هذا بلفظ المسكن يشبه ما ذكره الأشعري أن المسلمين جميعا إذا نابتهم نائبة يقولون يا ساكن العرش

فقد ظهر بهذا أنما ذكره من التناقض على المجسمة والفلاسفة لا يرد على واحدة منهما بل يمكنهم نفي هذا التناقض

فصل

لفظ الظرف فيه اشتراك غلط بسببه أقوام فإن الظرف في اللغة قد يعنى به الجسم الذي يوعى فيه غيره فيظن إذا استعملت هذه الأدوات في حق الله تعالى أنه محل المخلوقات تكون في جوفه وأنها محل له يكون في جوفها وهذا مما يعلم قطعا أن هذه الأدوات لم تدل على ذلك في حق الله تعالى البتة بل النحاة سموا الألفاظ التي يعبر بها العرب عن المعاني التي هي أعم من ذلك بالظروف حتى يدخل في ذلك ما لا يحيط بالمظروف وأنواع متعددة وقد قال تعالى ولو ترى إذ وقفوا على ربهم وقال تعالى ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم وقال تعالى إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقال تعالى فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل ." (١)

" إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون وقال تعالى لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق وقال ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وقال يجادلونك في الحق بعدما تبين فذم من يقول مالا يعلم ومن يقو غير الحق ومن يجادل فيما لا يعلم ومن يجادل في غير الحق كما قال النبي صلى الله عليه و سلم القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار وقال تعالى في موضع آخر ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس وقال ما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا وقال تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/١٢١

ومن المعلوم أن العلم له طرق ومدارك وقوى باطنة وظاهرة في الإنسان فإنه يحس الأشياء ويشهدها ثم يتخيلها ويتوهمها ويضبطها بعقله ويقيس ما غاب على ما شهد والذي يناله الإنسان بهذه الأسباب قد يكون علما وقد يكون ظنا لا يعلمه وما يقوله ويعتقده ويحسه ويتخيله قد يكون حقا وقد يكون باطلا فالله سبحانه وتعالى لم يفرق بين إدراك وإدراك ولا بين سبب وسبب ولا بين القوى **الباطنة** **والظاهرة** فجعل بعض ذلك مقبولا وبعضه مردودا بل جعل المردود هو قول غير الحق والقول بلا علم مطلقا

فلو كان بعض جناس الإدراك وطرقه باطلا مطلقا في حق الله تعالى أو كان حكمه غير مقبول كان رد ذلك مطلقا واجبا والمنع من قبوله مطلقا متعينا إن لم يعلم بجهة أخرى كما قال في الخبر إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وقال في الاعتبار والقياس الصحيح إن الله يأمر بالعدل وإذا قلتم فاعدلوا كونوا ." (١)

" قوامين لله شهداء بالقسط ليقوم الناس بالقسط فلما كان من المخبرين من لا يقبل خبره إذا انفرد أمر بالتثبت في خبره ولما كان القياس والاعتبار يحصل فيه الظلم والبغي بتسوية الشيء بما ليس مثله في الشرع والعقل أمر بالعدل والقسط وقال تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فبين تعالى أن سبب الاختلاف هو البغي الذي هو خلاف العدل فالشبهة الفاسدة من هذا النمط وهي من أسباب الاختلاف بعد بيان الكتاب والسنة للحق المعلوم كما قال تعالى ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق

فلو كان في الإحساس **الباطن** **والظاهر** ما يرد حكمه مطلقا حتى يوافقه إحساس آخر لكان ذلك أيضا مردودا وليبين ذلك كما بين نظيره فإن الحاجة إلى ذلك في أصل الأيمان أعظم من الحاجة إلى ما هو دون ذلك بدرجات كثيرة فلما كان المحرم هو اتباع الظن وما تهوى الأنفس والقول في الدين بلا علم أو قول غير الحق نهى عن ذلك ولم يفرق بين إحساس ظاهر أو باطن ولا بين حس وعقل فلم يكن لأحد أن يفرق بين ما جمع الله تعالى بينه ويجمع بين ما فرق الله تعالى بينه بل يتبع كتاب الله تعالى على وجهه والله أعلم

والذي دل عليه الكتاب أن طرق الحس والخيال والعقل وغير ذلك متى لم يكن عالما بموجبها لم يكن له أن يقول على الله وليس له أن يقول عليه إلا الحق وليس له أن يقفو ما ليس له به علم لا في حق

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/١٣٦

الله ولا في حق غيره فإما تخصيص الإحساس **بالباطن** بمنعه عن تصور الأمور الإلهية بحسه فهو خلاف ما دل عليه القرآن من تسوية هذا بسائر أنواع الإحساس في المنع وأن القول بموجبها جميعها ." (١)

" لأنه إن كان من أهل البرهان فقد جعل له سبيل إلى التصديق بها بالبرهان وإن كان من أهل الجدل فبالجدل وإن كان من أهل الموعظة فبالموعظة ولهذا قال عليه السلام أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بي يريد بأي طريق اتفق لهم الإيمان من الطرق

قلت وهذا الكلام فيه أشياء جيدة وفيه تفاصيل غير صحيحة لكن هذا ليس موضع الكلام عليه

ثم قال وأما الأشياء التي لخفائها لا تعلم عندهم إلا بالبرهان فقد يعف الله فيها لعباده والذين لا سبيل لهم إلى البرهان إما من قبل فطرهم وإما قبل عادتهم وإما من قبل عدمهم أسباب التعلم فإنه ضرب لهم أمثالها وأشباهها ودعاهم إلى التصديق بتلك الأمثال إذا كانت تلك الأمثال ممكن أن يقع التصديق بها بالأدلة المشتركة للجميع أعني الجدلية والخطابية وهذا هو السبب في أن يقسم الشرع إلى ظاهر وباطن فإن **الظاهر** هو تلك الأمثال المضروبة لتلك المعاني **والباطن** هو تلك المعاني التي لا تتجلى إلا لأهل البرهان وهذه هي أصناف تلك الموجودات الأربعة والخمسة التي ذكرها أبو حامد في كتاب الثغرية

قلت هذا الكلام من أصول النفاق نفاق الدهرية ويظهر بطلانه من وجوه

أحدها قوله وأما الأشياء التي لخفائها لا تعلم إلا بالبرهان إلى آخره يقال له قولك لا تعلم إلا بالبرهان أي لا يمكن تصورها إلا بالبرهان أو لا يمكن التصديق بها عقلا إلا بالبرهان أما الأول فباطل فإن التصور سابق على التصديق ." (٢)

" ثم يقال له البرهان يفضي إلى إحالة **الظاهر** مثلا أم إلى تعيين المراد أما الأول فهم متفقون عليه وأما تعيين المراد فليس مستفادا من مجرد القياس الذي تسميه البرهان إنما يعرف من حيث مراد المتكلم فكيف يكون اختلافهم في التأويل بحسب مرتبة كل واحد في معرفة البرهان والبرهان إنما ينفي **الظاهر** فقط لا يبين ما هو المراد والرد على هؤلاء يطول فليس هذا موضع استقصائه

وإنما الغرض التنبيه على أن هؤلاء الدهرية سلطوا على الجهمية بمثل هذا حتى آل الأمر إلى الكفر بحقيقة الإيمان بالله وباليوم الآخر وجعلوا ذلك هو البرهان والتحقيق الذي يكون للخاصة الراسخين في العلم حتى حرفوا الكلم عن مواضعه وألحدوا في أسماء الله تعالى وآياته وجعلوا أئمة الكفر والنفاق هم أئمة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/١٣٧

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/٢٢٨

الهدى ورؤوس العلماء وورثة الأنبياء مع أنهم في القياس الذي سموه البرهان إنما أتوا فيه بمقاييس سوفسطائية من شر المقاييس السوفسطائية فآل أمرهم إلى السفسطة في العقليات والقرمطة في الشرعيات وهذه حال القرامطة **الباطنية** الذين عظمهم وسلك سبيلهم هذا الفيلسوف ولهذا كان ابن سينا وأمثاله منهم وكان أبوه من دعاة القرامطة المصريين ولذلك اشتغلت بالفلسفة

ثم قال وها هنا صنف ثالث من الشرع متردد بين هذين الصنفين يقع فيه شك فيلحقه قوم ممن يتعاطى النظر **بالظاهر** الذي لا يجوز تأويله ويلحقه آخرون **بالباطن** الذي لا يجوز حمله على **الظاهر** للعلماء لغرابة هذا الصنف واشتباهه والمخطئ في هذ معذور أعني من العلماء

فإن قيل فإذا تردد أن الشرع في هذا على ثلاث مراتب فمن أي هذه الثلاث مراتب هو عندكم ما جاء في صفات المعاد وأحواله فنقول إن هذه المسألة الأمر فيها أنها من الصنف المختلف فيه وذلك أننا نرى قوما ممن ينسبون أنفسهم ." (١)

" المكي وأبي العباس ابن عطاء بل مثل أبي طالب المكي وأبي عبدالرحمن السلمي وأمثال هؤلاء فحاشا لله أن يكونوا من أهل هذا المذهب بل هم من أبعد الطوائف عن مذهب الجهمية في سلب الصفات فكيف يكونون في مذهب الدهرية المنكرين لانفطار السموات والأرض وانشقاقهما نعم يوجد مثل ذلك في المتكلمين بكلام الفقهاء من أهل الفلسفة والكلام وغيرهم وهذا الرجل قد ذكر أصناف الأمة في الأمور الهية الذين سماهم حشوية والأشعرية والمعتزلة **والباطنية** وذكر الصنف الرابع **الباطنية** ولم يتعقبهم بكلام إلا ما ذكره من مذهب الصوفية أنهم يلتمسون العلم بطريقة إماتة الشهوات فإن كان قد جعل هؤلاء هم **الباطنية** فهذا خطأ عظيم وإن كان يوجد فيهم من يقول بقول **الباطنية** كما يوجد مثل ذلك في المتكلمين والفقهاء ولعل شبههم في ذلك مع ما حكاه عنهم في أمر المعاد أنهم يقولون علم **الباطن** وينتسبون إلى علم **الباطن** ولكن هذا اللفظ فيه إجمال وإيهام فالصوفية العارفون الذين لهم في الأمة لسان صدق إذا قالوا علم **الباطن** وعلوم **الباطن** ونحو ذلك فهم لا يريدون بذلك ما يناقض **الظاهر** بل هم متفقون على أن من ادعا باطنا من الحقيقة يناقض ظاهر الشريعة فهو زنديق وإنما يقصدون بذلك عمل باطن الإنسان الذي هو قلبه بالأعمال **الباطنة** كالمعرفة والمحبة والصبر والشكر والتوكل والرضا ونحو ذلك ما هو كله تحقيق كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ." (٢)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢٣٥/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٢٣٨/١

" في ما قاله الرسول صلى الله عليه و سلم وتكلم به لا في خلاف ما قاله ولا في تأويل ما قال خلاف ظاهره فإن ذكر ذلك لا يوجب أن المستمع يكذب الله ورسوله بل يكذب المتأول المخالف لما قال الله ورسوله نعم نفس ذلك التأويل المخالف لقوله يكون تكذيبا لله ورسوله إما في **الظاهر** وإما في **الباطن** **والظاهر** فلو أريد ذلك لكان يقول أتريدون أن تكذبوا الله ورسوله أو أن تظهروا تكذيب الله ورسوله فإن المكذب من قال ما يخالف قول الله ورسوله إما ظاهرا واما ظاهرا وباطنا وعلي إنما خاف تكذيب المستمع لله ورسوله وهذا لا يكون لمجرد تأويل المتأولين فإن المؤمن لا يكذب الله ورسوله لقول مخالف لتأويل يخالف ذلك بل يرد ذلك عليه

فإن قال هذه التأويلات **الباطنة** قد ذكرها النبي صلى الله عليه و سلم للخاصة

قيل هذا من الإفك المفترى الذي اتفق أهل العلم بالإسلام على أنه كذب وقد ثبت عن علي رضي الله عنه في الصحيح من غير وجه لما سأله من ظن أن عنده من الرسول علما اختص به فبين لهم علي رضي الله عنه أنه لم يخصه بشيء

قال الحفيد فقد رأيت أن أفحص في هذا الكتاب عن **الظاهر** من العقائد التي قصد الشرع حمل الجمهور عليها ونتحرى في ذلك كله مقصد الشارع صلى الله عليه و سلم بحسب الجهد والاستطاعة فإن الناس قد اضطربوا في هذا المعنى كل الاضطراب في هذه الشريعة حتى حدثت فرق ضالة وأصناف مختلفة كل واحد منهم يرى أنه على الشريعة الأولى وأن من خالفه إما مبتدع وإما كافر مباح ." (١)

" الدم والمال وهذا كله عدول عن مقصد الشارع وسببه ما عرض لهم من الضلال عن فهم مقصد الشريعة وأشهر هذه الطوائف في زماننا هذا أربعة الطائفة التي تسمى الأشعرية وهم الذين يرى أكثر الناس اليوم أنهم أهل السنة والتي تسمى المعتزلة والطائفة التي تسمى **بالباطنية** والطائفة التي تسمى بالحشوية وكل هذه الطوائف قد اعتقدت في الله اعتقادات مختلفة وحرفت كثيرا من ألفاظ الشرع عن ظاهرها إلى تأويلات نزلوها على تلك الاعتقادات وزعموا أنها الشريعة الأولى الذي قصد بالحمل عليها جميع الناس وأن من زاغ عنها فهو إما كافر وإما مبتدع وإذا تؤمل جميعها وتؤمل مقصد الشارع ظهر أنها كلها أقاويل محدثة وتأويلات مبتدعة وأنا أذكر من ذلك ما يجري مجرى العقائد الواجبة في الشرع التي لا يتم الإيمان إلا بها وأتحرى في ذلك كله مقصد الشارع صلى الله عليه و سلم دون ما جعل أصلا في الشرع وعقيدة من عقائده من قبل التأويل الذي ليس بصحيح وأبدأ من ذلك بتعريف ما قصد في الشرع أن يعتقد الجمهور في الله تبارك

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٢٤٠

وتعالى والطرق التي سلك بهم في ذلك وذلك في الكتاب العزيز ونبتدي من ذلك معرفة الطريق التي تفضي إلى وجود الصانع إذ كانت أول معرفة يجب أن يعلمها المكلف وقبل ذلك فينبغي أن نذكر إذا تلك الفرق المشهورة في ذلك فنقول

أما الفرقة التي تدعى بالحشوية فإنهم قالوا إن طريق معرفة وجود الله تعالى هو السمع لا العقل أعني أن الإيمان بوجود الذي كلف الناس التصديق به يكفي فيه السمع أن يتلقى من صاحب الشرع كما يتلقى منه أحوال العبادة وغير ذلك مما لا مدخل للعقل فيه وهذه الفرقة **الظاهر** من أمرها أنها مقصرة عن مقصود الشرع في الطريق التي نصبها للجميع مفضية إلى معرفة وجود الله تعالى وتقدس ودعاهم من قبلها إلى الإقرار به وذلك أنه يظهر من غير ما آية من ." (١)

"كان ينتحل قولهم فزعم أن الباري تعالى عالم قادر سميع بصير في المجاز لا في الحقيقة ومنهم رجل يعرف بعباد بن سليمان يزعم أن الباري ليس بعالم قادر سميع بصير حليم خليل في حقيقة القياس وكذلك ذكره في الإبانة

وأما الفرقة الرابعة وهي **الباطنية** فلم يذكر لهم مقالة بعضها يرد وذلك لأنه منهم فإنه يرى أن ظواهر الشريعة في وصف الله تعالى واليوم الآخر له باطن يخالف ظاهره وأن فرض الجمهور اعتقاد ظاهره ومن تأوله فقد كفر وفرض الذين سماهم أهل البرهان اعتقاد باطنه ووجوب تأويله ومن لم يتأوله فقد كفر لكن قد ذكر عن الصوفية أنهم يزعمون أن المعرفة بالله وبغيره من الموجودات شيء يلقى في النفس عند تجردها عن العوارض الشهوانية ولم يرض هذه الطريقة بل ذكر أن إماتة الشهوات شرط في صحة النظر لا أنها تفيد المعرفة بذاتها وقد ذكر مثل هذا عن طائفة من الصوفية أنهم يرون في المعاد رأي الفلاسفة المشائين فتكون الصوفية معدودين عنده من **الباطنية** وإن كان اسم **الباطنية** يتناولهم عنده ويتناول الفلاسفة المشائين

وحقيقة الأمر أن اسم **الباطنية** قد يقال في كلام الناس على صنفين أحدهما من يقول إن للكتاب والسنة باطنا يخالف ظاهرها فهؤلاء هم المشهورون عند الناس باسم **الباطنية** من القرامطة وسائر أنواع الملاحدة وهم الذين عناهم هذا الفيلسوف

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢٤١/١

وهؤلاء في الأصل قسمان قسم يرون ذلك في الأعمال **الظاهرة** حتى في الصلاة والصوم والحج والزكاة وتحريم المحرمات من الفواحش والظلم والشرك ونحو ذلك فيرون أن الخطاب المبين لوجوب هذه الواجبات ." (١)

" وتحريم المحرمات ليس هو على ظاهره المعروف عند الجمهور ولكن لذلك أسرار وبواطن يعرفونها كما يقولون الصلاة معرفة أسرارنا والصوم كتمان أسرارنا والحج الزيارة إلى شيوخنا المقدسين فهؤلاء زنادقة منافقون باتفاق سلف أئمة الإسلام ولا يخفى نفاقهم على من له بالإسلام أدنى معرفة ثم خواصهم لا يقولون برفع هذه الظواهر عن الجمهور بل يقولون برفعها عن الخاصة كما يقولون في الأمور العملية فإن من دفع أن يكون الخطاب العلمي مرادا به هذه الأعمال فهو للخطاب العملي أعظم دفعا وهذا الصنف يقع في القرامطة المظهرين للرفض ويقع في زنادقة الصوفية من الاتحادية الحلولية ويقع في غالية المتكلمة لكن هؤلاء قد يدعون تخصيص الخطاب العام الموجب للصلاة والزكاة والصيام والحج وإن كان ذلك كذبا معلوما بالاضطرار من دين الإسلام أنه باطل لا يدعون رفع حكم الخطاب مطلقا وأما عقلاء هذه الطائفة **الباطنية** مثل ابن رشد هذا وأمثاله فإنهم يقولون **بالباطن** المخالف للظاهر في العلميات وأما العمليات فيقرونها على ظاهرها وهذا قول عقلاء الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام مع أنهم في التزام الأعمال الشرعية مضطربون لما في قلوبهم من المرض والنفاق وتارة يرون سقوطها عنهم أو عن بعضهم دون العامة وابن سينا كان مضطربا في ذلك لكن له عهد قد التزم فيه موافقة الشريعة وهم في الجملة يرون موافقة الشريعة العملية أولى من مخالفتها وليس هذا موضع تفصيل مقالات الناس ولا يكاد تفصيل الباطل ينضبط

وأما القسم الثاني فالذين يتكلمون في الأمور **الباطنة** من الأعمال والعلوم لكن مع قولهم إنها توافق **الظاهر** ومع اتفاقهم على أن من ادعى باطنا يخالف **الظاهر** فهو منافق زنديق فهؤلاء هم المشهورون بالتصوف عند الأمة وهم في ما يتكلمون فيه من الأعمال **الباطنة** وعلم **الباطن** يستدلون على ذلك بالأدلة ". (٢)

" الشرعية من الكتاب والسنة كما يستدل بذلك على الأعمال **الظاهرة** وذلك في علم الدين والإسلام كما للإنسان بدن وقلب وهؤلاء من أعظم الناس إنكارا على من يخالف **الظاهر** ممن فيه نوع تجهم دع

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢٥٩/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٢٦٠/١

الباطنية الدهرية وهم أشد إيمانا بما أخبر به الرسول صلى الله عليه و سلم باطنا وظاهرا من غيرهم وأشد تعظيما للأعمال الظاهرة مع الباطنة من غيرهم

ولكن يوجد فيهم من جنس ما يوجد في بقية الطوائف من البدعة والنفاق مثل من قد يرى الاستغناء بالعمل الباطن عن الظاهر ومن يدعي أن للقرآن باطنا يخالف ظاهره ونحو ذلك من صنوف المنافقين والزنادقة فهؤلاء بالنسبة إلى الصوفية الذين هم مشائخ الطريقة الذين لهم في الأمة لسان صدق بالنسبة إلى المنافقين الزنلدقة ومن متكلمي الفلسفة ونحوهم موجودين في الفقهاء بالنسبة إلى الفقهاء الأئمة الذين لهم في الأمة لسان صدق فكما أن أولئك الأئمة الفقهاء برءاء من بدع أهل الكلام فضلا عن بدع الفلاسفة من الباطنية ونحوهم فكذلك المشائخ الصوفية برآء من بدع أهل التصوف فضلا عن من دخل فيهم من المتفلسفة وغيرهم فهذا أصل عظيم ينبغي معرفته

واعتبر ذلك بما ثبت مقبولا من أئمة المشائخ كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرحي والسري السقطي والجنيد بن محمد وسهل ابن عبدالله التستري وعمرة وبن عثمان المكي وخلائق قبل هؤلاء من الصحابة ." (١)

" وقسم ذكروا المتقدمين والمتأخرين كما فعل الحافظ أبو نعيم الأصبهاني وأبو الفرج ابن الجوزي وغيرهما

وهؤلاء المشائخ الموجودون في هذه الكتب ليس فيهم من هو معروف بإعتقاد مذهب الباطنية المخالف للظاهر بل لهم من الكلام في نقيض ذلك بل في رد البدع الصغار وحفظ الشريعة باطنا وظاهرا من الكلام والقوة في ذلك والموالاة عليه والمعاداة عليه مالا يوجد كثير منه للكثير من أئمة الفقهاء وحذاق الشيوخ أكثر عناية بالرد على الجهمية من كثير من حذاق الفقهاء لا سيما الكاملين في التصوف منهم وهم أهل الحديث كما كانوا يوصون الإنسان أن يكتب الحديث وإن تصوف فإن هؤلاء من أعظم الناس رعاية لما جاءت به الشريعة من الأقوال والأعمال ومحافظة على ما دل عليه ظاهرها مع تحقيق باطنها فيجمعون بين الظاهر والباطن

وأما ما حكاه عنهم حيث قال وأما الصوفية فطرقهم في النظر ليست طريقة نظرية أعني من مقدمات وأقيسة وإنما يزعمون المعرفة بالله وبغيره من الموجودات بشيء يلقي في النفس عند تجريدها من العوارض الشهوانية وإقبالها بالقلوب على المطلوب

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢٦١/١

فيقال هذه الأشياء إنما أخذها هذا من كلام أبي حامد فإنه كثيرا ما يذكر في كتبه أن الطريق إلى المعرفة هي هذا وهو يذكر ذلك في الكتب التي يذكر فيها المشائخ الصوفية كالإحياء وغيره ويذكر بعض ما في ." (١)

" أحدهما أنه لا فرق في هذا بين أفعال الله تعالى وصفاته وبين سائر الأشياء فإن الإنسان إذا أحس أمرا أو تخيله حصل له من العلم والعقل بسبب ذلك ما لم يدركه الحس والخيال كما يعقل الأمور العامة الكلية عند إحساس بعض أفرادها بالقياس والاعتبار ولا يجوز أن يقال في جميع المعقولات إنها ثبت على خلاف حكم الحس والخيال وإن أراد أحد بهذا اللفظ هذا المعنى لم يضر ذلك إذ يكون التقدير أن الإنسان ينال بعقله من العلم مالا يناله بحسه وهذا لا نزاع فيه لكن لا يقتضي ذلك تنافي المحسوس والمعقول بل ذلك يوجب تصادقهما وموافقتهما

الوجه الثاني إن الحس يمكنه إدراك كل موجود فما من شيء من الإدراك إلا ويمكن معرفته بالإحساس **الباطن** أو **الظاهر** كما قد نبهنا على ذلك فيما تقدم من هذه الأجوبة بل هذا المنازع وأصحابه قالوا من ذلك ما هو من أبلغ الأمور في مسألة الرؤية وغيرها حيث يجوزون رؤية كل موجود بل يجوزون تعلق الحواس الخمس من السمع والبصر والشم والذوق واللمس بكل موجود فلم يبق عندهم في الموجودات ما يمتنع أن يكون محسوسا فلا يصح أن يقال إنه يدرك بالعقل والعلم ما يمتنع إدراكه بالحس إلا إذا قيد الامتناع بأن يقال مالا يمكننا إحساسه في هذه الحال أو ما تعجز قدرتنا عن إحساسه ونحو ذلك وإلا فإحساسه ممكن والله تعالى قادر عليه ويفعل من ذلك ما يشاء كما يشاء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ثم قال أبو عبدالله الرازي أما تقرير هذا المعنى في أفعال الله تعالى فذاك من وجوه

أحدها أن الذي شاهدناه هو تغير الصفات مثل انقلاب الماء والتراب نباتا وانقلاب النبات جزء بدن حيوان فأما حدوث الذوات ابتداء من غير سبق مادة ." (٢)

" وهذا الأصل الذي قالوه عليه أهل الأثبات فإن أهل السنة والجماعة المقرين بأن الله تعالى يرى متفقون على أن مالا يمكن معرفته بشيء من الحواس فإنما يكون معدوما لا موجودا

فكان حق الجهم أن يقول لهم إن أردتم أني لا بد أن أحس بإلاهي فلا يجب عندكم أن ينكر الإنسان ما لم يحسه هو وإن أردتم أنه لا بد أن يمكن أن يحس به فإلاهي يمكن أن يرى وأن يسمع كلامه

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢٦٣/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٢٨٨/١

وإن أردتم أنه لا بد أن يكون قد عرفه بالحس بعض الآدميين فهذا مع أنه غير واجب فقد سمع كلامه من سمعه من الرسل وهو أحد الحواس وقد رواه بعضهم أيضا عند كثير من أهل الأثبات وكان يقول لهم أتريدون أنه لا بد أن يحسه هذا الحس **الظاهر** أم يكفي إحساس **الباطن** إياه وشهوده إياه الأول منقوض بأحوالنا **الباطنية** الجسمانية والنفسانية وأما الثاني فمسلم وقد شهدته بعض القلوب

فعدل عن ذلك وادعى وجود موجود لا يمكن إحساسه وهو الروح وهذا هو قول المتفلسفة المشائين فيها وحجته هذه من جنس حجة أبي عبدالله الرازي لما ادعى جواز وجود موجود لا يمكن إحساسه ولا يكون داخل العالم ولا خارجه واحتج على ذلك بقول هؤلاء المتفلسفة ومن وافقهم في العقول والنفوس ويقول بقولهم وقول من وافقهم من متكلمي المسلمين في النفس الناطقة فجهم أول هؤلاء ومقدمهم الأول ولهذا ألزمته هذه الحجة أن يصف الرب تعالى وتقدس من الحلول والاتحاد بنحو مما قالته النصارى في المسيح لكن أولئك خصوه ." (١)

" يبين هذا أن الذي قاله أئمة أهل الكلام في الصفة يقال مثله في القدر قال الأستاذ أبو المعالي ذهب قدماء المعتزلة إلى أن حقيقة الإله قدمه وذلك أخص وصفة وقال بعضهم حقيقته وجوب وجوده وقال أبو هاشم أخص وصف الإله به حال هو عليها يوجب كونه حيا عالما قادرا قال فهذا قول جهم لا بيان له قال وأما أصحابنا فقال بعضهم حقيقته تقدسه عن مناسبة الحوادث في جهات الاتصالات وقال بعضهم حقيقته غناه وقال بعضهم حقيقته قيامه بنفسه بلا نهاية قال وهذه العبارات تشير إلى نفي الحاجة وقال الأستاذ يعني أبا إسحاق حقيقة الإله صفة تامة اقتضت له التنزه عن مناسبة الحدثان قال أبو المعالي وهذا أيضا فيه إيهام لأنه يلقى من صفة النفي إثبات قال وحكى القاضي أبو جعفر السمناني عن القاضي أبي بكر حقيقة الإله لا سبيل إلى إدراكها هذا الأوان قال وسنعود إلى هذا في كتاب الإدراكات قال وكان شيخنا أبو القاسم القشيري يقول هو **الظاهر** بآياته **الباطن** فلا سبيل إلى درك حقيقته وقال الأستاذ أبو المعالي لا شك في ثبوت وجوده سبحانه وتعالى فأما الموجود المرسل من غير اختصاص بصفة تميزه عن غيره فمحال لكن ليس يتطرق إليها العقول ولا هي علم هجمي ولا علم مبحوث عنه إنا لا نقول إن حقيقة الإله لا يصح العلم بها فإنه سبحانه وتعالى يعلم حقيقة نفسه وليس للمقدور الممكن من مزايا العقول عندنا موقف ينتهي إليه ولا يمتنع في قضية العقل مزية لو وجدت لاقتضت العلم بحقيقة الإله ." (٢)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٣٢٥

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/٣٤٣

" لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علما أو يقال وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة الآية ولهذا كان جهم وأبو الهذيل وهما إماما الجهمية وغيرهما لما قاسوا النهاية في الذات والمكان على النهاية في الوجود والزمان عدوا حكم هذا إلى حكم هذا وحكم هذا إلى حكم هذا فقال بان المخلوق يتثبت له النهايات جميعا وأثبتوها في الانتهاء فقال الجهم بفناء الجنة والنار وقال أبو الهذيل بفناء الحركات كلها

قال الرازي الحجة السابعة قوله تعالى هو الأول والآخر **والظاهر** **والباطن** وصف نفسه بكونه ظاهرا وباطنا ولو كان جسما لكان ظاهره غير باطنه فلم يكن الشيء الواحد موصوفا بأنه ظاهر وبأنه باطن لأنه على تقدير كونه جسما يكون **الظاهر** منه سطحه **والباطن** منه عمقه فلم يكن الشيء الواحد ظاهرا وباطنا وأيضا المفسرون قالوا أنه ظاهر بحسب الدلائل باطن بحسب أنه لا يدركه الحس ولا يصل إليه الخيال ولو كان جسما لما أمكن وصفه بأنه لا يدركه الحس ولا يصل إليه الخيال

قال الشيخ رحمه الله اعتقاد النفاة هو أنه لا داخل العالم ولا خارجه وأنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله وإن محمدا صلى الله عليه و سلم لم يعرج به إلى الله وإنما عرج به إلى السموات فقط لا إلى الله وأن الملائكة لا تعرج إلى الله بل إلى ملكوته وأن الله لا ينزل منه شيء ولا يصعد إليه شيء وأمثال ذلك وأن كانوا يعبرون عن ذلك بعبارات مبتدعة فيها إجمال وإبهام وإيهام كقولهم ليس ." (١)

" الأفعال وغيرها ولا يكون إلا جسما ونازعهم فيما يقوم به من الصفات التي يتعلق منها شتشيء بالمشيئة والقدوة ومنهم من نازعهم في هذا وهذا وقال بل لا يكون هذا جسما ولا هذا جسما ومنهم من سلم لهم أنه جسم ونازعهم في كون القديم ليس بجسم

وقوله تعالى هو **الظاهر** ضمن معنى العالي كما قال فما استطاعوا أن يظهروه ويقال ظهر الخطيب على المنبر وظاهر الثوب أعلاه بخلاف بطانته وكذلك ظاهر البيت أعلاه وظاهر القول ما ظهر منه وبان وظاهر الإنسان خلاف باطنه فكلما علا الشيء ظهر ولهذا قال أنت **الظاهر** فليس فوقك شيء فأثبت الظهور وجعل موجب الظهور أنه ليس فوقه شيء ولم يقل ليس شيء أبين منك ولا أعرف وبهذا تبين خطأ من فسر **الظاهر** بأنه المعروف كما يقوله من يقول **الظاهر** بالدليل **الباطن** بالحجاب كما في كلام أبي الفرج وغيره فلم يذكر مراد الله ورسوله وإن كان الذي ذكره له معنى صحيح وقال أنت **الباطن** فليس دونك شيء فيهما معنى الإضافة لا بد أن يكون البطون والظهور لمن يظهر ويبطن وإن كان فيهما معنى التجلي

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٥٤٩

والخفاء ومعنى آخر كالعلو في الظهور فإنه سبحانه لا يوصف بالسفول وقد بسطنا هذا في الإحاطة لكن إنما يظهر من الجهة العالية علينا فهو يظهر علما بالقلوب وقصدا له ومعاينة إذا رؤي يوم القيامة وهو باد عال ليس فوقه شيء ومن جهة أخرى يبطن فلا يقصد منها ولا يشهد وإن لم يكن شيء أدنى منه فإنه من ورائهم محيط فلا شيء دونه سبحانه

والرب تعالى لا يكون أعلى منه قط بل هو العلي إلا على ولا يزال هو العلى الأعلى مع أنه يقرب إلى عباده ويدنو منهم وينزل إلى حيث شاء ويأتي كما ." (١)

" شاء وهو في ذلك العلي الأعلى الكبير المتعالي علي في دنوه قريب في علوه فهذا وإن لم يتصف به غيره فلعجز المخلوق أن يجمع بين هذا وهذا كما يعجز أن يكون هو الأول والآخر **والظاهر** **والباطن** ولهذا قيل لأبي سعيد الخراز بم عرفت الله قال بالجمع بين النقيضين وأراد أنه يجتمع له ما يتناقض في حق الخلق

ولو أراد مجرد الانكشاف والتجلي لنافى ذلك وصفه بالبطون لأن كون الشيء ظاهرا بمعنى كونه معلوما أو مشهودا ينافي كونه باطنا

وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يقول أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت **الظاهر** فليس فوقك شيء وأنت **الباطن** فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر فأخبر بأنه ليس فوقه شيء في ظهوره وعلوه على الأشياء وأنه ليس دونه شيء فلا يكون أعظم بطونا منه حيث بطن في الجهة الأخرى من العباد إلى أن قال ومجموع الأسمين يدلان على الإحاطة والسعة

قال أبو عبد الله الرازي الحجة الثامنة قوله تعالى ولا يحيكون به علما وقوله لا تدركه الأبصار وذلك يدل على كونه تعالى منزها عن المقدار والشكل والصورة وإلا لكان الإدراك والعلم محيطين به وذلك على خلاف هذين النصين فإن قيل لم لا يجوز أن يقال أنه وإن كان جسما لكنه جسم كبير فلهذا المعنى لا يحيط به الإدراك والعلم قلنا لو كان الأمر كذلك لصح أن يقال بأن علوم الخلق وأبصارهم لا تحيط بالسموات ولا بالجبال ولا بالبحار ولا بالمفاوز فإن ." (٢)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٥٥١/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٥٥٢/١

" قال الشيخ رحمه الله الزمان قد يراد به الليل والنهار كما يراد بالمكان السموات والأرض وهذا هو الذي يعنيه طوائف منهم الرازي في كتابه هذا

والمكان المشهور المعروف هو الأعيان المشهودة وما يقوم بها سواء قيل أن المكان هو نفس الأجسام التي يكون الشيء عليها أو فيها أو قيل إن المكان هو السطح **الباطن** من الجسم الحاوي الملاصق للسطح **الظاهر** للجسم المحوي وأما الزمان المعروف فأنه تابع للجسم سواء قيل أنه تقدير الحركة أو مقارنة حادث لحادث أو مرور الليل والنهار قال الله تعالى في كتابه الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور وقال إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لا نزاع بين أهل الملل أن الله سبحانه كان قبل أن يخلق هذه الأمكنة والأزمنة وأن وجوده لا يجب أن يقارن وجود هذه الأمكنة والأزمنة كما تقدم بيان ذلك

ولا ريب أن كل تقدم يوصف به المخلوق على غيره فالباري يوصف به وزيادة أخرى وهذا من باب قياس الأولى فإن التقدم على الغير من صفات الكمال كالعلو وكل علو يثبت للمخلوق فهو به أحق وكل تقدم يثبت للمخلوق فهو به أحق فإذا كان الأولون متقدمين على الآخرين تقدما معلوما بمقارنة ذلك الزمان فالرب أيضا متقدم على هؤلاء تقدما معلوما بمقارنة ذلك الزمان فهو موجود مع طلوع الشمس وغروبها كما أن غيره موجود مع ذلك ووجوده أكمل فمقارنته له أكمل وليس في ذلك ما يقتضي أنه محتاج إلى الزمان بل بينا أن مقارنة المخلوق للزمان لا توجب حاجة المخلوق إليه ." (١)

" قال أبو عبد الله الرازي الحجة الثامنة عشرة الحديث المشهور وهو ما روي أن عمران أبن الحصين قال يا رسول الله أخبرنا عن أول هذا الأمر فقال كان الله ولم يكن معه شيء وقد دللنا مرارا كثيرة على أنه تعالى لو كان مختصا بالحيز والجهة لكان ذلك الحيز شيئا موجودا معه وذلك على نقيض هذا النص

قال الشيخ رحمه الله الوجه الثالث أنه قال كان الله ولم يكن شيئا قبله وقد روي معه وروي غيره والألفاظ الثلاثة في البخاري والمجلس كان واحدا وسؤالهم وجوابه كان في ذلك المجلس وعمران الذي روى الحديث لم يقم منه حين أنقضى المجلس بل قام لما أخبر بذهاب راحلته قبل فراغ المجلس وهو المخبر بلفظ الرسول فدل على أنه إنما قال أحد الألفاظ والآخران رويا بالمعنى وحينئذ فالذي ثبت عنه لفظ القبل فإنه قد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يقول في دعائه أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت **الظاهر** فليس فوقك شيء وأنت

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٥٦٢/١

الباطن فليس دونك شيء وهذا موافق ومفسر لقوله تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن وإذا ثبت في هذا الحديث لفظ القبل فقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه و سلم قاله واللفظان الآخران لم يثبت واحد منهما أبدا وكان أكثر أهل الحديث إنما يروونه بلفظ القبل كان الله ولا شيء قبله مثل الحميدي والبغوي وابن الأثير وغيرهم وإذا كان إنما قال كان الله ولم يكن شيء قبله لم يكن في هذا اللفظ تعرض لابتداء الحوادث ولا لأول مخلوق مطلقا بل ولا فيه الإخبار بخلق العرش والماء وإن كان ذلك كله مخلوقا كما أخبر به في مواضع أخر لكن في جواب ." (١)

" الإنسان ليس إلا هذه البنية المخصوصة فقد أجابوا عنه بأن الإنسان مغاير لهذه البنية المشاهدة ويدل عليه وجوه

الأول أنا قد نفعل أنفسنا حال ما نكون غافلين عن جملة اعضائنا الظاهرة والباطنة والمعلوم مغاير لغير المعلوم

الثاني أني أعلم بالضرورة أني أنا الإنسان الذي كنت موجودا قبل هذه المدة بخمسين سنة وجملة أجزاء هذه البنية متبدلة بسبب السمن والهزال والصحة والمرض والباقي مغاير لما ليس بباق

الثالث أن المشاهد ليس إلا السطح الموصوف باللون المخصوص وباتفاق العقلاء ليس عبارة عن هذا القدر فثبت أن الإنسان ليس بمشاهد البتة

وأما سائر الطوائف والفرق فقد ذكروا الفرق بين الشاهد والغائب من وجهين أحدهما قال الأشعري كل واحد من أجزاء الإنسان موصوف بعلم على حدة وقدرة على حدة وهذا يقتضي أن يكون هذا البدن مركبا من أشياء كثيرة وكل واحد منها عالم قادر حي وهذا مما لا نزاع فيه وأما التزام ذلك في حق الله سبحانه وتعالى فإنه يقتضي تعدد الآلهة وذلك محال فظهر الفرق الثاني قال ابن الراوندي الإنسان جزء واحد لا يتجزأ في القلب وهذا يقتضي أن يكون الإنسان في غاية الحقارة وذلك غير ممتنع أما لو قلنا بمثله في حق الله تعالى يلزم كونه في غاية الحقارة وذلك لم يقل بها عاقل

وأما السؤال الثاني وهو قوله لم لا يجوز أن يقال العلم ينقسم فقام بكل واحد من تلك الأجزاء جزء واحد من ذلك فنقول هذا محال لأن كل واحد من أجزاء العلم إما أن يكون علما وإما أن لا يكون علما فإن كان الأول كان القائم بكل واحد من تلك الأجزاء علما على حدة وذلك ." (٢)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٥٨٩/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٦١٠/١

" وكانوا في الباطن ينكرون ان يرى او ان يتكلم بالقرآن او غيره او يكون فوق العرش او ان يكون موصوفا بالصفات التي جاءت بها الكتب وعلمت بدليل من الدلائل العقلية وغيرها لكن ما كانوا يظهرون من قولهم للناس الا ما هو ابعد ان يكون معروفا مستيقنا من الدين عند العامة والخاصة واقرب الى ان يكون فيه شبهة ولهم فيه حجة ويكونون فيه اقل مخالفة لما يعلمه الناس من الحجج الفطرية والشرعية والقياسية وغير ذلك

وهذا شأن كل من اراد ان يظهر خلاف ما عليه امة من الامم من الحق انما يأتيهم بالاسهل الاقرب الى موافقتهم فان شياطين الانس والجن لا يأتون ابتداءا ينقضون الاصول العظيمة الظاهرة فانهم لا يتمكنون

ومما عليه العلماء ان مبدأ الرفض كان من الزنادقة المنافقين ومبدأ التجهم كان من الزنادقة المنافقين بخلاف رأي الخوارج والقدرية فانه انما كان من قوم فيهم ايمان لكن جهلوا وضلوا

ولهذا لما نبغت القرامطه الباطنية وهم يتظاهرون بالتجهم والرفض جميعا وهم في الباطن من اعظم بني آدم كفرا والحادا حتى صار شعارهم الملاحدة عند الخاص والعام وهم كافرون بما جاءت به الرسل مطلقا ومن اعظم الناس منافقة لجميع الناس من اهل الملل المسلمين واليهود النصارى وغير اهل الملل وضعوا الرأي الذي لهم والتدبير على سبع درجات سمو آخرها البلاغ الاكبر والناموس الاعظم وكان من وصيتهم لدعاتهم ان المسلمين اذا اتيتهم فلا تأت هؤلاء الذين يقولون الكتاب والسنة فانهم صعاب عليك لا يستجيبون لك ." (١)

" فقوله ان الحيز والجهة امر مستغن في وجوده عما يتمكن ويستقر فيه قضية عامة ضرب بها مثلا في قياس شمولي ليس معه فيه الا مجرد تمثيل الخالق بالمخلوق الضعيف الفقير وان كان من الجنس الحقير وهؤلاء الجهمية دائما يشركون بالله ويعدلون به ويضربون له الامثال بأحقر المخلوقات بل بالمعدومات كما قدمنا التنبيه عليه غير مرة فلمارأوا ان المستوى على الفلك او الدابة او السرير يتغنى عنه مكانه قالوا يجب ان يكون الله ايضا يستغنى عنه مكانه تشبيها له بهذا المخلوق العاجز الضعيف ولما رأوا ان الحجر والمدر والشجر والانثى والذكر يستغنى عن حيزه ومكانه قالوا فرب الكائنات مشبه بهذه المتحيزات في افتقاره الى ما هو مستغن عنه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

ثم يقال له في الوجه الثاني عشر ان كثيرا مما سمي مكانا وحيزا وجهة للانسان يكون مفتقرا اليه بل لغير الانسان ايضا فمن قال ان المكان هو السطح الباطن من الجسم الحاوي الملاقي للسطح الظاهر من

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٧٩/٢

الجسم المحوي كبطانة قميص اللابس كان كثير من الامكنة محتاجا الى الممكن كاحتياج القميص الى لابسه واستغناء صاحبه عنه

وكذلك الحيز قد ذكرنا انه يراد به حدود الشيء المتصلة به التي تحوزه وهو جوانبه وتلك تكون داخلة فيه فلا تكون مستغنية عنه مع حاجته اليها وقد يراد به الشيء المنفصل عنه الذي يحيط به كالقميص المخيط وهذا قد يكون مفتقرا الى الانسان كقميصه وقد يكون مستغنيا عنه وان كان مستغنيا عن الانسان لكن الانسان لا يحتاج الى حيز بعينه فليس الانسان مفتقرا الى حيز معين خارج غير ذاته بحال بل وكذلك جيمع الموجودات حيزها اما حدودها المحيطة بها ." (١)

" يوضح ذلك الوجه السابع والثالثون وهو أن المباينة تقتضي المخالفة في الحقيقة وهي ضد المماثلة وحيث كانت المباينة فإنها تستلزم ذلك فإن المباينة بالجهة والحيز تقتضي أن تكون عين أحدهما مغايرة لعين الآخر وهذا فيه رفع الأتحاد وإثبات مخالفة وكذلك أختلاف الصفة والقدر ترفع المماثلة وتثبت المباينة والمخالفة وهو ان كان قد قال ان المباينة يعني بها المباينة بالجهة والمخالفة في الحقيقة وقد ذكرنا انها في المعنى الاول اظهر فإنها تستلزم الأختلاف في الحقيقة حيث كانت فإن الشيئين المتماثلين لا يتصور أن يتماثلا حتى يرتفع التباين في العين بل لا بد أن تكون عين أحدهما ليست عين الآخر وأن يكون له ما يخصه من أحوال كالعرضين المتماثلين بل السوادين إذا حل أحدهما في محل بعد الآخر فإن زمان هذا غير زمان الآخر ولهذا يقال المباينة تكون بالزمان وتكون بالمكان وتكون بالحقيقة

المقصود هنا أن المباينة مستلزمة لرفع المماثلة فإذا كان الله سبحانه ليس كمثله شيء في أمر من الأمور وجب أن تكون له المباينة التامة بكل وجه فيكون مباينا للخلق بصفته وقدره بحقيقته وجهته وبقدمه الذي يفارق به الكائنات في زمانها فتكون الأشياء مباينة له بمكانها وزمانها وحقيقتها وهو سبحانه مباين لها بأزله وأبده وظهوره وبطونه فهو الأول والآخر **والظاهر والباطن** وهو مباين لها بصفته سبحانه وتعالى

يؤيد هذا أن المثبتة للصور أعظم تنزيها لله عن مماثلة الخلق من نفاتها لأن الأمور السلبية لا ترفع المماثلة بل الإعدام متماثلة وإنما يرتفع التماثل بالأمور الوجودية فكل من كان أعظم إثباتا لما توجبه اسماء الله وصفاته كان رفعه ." (٢)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١٢٦/٢

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١٥٢/٢

" وهو أن يقال كل متناه من كل الجوانب فهذا باطل من وجهين الأول أن كل ما كان متناهيا من جميع الجوانب كانت حقيقته قابلة للزيادة والنقصان وكل ما كان كذلك كان محدثا على ما بيناه فيقال له قد تقدم الكلام على هذه الحجة وبينا أن جماهير بني آدم من المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين يخالفونك في هذه المقدمة وبينا فساد ما ذكرته من الحجة عليها بوجوه كثيرة بيانا واضحا ونحن نحيل على ما ذكرناه هناك كما أحال هو عليه

وأما الوجه الثاني فقوله إنه لما كان متناهيا من جميع الجوانب فحينئذ نفرض فوقه أحيازا خالية وجهات فارغة فلا يكون هو تعالى فوق جميع الأشياء بل تكون تلك الأحياز أشد فوقية من الله تعالى ويكون قادرا على أن يخلق فيها جسما فوقه فيقولون لك هذا بناء على أن الأحياز والجهات لابد أن تكون أمرا وجوديا وأنه يمكن أن تكون فوقه وهم ينازعونك في هاتين المقدمتين وأنت معترف بفسادها في غير موضع من كتبك وقد تقدم البيان بأن الحيز لا يجب أن يكون أمرا وجوديا وإبطال ما يستدل به على خلاف ذلك وظهر صحة قوله سبحانه هو الأول والآخر **والظاهر** **والباطن** وما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم إنه كان يقول في دعائه أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت **الظاهر** فليس فوقك شيء وأنت **الباطن** فليس دونك شيء وهذا النص أيضا يدل على أنه ليس فوق الله شيء وهذا نفي عام لكل ما يسمى شيئا وكل موجود فإنه يسمى شيئا فقد اتفق ." (١)

" شيء كما قال النبي صلى الله عليه و سلم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت **الظاهر** فليس فوقك شيء وأنت **الباطن** فليس دونك شيء لكن الأول والآخر لا ابتداء له ولا انتهاء وإذا لم يكن له نهاية ولا حد من الوجهين جميعا ظهر فيه امتناع أن قبله أو بعده شيء بخلاف المتناهي المحدود من الأحياز

ولكن هذا الفرض جاء من خصوص المكان والزمان بدليل أن أهل الجنة لا آخر لوجودهم بل هم باقون أبدا وإن كانوا متحيزين لا حد ولا نهاية لآخرهم وإن كانت ذواتهم محدودة متناهية في أحيازها وأما كنها ولهذا لما أراد جهم أن يطرد دليلة في وجوب النهاية لكل مخلوق أوجب فناء الجنة والنار ولما أراد أبو الهذيل أن يطرد دليله في تناهي الحوادث أوجب انقطاع حركات أهل الجنة والنار

والمقصود هنا أن وجوب تناهي البقاء والأمد وإذا كانت الأحياز متناهية أو كان المتحيز متناهيا لم يجب أن يكون فوقه شيء إذ ليس وراء الموجود شيء موجود إلى غير نهاية وقد تقدم ابطاله لذلك

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/١٨١

وأيضا فيقال له لم تذكر حجة على امتناع أحياز خالية ولا امتناع خلق أجسام وأنت تقول إن هذا برهان فإن لم تذكر حجة على امتناع ذلك لم يكن هذا الوجه دليلا

وأما قولك لا يكون هو فوق جميع الأشياء بل تكون الأحياز أشد فوقية فهذا تمسك باطلاق لفظ مع أنك لا تقول بمعناه فهو عندك أيضا ليس فوقه شيء من الأشياء فضلا عن أن تكون فوقه جميعها إلا بمعنى القدرة والتدبير وهذا المعنى يثبته المنازع مع اثباته لهذه الفوقية الأخرى فيكون قد أثبت ما تثبته من صفات الكمال ويثبت كمالا آخر لم تثبته أنت ." (١)

" تكون هذه الأمور دائما تحت قوم كما تكون فوق آخرين وتكون موصوفة بالتحت بالنسبة إلى بعض الناس وهي التحتية التقديرية الاضافية وإن كانت موصوفة بالعلو الحقيقي الثابت كما أنها أيضا عالية بالعلو الإضافي الوجودي دون الإضافي التقديري وإذا كان الأمر كذلك ولم يكن في ذلك من الأحالة إلا ما هو مثلما في هذا ودونه لم يكن في ذلك محذورا فإن المقصود أن الله فوق السموات وهذا ثابت على كل تقدير

وهذا يظهر بالوجه الثالث وهو أن يقال هذا الذي ذكرته من هذا الوجه لا يدفع فإنه كما أنه معلوم بالحساب والعقل فإنه ثابت بالكتاب والسنة قال الله تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يقول أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأعننا من الفقر فأخبر أنه الظاهر الذي ليس فوقه شيء وأنه الباطن الذي ليس دونه شيء فهذا خبر بأنه ليس فوقه شيء في ظهوره وعلوه على الأشياء وإنه ليس دونه شيء فلا يكون أعظم بطونا منه حيث بطن من الجهة الأخرى من العباد جمع فيها لفظ البطون ولفظ الدون وليس هو لفظ الدون بقوله وأنت الباطن فليس دونك شيء فعلم أن بطونه أوجب أن لا يكون شيء دونه فلا شيء دونه باعتبار بطونه والبطون يكون باعتبار الجهة التي ليست ظاهرة

ولهذا لم يقل أنت السافل ولهذا لم يجئ هذا الاسم الباطن كقوله وأنت الباطن فليس دونك شيء إلا مقرونا بالاسم الظاهر الذي فيه ظهوره ." (٢)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١٨٣/٢

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٢٢٠/٢

" وعلوه فلا يكون شيء فوقه لأن مجموع الاسمين يدلان على الاحاطة والسعة وأنه **الظاهر** فلا شيء فوقه **والباطن** فلا شيء دونه

لم يقل أنت السافل ولا وصف الله قط بالسفول لا حقيقة ولا مجازا بل قال ليس دونك شيء فأخبر أنه لا يكون شيء دونه هناك كما جاء في الأثر الذي ذكره مالك في الموطأ أنه يقال حسبنا الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى فالأمر متناه مداه ولا شيء دونه في معنى اسمه **الباطن** ليبين أنه ليس يخرج عنه من الوجهين جميعا وذلك لأن ما في هذا المعنى من نفي الجهة شيء دونه هو بالنسبة والاضافة التقديرية وإلا ففي الحقيقة هو عال أيضا من هناك والأشياء كلها تحته

وهذا كما أن الضار والمانع والخافض لا تذكر إلا مقرونة بالنافع المعطي الرافع لأن ما فعله من الضرر والمنع والخفظ فيه حكمة بالغة أوجب أن تكون فيه رحمة واسعة ونعمة سابغة فليس في الحقيقة ضررا عاما وإن كان فيه ضرر فالضرر الاضافي بالنسبه إلى بعض المخلوقات يشبه ما في البطون من كونه ليس تحته شيء وأنه لو أدلى بحبل لهبط عليه فإن الهبوط والتحتية أمر اضافي بالنسبة إلى تقدير حال لبعض المخلوقات هذا في قدره وهذا في فعله وضلال هؤلاء الجهمية في قدره كضلال القدرية في فعله وكلاهما من وصفه ولهذا كانت المعتزلة ضالة في الوجهين جميعا وقد قابلهم بنوع من الضلال بعض أهل الاثبات حتى نفوا ما أثبتته النصوص والله يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ." (١)

" وبيان ما في الحديث الصحيح من قوله وأنت **الظاهر** فليس فوقك شيء وأنت **الباطن** فليس دونك شيء أنه من المعلوم أن فوق و دون من الأسماء التي تسميها النحاة ظروف المكان لدلالة لفظها على المكان اللغوي فأما لفظ الفوق فظاهر وهو بحسب المضاف إليه فكون الشيء فوق لا ينافي أن يكون تحت غيره وانتفاء أن يكون فوقه شيء لا يمنع أن يكون تحته شيء فقوله وأنت **الظاهر** فليس فوقك شيء فنفى أن يكون فوق الله شيء وذلك يقتضي أنه سبحانه وتعالى أكمل شيء ظهورا والظهور يتضمن العلو فلهذا قال فليس فوقك شيء ولم يقل فليس أظهر منك شيء لأنه لو أراد مجرد الانكشاف والتجلي للناس لنا في ذلك وصفة بالبطون لأن كون الشيء ظاهرا بمعنى كونه معلوما ومشهودا ينافي كونه باطنا ولكن الظهور يتضمن معنى العلو ومن شأن العالي أبدا أن يكون ظاهرا متجليا بخلاف السافل فإن من شأنه أن

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٢٢١

يكون خفيا لأنه إذا علا ترآى للأبصار فراته فهو سبحانه مع ظهوره المتضمن علوه فلا شيء فوقه وهو أيضا باطن فلا شيء دونه

ولفظ الدون ليس المراد به أي الناقص ولكن لما كان يقال هذا دون هذا أي دونه بمعنى أنه يحصل دونه ويجعل الآخر فوقه صار يفهم من اللفظ هذا بل هذا اللفظ في كتاب الله تعالى في مواضع قال تعالى فاتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا إلى قوله ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا فقوله لم نجعل لهم من دونها سترا بين أن الستر إذا كان عليهم كالسقوف كان ذلك من دون الشمس فيكون بينهم وبين الشمس وتكون الشمس محجوبة مستورة عنهم بذلك الستر فتكون هي أبطن عنهم من الستر والستر أدنى إليهم وتكون الشمس من ورائه وكذلك قوله حتى إذا بلغ بين ." (١)

" السدين وجد من دونهما قوما الآية فهؤلاء القوم كان السدان من ورائهم إذ في قولك هذا فوق هذا وهذا دون هذا ثلاثة أسماء اسم مضاف إليه وظرف مضاف إلى هذا الاسم واسم أول متصل بالظرف ومتعلق به ويقال هذا هو مضاف إليه اضافة معنوية كما يقال حروف الجر تضيف معاني الأسماء إلى الأفعال

فإذا قيل وجد من دونهما قوما فالقوم هم المتعلقون بالمكان الذي هو دون السدين والسدان هما المضاف إليهما فكونهما دون السدين هو بالنسبة إلى ذي القرنين الذين وجدهما هناك فإنه وجدهم إليه أدنى وأقرب والسدان أبعد والقرب إليه أحق بالظهور والبيان والبعيد عنه أولى بالاحتجاب والاستتار هذه هي العادة فيما يقرب الينا ويبعد عنا من الأجسام ولو جاء أحد من جهة السد لقال وجدت هؤلاء دون ذي القرنين فالشيء الذي بين اثنين يقول هذا هو دونك ويقول الآخر هذا دونك وكل منهما صادق كما لو كان بينهما حائط أو نهر أو بحر لقال هؤلاء لأهل تلك الناحية هذا دونكم وكذلك يقولون الآخرون هذا دونكم كما أن كل أهل جانب يقولون عن الأخرى هم من وراء هذا الحائط ومن خلفه إذ الجهات أمور نسبية إضافية وكذلك قال تعالى ومن دونهما جنتان فهاتان دون تلك والأولتان فوق هاتان وهاتان أدنى إلينا

ولهذا صار في هذا اللفظ معنى القرب والبعد من وجه ومعنى الاحتجاب والاختفاء من وجه فقوله وأنت الباطن فليس دونك شيء نفى أن يكون شيء دونه كما نفى أن يكون فوقه ولو قدر فوقه شيء لكان

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٢٢٢

أكمل منه في العلو والبيان إذ هذا شأن **الظاهر** ولو كان دونه شيء لكان أكمل منه في الدنو والاحتجاب إذ هذا شأن **الباطن** وهذا يوافق قوله أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ." (١)

" من أن يثبت وجودا واجبا ويلزمه فيه هذه اللوازم وقد بينا هذا فيما تقدم

وابن سينا كان من الملاحدة وكان أبوه من دعاتهم وذكر أنه بسبب ذلك اشتغل فيما اشتغل به من علوم الفلاسفة الصابئة الأوائل فإن أصول الملاحدة مبنية على ما أخذوه من هؤلاء الصابئة وما أخذوه من المجوس وهؤلاء الصابئة المبتدعون يقولون أن العالم متولد عن الله والمجوس يجعلون له شريكا في خلقه فالطائفتان كما قال تعالى وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وهو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فإن المجوس تجعل ابليس وهو أصل الظلمة هو شريك النور في التخليق فيجعلون الجن شركاءه وليس هذا موضع بسط ذلك ولكن ننبه على أن كتاب الله لما كان دعوة لجميع الخلق ففيه تفصيل كل شيء وهو الحاكم بين جميع الناس فيما اختلفوا فيه

ولهذا أراد النصير الطوسى ونحوه من ملاحدة المسلمين واليهود على أن يضعوا للدولة الكافرة المشركة الجاهلة دولة هولاكو عقيدة واتفقوا على أن تكون عقيدة ابن سينا ولهذا كانت الملاحدة تميل إلى هؤلاء المشركين كثيرا وكان ملكهم هولاكو يقرب الملاحدة ويستعين بهم على المسلمين لما عرف مباينتهم في **الباطن** للاسلام وأهله مع منافقتهم لهم في **الظاهر**

الوجه السادس قوله إن تلك الأجزاء إما أن تكون متماثلة الماهية أو مختلفة الماهية يقال قد تبين أن ما ذكرته لا يستلزم أن تكون هنا أجزاء ." (٢)

" اسم لكل موجود سوى الله تعالى فلو كان فوقه شيء موجود غير الله لكان ثم موجود غير الله لم يخلقه الله بل هو مستغن عن الله لاسيما وقد جعل الله محتاجا إليه وهذا لا يقوله عاقل فضلا عن أن يقوله مسلم وقد تقدم الكلام على هذا بأبسط من هذا لما ذكر أن الله يحتاج إلى حيز في الأدلة العقلية ولما ذكر أن الحيز منها في الأدلة السمعية وفي غير ذلك

الوجه السادس أنا قد قررنا غير مرة أن ليس فوق العالمين إلا رب العالمين وليس هناك غيره ولا شيء يشاركه في العلو غيره بوجه من الوجوه فضلا عن أن يكون هناك ما هو عال عليه فقوله الجهة التي في جهة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٢٢٣

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٢٦٦

العلو لا يمكن فرض وجودها خالية عن هذا العلو يقال له لا جهة هناك إلا الله فهو الذي يشار إليه موجودا والاشارة إلى موجود غيره هناك ممتنعة فإن كنت تعتقد أن هناك موجودا يشار إليه فأبطل ما تعتقده وإلا فالناس لا يعتقدون هذا ومنازعة الانسان فيما لا يعتقده تضييع زمان ونوع من الكذب والبهتان

الوجه السابع قولك إن الحاصل في الجهة يكون عاليا لا لذاته لكن تبعا لكونه حاصلا في تلك الجهة العالية على العالم ممنوع بل باطل لأنه استحق العلو بذاته لا لأمر منفصل عنه كما استحق الأزلية بنفسه لا لأمر منفصل عنه فقول القائل علوه تبع لعلو الجهة كقوله إنه قديم تبع لقدم الزمان وكل من الخيالات الفاسدة بل هو الأول بنفسه الذي ليس قبله شيء وهو الآخر بنفسه الذي ليس بعده شيء وهو الظاهر بنفسه الذي ليس فوقه شيء وهو الباطن بنفسه الذي ليس دونه شيء

الوجه الثامن هب أن الجهة في العلو أو الدهر في القدم شيء موجود تبع له فوجوده تبع لوجود الحق لا أن علو الحق وقدمه تبع له فإن ذلك يكون ." (١)

" ولما كان اللمس جنسا تحته انواع مختلفة في الحيوان وليس طريقا عاما الى حصول العلم الكلي المجرد في القلب بل نفس الاحساس وما يتبعه من ملائمة ومنافرة فيه خصوص في سببه ومقصوده بخلاف السمع والبصر فانهما طريقتان الى حصول العلم العام الكلي في القلب والبصر يحصل به العلم بنفس الحقائق الموجودة والسمع يحصل به العلم بما يقال من اسمائها وصفاتها كان السمع والبصر في كتاب الله مخصوصين بالذكر دون غيرهما من الاحساس

فيقال اما قوله في الوجه الاول مدارها على ان كل موجودين في الشاهد فلا بد وان يكون احدهما محايثا للاخر او مباينا عنه بالجهة قوله وهذه المقدمة ممنوعة فنقول منع هذه من اعظم السفسطة فان الشاهد ما نشهده بحوسنا الظاهرة او الظاهرة والباطنة وليس فيما نشهده شيء الا محايث لغيره وهي الصفات التي هي الاعراض او مجانب له بالجهة وهي الاعيان القائمة بانفسها وهي الجواهر فمن منع ان يكون المشهود لا يخلو عن احد هذين الوصفين فقد منع ان تنقسم المشهودات الى الجواهر والاعراض ومعلوم ان هذا خلاف اتفاق الخلائق من الاولين والاخرين وخلاف ما يعلم بالضرورة والحس فان الشيء المشهود اما قائم بنفسه وهو مباين له واما قائم بغيره وهو محايث له

واما الوجوه التي ذكرها فعنها اجوبة

احدها ان الاستدلال على ذلك غير مقبول لانه قدح في اظهر الحسيات الضروريات

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٢٨٢

الثاني ان هذا المؤسس وسائر طوائف اهل الحق متفقون على بطلانها وهو من اعظم الناس ابطالا لما ذكره الفلاسفة في وجود جواهر غير محايثة لغيرها ولما ." (١)

" وقيل له رابعا لا يجوز لأحد ان يرفع يديه داعيا لا الى الملائكة ولا الى غير الملائكة بل هذا من خصائص الربوبية ومن جوز رفع الأيدي عند الدعاء الى غير الله فهو من المشركين الذين يدعون غير الله قال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قال انما أدعو ربي ولا أشرك به احدا وقال تعالى قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله الآية وقال تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الاية وقال ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمئن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله مالا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد وقال تعالى ولا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وقال تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه وقال تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا

ولهذا كانت الاشارة اليه من تمام دعائه وذلك من تحقيق كونه الصمد الذي يصمد العباد اليه فان قصده بالباطن والظاهر والقلب وسائر الجسد اكمل من قصده بالقلب فقط فيكون الاشارة اليه من تمام كونه صمدا ويكون اسم الصمد مستلزما لذلك فكونه موجودا يوجب المباينة التي تقتضي الاشارة اليه وكونه صمدا مقصودا يقتضي الدعاء المتضمن الاشارة اليه والاشارة الى غيره بالدعاء اشراك به واخراج له عن أن يكون احدا

فظهر أن هؤلاء الجهمية منكرين لحقيقة كونه احدا صمدا وأنهم جاحدون لحقيقة دعائه مسوغين للاشراك به فان أهل السنة هم الموحدون له والمكملون ." (٢)

" بالنداء انما هو يتعين في الباطن بقصد الداعي وفي الظاهر باشارته والمنادي الداعي ونحوه من ذوي الطلب والاستدعاء او المخبر المحدث قد يشير اشارة ظاهرة الى المنادي وغيره من المقصودين اما لتعريف المخاطبين اذا لم يعرفوا المعين الا بذلك مثل من ينادي رجلا بعينه في رجال فيقول يا رجل او يا هذا او يا زيد ويكون هناك جماعة اسمهم زيد ولا بد أن يشير اليه اما بتوجيه وجهه نحوه او بعينه او براسه

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣٦٣/٢

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٤٥٠/٢

أو يده أو غير ذلك وتارة يشير توكيدا وتحقيقا لخطابه وإذا كان متميزا بالاسم ولا يجوز ان يدعو احدا وتكون الاشارةخ الى غير من دعا فلا يجوز ان يقول يا زيد ويشير الى غير من قصده او يا هذا ويشير الى غير من قصده

فاذا قال الداعي اللهم وأشار برأسه او عينه او وجهه أو يده أو أصبعه لم تكن اشارته الا الى الله الذي دعاه وناداه وناجاه لا الى غيره اذ المدعو المنادى من شأن الداعي ان يشير اليه وليس هنا من يشير اليه الداعي بقوله اللهم او يا الله ونحو ذلك الا الله فهو الذي يشير اليه بباطنه وظاهره واشارته اليه بباطنه وظاهره هي قصده وصمده ذلك من معنى كونه صمدا اي يصمد العباد له واليه ببواطنهم وظواهرهم وهو من معنى كونه مقصودا مدعوا معبودا وهو من معنى الهيته فيدعونه ويقصدونه ببواطنهم وظواهرهم فكما لا يجوز ان يكون القصد بالقلب اذا قالوا يا الله لغيره بل هو المقصود **بالباطن** فكذلك هو ايضا المقصود **بالظاهر** اذا قالوا ي الله وأشاروا بظواهرهم بحركة ظاهرة بالاشارة اليه والتوجه نحوه وقصده كحركة بواطنهم بالاشارة اليه والتوجه نحوه وقصده لكن **الظاهر** تبع للباطن ومكمل له فمن دفع هذه الاشارة اليه فهو كدفع الاشارة اليه بالقلب وذلك دفع لقصده الدافع لدعائه المتضمن لدفع عبادته ولكونه صمدا ." (١)

" قائما بنفسه من عنده نوع نظر وبحث فيما يتعلق بذلك وتجد الحاجة لمثل هذا النوع فساد خاص في عقله او غرض خاص وأما العلم الالهي فهو أجل واشرف فانه ضروري لبني آدم علما وارادة فطروا على ذلك موجود هذا العلم والأرادة الضروريتين في أنفسهم اكثر وأكثر من وجود ذلك والمعارض لهذا لا بد وأن يكون قويا اما اعتقاد فاسد كاعتقاد الجهمية المتأولين الذين لم يكابروا العقل وليس لهم غرض في خلاف الدين واما ارادة فاسدة قوية كارادة فرعون وقومه الذين قال الله فيهم وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال له موسى لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر وهذه الارادة الفاسدة هي الهوى الذي يصد عن معرفة الحق وهو مرض في القلب يمنعه ما فطر عليه من صحة الادراك والحركة كما يمنع مرض العين ما فطرت عليه من صحة الادراك والحركة وكذلك المرض في سائر الأعضاء فهؤلاء الذين لا يجدون في انفسهم علما ضروريا وقصدا ضروريا لمن هو فوق العالم قد مرضت قلوبهم وفسدت فطرتهم ففسد احساسهم **الباطن** كما يفسد الاحساس **الظاهر** مثل المرة التي تفسد الذوق والحول والعشي الذي يفسد البصر وغير ذلك ولهذا انما يكون الاعتبار في هذا بذوي الفطر السليمة من الفساد والاحالة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٤٦٥

فان قيل قد تكرر ما ذكرتموه من كون الناس مضطرين الى الاقرار بأن صانع العالم فوق ولا ريب ان هذا قد قاله طوائف كثيرة من أهل الكلام والحديث والفقه والتصوف وهو من أشهر حججهم وادلتهم عند خاصتهم وعامتهم لكن هذا مستلزم أن يكون الاقرار بالصانع فطريا ضروريا فانه اذا كان الاقرار بعلوه فطريا ضرويا فالاقرار به نفسه اولى ان يكون فطريا ضروريا لان العلم بالموصوف لا يجوز أن يتأخر عن العلم بالصفةخ والعلم بالقضية المرادية ." (١)

" الوجه الخامس والثلاثون أن تقرير ما ذكرته من مستندهم مثل تقرير المسلك القياسي في العلو وهو أن يقال لم نشهد موجودا قائما بنفسه الا جسما او لم نشهد حيا عالما قادرا الا جسما فاختصاص القائم بنفسه او الحي القادر بكونه جسما دون أن يكون عرضا أو يكون لا جسما ولا عرضا اما أن يكون لكونه موجودا قائما بنفسه او لما يندرج فيه واجب الوجود او لما يختص الممكن او المحدث فان كان الأول والثاني وجب في كل موجود قائم بنفسه أن يكون جسما وحينئذ فتصح حجتهم والثاني باطل لأنه يوجب تعليل الأمر الوجودي وهو القائم بالنفس او كون القائم بنفسه حيا عالما قادرا بما فيه أمر عدمي والعدم لا يصلح أن يكون علة للوجود وقد تقدم الكلام على هذه الحجة وأنه لم يقدح فيها بقادح واذا كان كذلك كان قد ذكر لهم حجة توجب أنه فوق وأنه جسم غير ما ذكروه من العلم الضروري وان لم يقدح في ذلك بشيء وذكر أن الأخلاف اخذو ، ذلك عن الاسلاف واتفقوا عليه وتسمية ذلك تخيلا لا يوجب فساده ان لم يبين أنه خيال فاسد

فظهر انما ذكره تقرير لقولهم بالقياس العقلي والأثر النبوي والاجماع الشرعي مع ما ذكروه من الضرورة العقلية وأنه زاد في التقرير على كونه فوق أنه مع ذلك جسم ولا ريب أن هذا قوله وقول أكثر الناس من النفاة والمثبتة فانهم يقولون ان كونه فوق العرش يستلزم المعنى الذي يسميه المتكلمون جسما ويسميه أهل الحديث حدا

الوجه السادس والثلاثون أن العلوم الكلية والعقلية لبني آدم جميعها من هذا الباب فان الانسان يشهد بحسه الباطن والظاهر أمورا معينة جزئية على ." (٢)

" يسلكونه لا بد أن يجمع بين النقيضين وأن يخالف العقل والنقل ويقولون القرآن كله شرك وانما التوحيد في كلامنا ويقولون لا فرق عندنا بين الاخوات والبنات والزوجات فان الوجود واحد لكن هؤلاء

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٤٧٠/٢

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٤٩٦/٢

المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم ومن شعر هذا التلمساني قبحه الله ... يا عاذلي انت تنهاني وتأمرني ... والوجد اصدق نهاء وأمار ... فان اطعك واعصى الوجد عدت عمي ... عن العيان الى اوهام اخبار ... وعين ما انت تدعوني اليه اذا ... حققته تره المنهي يا جاري ...

يقول انت تدعوني الى أن اعبد الله ولا اعبد غيره وما ثم غيره بل هو الذي تظنه غيرا وقد بسطت الكلام على ذلك في غير هذا الموضع

وأصل ذلك ان علم الانسان كله انما يحصل بطريق الاحساس والمشاهدة الباطنة والظاهرة او بطريق القياس والاعتبار العقلي او بطريق السمع والخبر والكلام كما قال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا والعبد الصالح يحصل له من المشاهدة الباطنة ما ينكشف له به أمور كانت مغطاة عنه ويفهم من كلام الله ورسوله والسلف معاني يشهدها لم يكن قبل ذلك يشهدها بل يظهر له قوله تعالى سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ثم قال او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد اي اولم يكف بشهادته وعلمه التي اخبرهم عنها في كتابه

وهؤلاء المنافقون المرتدون الزنادقة ومن وقع في بعض ضلالاتهم من الغالطين الضالين هم في الشهود الذي يحصل لهم ويجعلونها من جنس شهود المؤمنين مثل ما هم في المخاطبة التي تقع لهم ويجعلونها من جنس مخاطبة المؤمنين التي قال فيها ." (١)

" ربك قال بالجمع بين النقيضين ثم تلا قوله تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وأما هذا القياس قياس الأولى ووجوب تنزيه الرب عن كل نقص ينزه عنه غيره ويذم به سواه فهذا فطري ضروري متفق عليه

ثم ذكر احمد حجة اخرى عقلية قياسية قال وقلنا لهم اليس تعلمون ان ابليس مكانه مكان ومكان الشياطين مكانهم مكان فلم يكن الله ليجتمع هو وابليس في مكان واحد وهذا التنزيه عن مجامعة الخبيث والنجس من الأحياء نظير التنزيه عن مجامعة الخبيث النجس من الجمادات ولهذا نهي عن الصلاة في المواطن التي تسكنها الشياطين كالحمام والحش واعطان الابل ونحو ذلك وان كان المكان ليس فيه من النجاسات الجامدة شيء بل أرواث الابل طاهرة بل قد بثبت عن النبي صلى الله عليه و سلم في الصحيح من غير وجه انه ذكر ان الكلب يقطع الصلاة وخصه في الحديث الصحيح بالأسود وقال انه شيطان لما سئل عن الفرق بين الأحمر والأبيض والأسود فقال الأسود شيطان وفي الصحيح عنه انه قال ان الشيطان

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٥٣٩

تفلت علي البارحة فاراد أن يقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فذعته ولها امر النبي صلى الله عليه و سلم بمقاتلة المار بين يدي المصلي وقال ان معه القرين فأما مرور الانسي فقد قال ابن مسعود انه يذهب بنصف اجر الصلاة واما شيطان الجن فقد قال طائفة من الفقهاء من اصحاب أحمد وغيرهم انه يقطع الصلاة اذا علم ذلك كما يقطعها الكلب الاسود أليهم الذي هو شيطان الدواب

وأيضا فالشيطان معلون رجيم كما قال تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقد اخبر سبحانه وتعالى ان الشياطين ترجم بالشهب لئلا يسترق السمع ." (١)

"يجوز أن يوكل من يقبض له شيئًا من الزكاة ما تيسر وإن كان مجهولاً ولا محذور فيه(١).

قال شيخنا: لو باع أو تصرف فادعى أنه عزله قبله لم يقبل. فلو أقام به بينة ببلد آخر وحكم به حاكم فإن لم ينعزل قبل العلم صح تصرفه وإلا كان حكمًا على الغائب. ولو حكم قبل هذا الحكم بالصحة حاكم لا يرى عزله قبل العلم فإن كان قد بلغه ذلك نفذ والحكم الناقض له مردود، وإلا وجوده كعدمه. والحاكم الثاني إذا لم يعلم بأن العزل قبل العلم أو علم ولم يره أو رآه ولم ير نقض الحكم المتقدم فحكمه كعدمه. وقبض الثمن من وكيله دليل بقاء وكالته، وأنه قول أكثر العلماء(٢).

قال القاضي في مسألة عزل الوكيل بموت الموكل: فأما إن أخرج الموكل عن ملكه مثل إعتاقه العبد وبيعه فإنه تنفسخ الوكالة بذلك. ففرق بين الموت وبين العتق والمبيع بأنه حكم الملك هنا قد زال وهناك السلعة بعد الموت باقية على حكم مالكها.

وما قاله القاضي فيه نظر؛ فإن الانتقال بالموت أقوى منه بالبيع والعتق، فإن هذا يمكن الاحتراز عنه فيكون بمنزلة عزله بالقول وذلك قد زال الملك فيه بفعل الله تعالى.

وإذا تصرف بلا إذن ولا ملك ثم تبين أنه كان وكيلاً أو مالكًا ففي صحة تصرفه وجهان، كما لو تصرف بعد العزل ولم يعلم، فلو تصرف بإذن ثم تبين أن الإذن كان من غير المالك أو المالك أذن له ولم يعلم أو أذن بناءً على جهة، ثم تبين أنه لم يكن يملك الإذن بها بل بغيرها أو بناءً على أنه ملك بشراء ثم تبين له أنه كان وارثًا.

فإن قلنا يصح التصرف في الأول فههنا أولى. وإن قلنا لا يصح هناك فقد يقال يصح هنا. لأنه كان مباحًا له في الظاهر والباطن؛ لكن الذي اعتقده ظاهرًا ليس هو الباطن. فنظيره إذا اعتقد أنه محدث فتطهر ثم

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٥٤٤

تبين فساد طهارته وأنه كان متطهرًا قبل هذا(٣).

(١) مختصر الفتاوى ٢٧٥ ف ٢/ ٢١٧.

(٢) فروع ٦/ ٣٤ ف ٢/ ٢١٦.

(٣) اختيارات ١٣٨، ١٣٩ ف ٢/ ٢١٧.." [١]

"وإن قيل: إن وجود كل شيء عين ماهيته أو قيل ذلك في حق الله تعالى فقط كان الحد الذي هو حقيقته العينية الوجودية هو الحد الذي هو الماهية النوعية إذا عني به حقيقة المحدود. وإن عني بالحد القول الدال على ماهية الشيء لم يكن لذلك وجود إلا في الذهن لا في الخارج، والله أعلم(١)(٢).

فأما الأول فقد يعني بالحد حقيقة الشيء، وقد يعني به القول الدال على ماهيته.

فأما «الحد» بمعنى حقيقة الشيء التي هو بها يتميز بها عن غيره، فلا ريب بين المسلمين أن الله له حقيقة، وذات فذلك حده الذي لا يعلمه غيره، كما جاء في الأثر: يا من لا يعلم ما هو إلا [هو] ولا يبلغ قدرته غيره.

وهل يقال له ماهية لا يعلمها غيره، ولا تجري ماهيته في مقال. أو يقال: لا ماهية له؟ على قولين لأصحابنا وغيرهم. الأول قول أكثرهم.

وأما الحد بمعنى القول -فله أسماء تميزه عن غيره وله حدود بخواصه التي تميزه عن [غيره] كقولنا: رب العالمين، وخالق السموات والأرض والأول والآخر **والظاهر والباطن**.

وأما «الحد» المركب من الجنس والفصل فلا يجوز في حق الله تعالى.

(١) من قوله: وهو بالاعتبار الأول كلي إلى قوله والله أعلم في الهامش بخطه أيضًا وليس هو نهاية البحث.

(٢) وقال رحمه الله في رده على المنطقيين: أشرف الموجودات واجب الوجود، ووجوده معين لا كلي؛ فإن الكلي لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه، وواجب الوجود يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه.

وقال أيضًا: قولهم: إن الماهية لها حقيقة ثابتة في الخارج غير وجودها شبيه بقول من يقول: المعدوم شيء، وهو من أفسد ما يكون إلى أن قال: وحقيقة الفرق الصحيح: أن الماهية هي ما يرتسم في النفس من

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٢٣

الشيء، والوجود ما يكون خارجا عنه. وهذا فرق صحيح؛ فإن الفرق بين ما في النفس وما في الخارج ثابت معلوم لا ريب فيه. وأما تقدير حقيقة لا تكون ثابتة في العلم ولا في الوجود فهو باطل. مجموع الفتاوى (٩/٩٧-٩٩، ١٢٥).." (١)

"ثم ذكر القاضي مسألة مستقلة: أنه لا يقبل خبر من لم تعرف عدالته وإن عرف إسلامه، وقد قال أحمد في رواية الفضل بن زياد وقد سأله عن ابن حميد يروي عن مشايخ لا نعرفهم وأهل البلد يثنون عليهم، فقال: إذا أثنوا عليهم قبل ذلك منهم، هم أعرف بهم. قال: وظاهر هذا أنه لا يقبل خبره إذا لم تعرف عدالته لأنه اعتبر تعديل أهل البلد لهم.

قال شيخنا: قلت: هذا في كلام أحمد كثير جدا. قال: وحكي عن أبي حنيفة أنه يقبل خبر من لم تعرف عدالته إذا عرف إسلامه. واحتج القاضي بأن كل خبر لم يقبل من فاسق كان من شروطه معرفة عدالة المخبر كالشهادة. قال: ولا يلزم عليه الخبر المرسل؛ لأن رواية العدل عنه تعديل. قال: وخبر الأعرابي الشاهد بالهلال يحتمل أن يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - عرف من حال الشاهد أنه عدل ثقة فلذلك حكم بشهادته. قال: وليس من شرطه معرفة العدالة **الباطنة**؛ لأن اعتبارها يشق، ويفارق

الشهادة لأن اعتبارها لا يشق لأن لها معتبرا وهو الحاكم، والاعتبار إليه، وليس كل من سمع الحديث حاكما.

قال شيخنا: فقد رتبهم أربع مراتب: مسلم، وعدل **الظاهر**، وباطن، وفاسق. وكأنه يعني بالعدالة **الباطنة** ما يثبت عند الحاكم، **وبالظاهرة** ما ثبت عند الناس بلا حاكم(١) واعتبار هذا في شهادة النكاح قول حسن.

[والد شيخنا]: ... ... فصل

[إذا تحمل صغيرا وروى كبيرا]

فإن تحمل صغيرا وروى كبيرا أو تحمل كافرا أو فاسقا وروى مسلما عدلا قبلت روايته.

قال والد شيخنا: ويغلب على ظني أن فيه خلافا في مذهبنا(٢).

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٥١

(١) نسخة: «تزكية الناس بلا حاكم».

(٢) نسخة: «خلافا لغيرنا».." (١)

"وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ [٢٧/٨٠] المراد السماع المعتاد الذي يتضمن القبول والانتفاع -كما في حق الكفار- السماع النافع في قوله: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ [٨/٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ﴾ [٦٧/١٠] فإذا كان قد نفى عن الكافر السمع مطلقًا وعلم أنه إنما نفى سمع القلب المتضمن للفهم والقبول لا مجرد سماع الكلام فكذلك المشبه به وهو الميت.

والحديث الذي قال النبي – صلى الله عليه وسلم – فيه: «إن الميت إذا حمل قال قدموني» أو يقول: «يا ويلها» الحديث، ليس هذا هو الكلام المعتاد بتحريك اللسان؛ فإنه لو كان كذلك لسمعه كل أحد ولكن هو أمر باطن آخر وليس هو مجرد الروح، فإن الروح منفصل عن البدن فإن النائم قد يسمع ويتكلم، وذلك بروحه وبدنه **الباطن** بحيث يظهر أثر ذلك في بدنه، حتى إنه قد يقوم ويصيح ويمشي ويتنعم بدنه ويتعذب ومع ذلك فعيناه مغمضتان، وغالبهم أن لسانه لا يتحرك، لكن إذا قوي أمر

الباطن فقد ينطلق اللسان **الظاهر** حتى يصوت به ولو نودي من حيث **الظاهر** لا يسمع، فكما أن النائم حاله لا تشبه حال اليقظان -ولا أحواله مختصة بالروح فالميت أبلغ من ذلك- فإن معرفته بالأمور أكمل من النائم.

[قول الميت قدموني أمر باطن آخر]

وإدراك الإنسان بعد موته لأمور الآخرة أكمل من إدراك أهل الدنيا وإن كان قد يعرض للميت حال لا يدرك فيها كما قد يعرض ذلك النائم، وقد روي: «من مات ولم يوص لا يستطيع الكلام»

وأرواح المؤمنين وإن كانت في الجنة فلها اتصال بالبدن إذا شاء الله تعالى من غير زمن طويل،كما تنزل الملائكة في طرفة عين. قال مالك رحمه الله: بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت ولهذا روي: «أنها على أفنية القبور»، و«أنها في الجنة» والجميع حق.

وفي الصحاح أنها ترد إليه بعد الموت ويسأل وترد فتكون متصلة بالبدن بلا ريب والله أعلم.." (٢)

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٦٩

(٢) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٨٠

"الرواية على الخط والكتاب]

استدل القاضي في «مسألة الرواية على خطه» بأن الأخبار مبناها على حسن الظن والمسامحة ومراعاة **الظاهر** من غير تحرج، ألا ترى أنه لا يشترط فيها العدالة في **الباطن**، ويقبل فيها قول العبيد والنساء وحديث العنعنة، **والظاهر** من حال السماع الموجود الصحة فجاز العمل عليه، واحتج برجوع الصحابة رضي الله عنهم إلى كتب النبي – صلى الله عليه وسلم – والعمل عليها فإنه من أدل الدليل على الرجوع إلى الخط والكتاب.

قال شيخنا: قلت: هذا رجوع إلى خط غيره، والعمدة فيه خبر الحامل، واحتج برواية الضرير، والسماع من وراء حجاب فإنه سلمها في الرواية من منعها في الشهادة(١).

[شيخنا]: ... ... فصل

[إذا أبدل كلمة الرسول بالنبي أو بالعكس]

إذا سمع من الراوي «أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – » أو «قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – » أو «عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - » أو «سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – » جاز أن يبدل مكان الرسول النبي [نص عليه فيما رواه عمر المغازلي. وكذا مكان النبي رسول الله] وقال صالح: قلت لأبي [عبد الله] يكون في الحديث: «قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – » فيجعله الإنسان «قال النبي – صلى الله عليه وسلم – » قال: أرجو أن لا يكون به بأس(٢).

[إذا قرئ على المحدث وسكت هل هو إقرار ومتى يجوز أن يقول حدثني أو أخبرني]

---

(١) المسودة ص ٢٨١ ف ٩/٢.

(٢) المسودة ص ٣٨٢، ٣٨٣ ف ٩/٢.." (١)

"صلاة الخوف ولا شك أن صلاة النبي – صلى الله عليه وسلم – حال الخوف كانت ناقصة عن صلاته حال أمنه في الأفعال **الظاهرة**، فإذا كان قد عفي عن الأفعال **الظاهرة** فكيف **بالباطنة**؟ وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ [٤/١٠٣] وإقامتها حال الأمن لا يؤمر به حال الخوف، والله أعلم(١).

باب صلاة التطوع

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٨٣

وفي رد شيخنا على الرافضي بعد أن ذكر تفضيل أحمد للجهاد والشافعي للصلاة وأبي حنيفة ومالك للعلم: والتحقيق أنه لا بد لكل من الآخرين، وقد يكون كل واحد أفضل في حال كفعل النبي – صلى الله عليه وسلم – وخلفائه رضي الله عنهم بحسب الحاجة والمصلحة(٢).

وقد ذكر شخينا أن تعلم العلم وتعليمه يدخل بعضه في الجهاد وأنه من أنواع الجهاد من جهة أنه من فروض الكفايات، قال والمتأخرون من أصحابنا أطلقوا القول، أفضل ما تطوع به الجهاد، وذلك لمن أراد أن يفعله تطوعًا باعتبار أنه ليس بفرض عين عليه بحيث إن الفرض قد سقط عنه، فإذا باشره وقد سقط الفرض عنه فهل يقع فرضا أو نفلا، على وجهين كالوجهين في صلاة الجنازة إذا أعادها بعد أن صلاها غيره. وانبنى على الوجهين في صلاة الجنازة وجواز فعلها بعد العصر والفجر مرة ثانية. والصحيح أن ذلك يقع فرضا، وأنه يجوز فعلها بعد العصر والفجر وإن كان ابتداء الدخول فيها تطوعا كما في التطوع الذي يلزم بالشرع فإنه كان نفلا ثم يصير إتمامه فرضا(٣).

ونقل حرب أنه قال لرجل له مال كثير: أقم على ولدك وتعاهدهم

أحب إلي، ولم يرخص له يعني في غزو غير محتاج إليه(٤).

---

(١) مختصر الفتاوى (٦٦) هذا فيه اختصار وزيادة كلمات ف (٢/٦٦).

(٢) فروع (١/ ٥٣١) ف (٢/٦٨).

(٣) الاختيارات (٦٣) والفروع (١/ ٥٢٦) ف (٢/٦٨).

(٤) الفروع (١/ ٥٢٢) ف (٢/٦٨).." (١)

"وقياس قول أحمد في الكفارات(١).

باب إخراج الزكاة

فصل

وقوله – صلى الله عليه وسلم – : «ما من صاحب إبل لا يؤدي حقها» يراد بالحق الزكاة ويراد به ما يجب من غير الزكاة: مثل الإعطاء في النوائب لابن السبيل والمسكين وذي الرحم، «ومن حقها حلبها يوم وردها»

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٨٤

لأجل ابن السبيل ونحوهم، فإنهم يقعدون على الماء، فإن إطعام المحتاج وسقيه فرض كفاية.

وأما ما يأخذ العداد فإن كان هو من أهل الزكاة أجزأت عن صاحبها عند الأئمة، وإن كان من الكلف التي وضعها الملوك فإنها لا تجزئ عن الزكاة(٢).

وأما ما يؤخذ من التجار بغير اسم الزكاة من الوظائف السلطانية فلا يعتبر من الزكاة، وما يؤخذ باسم الزكاة ففيه نزاع، والأولى إعادتها إذا غلب على الظن أنها لا تصرف إلى مستحقها.

وإذا أخذ ولي الأمر العشر أو زكاة التجارة فصرفها في مصرفها أجزأت باتفاق المسلمين.

وأما إذا كان ولي الأمر يتعدى في صرفها فالمشهور عند الأئمة أنه يجزئ أيضا كما نقل ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم(٣).

وما يأخذه الإمام باسم المكس جاز دفعه بنية الزكاة، وتسقط وإن لم تكن على صفتها(٤).

وقال الشيخ تقي الدين: إذا وجب العشر على فلاح أو غيره وأمر ولي الأمر بصرفه إلى من يستحق الزكاة وجبت طاعته في ذلك ولم يكن لأحد أن يمتنع من ذلك(٥).

وحكى أبو البركات رواية أخرى أن الدين لا يمنع في **الظاهرة** مطلقا، قال أبو العباس: ولم أجد بها نصا عن أحمد(٦).

زكاة **الباطن**:

وقيل : لا يجب دفع **الباطن** بطلبه، وقال بعضهم : وجها واحدا.

---

(١) الاختيارات (١٠٢) ف (٢/ ١٠٣).

(٢) مختصر الفتاوى (٢٧١، ٢٧٢) ف (٢/ ١٠٣).

(٣) مختصر الفتاوى (٢٧٥) ف (٢/ ١٠٣).

(٤) اختيارات (١٠٥) ف (٢/ ١٠٤).

(٥) الآداب (١/ ٤٩٥) ف (٢/ ١٠٤).

(٦) الزركشي (٢/ ٤٨٥) ف (٢/ ١٠٤).." (١)

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٠٣١

"وأما محمد – صلى الله عليه وسلم – فهو الرسول إلى جميع الخلق. فمن لم يتبعه من جميع من بلغته دعوته كان كافرا ضالا ومن قال له مثل ما قال للخضر فهو كافر.

وأيضا ما فعله الخضر فلم يكن خارجا عن شريعة موسى؛ إذ لما بين له الأسباب أقره على ذلك، فكان قد علم الخضر الأسباب التي أباحت له ذلك الفعل ولم يكن يعلمها موسى كما يدخل الرجل على غيره فيأكل طعامه ويأخذ ماله لعلمه بأنه مأذون له.

وأيضا فإن الخضر إن كان نبيا فليس لغيره أن يتشبه به، وإن لم يكن نبيا وهو قول الجمهور فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما أفضل منه، فإن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما خيارها، وكان حالهما مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما علم من الطاعة لأمره،

ونحن مأمورون أن نقتدي بهما؛ بل من اعتقد أنه يجوز له أن يخرج عن طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – وتصديقه في شيء من أموره **الباطنة والظاهرة** فإنه يجب استتابته فإن تاب وإلا قتل كائنا من كان.

وأما ما ذكره الحكيم الترمذي في أصناف الرحمة. فلا ريب أن الرحمة أصناف متنوعة كما ذكره.

وليس في الحديث: «رحمة من عندك» وإنما فيه: «فاغفر لي مغفرة من عندك» ولكن مقصوده أن يشبه هذه بقوله: ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾ [٣/٨] وقد جعل هذه المغفرة من عنده سبحانه مغفرة مخصوصة ليست مما يبذل للعامة، كما أن الرحمة المخصوصة ليست مما يبذل للعامة.

وهذا الكلام في بعضه نظر. وهو كغيره من المصنفين في كلامه مردود ومقبول. فليس في قوله – صلى الله عليه وسلم – : «مغفرة من عندك»(١)، ولكن في قول الراسخين في العلم: ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾ [٣/٨] ونحو ذلك لا يقتضي اختصاص هذا الشخص دون غيره وإلا لما ساغ لغيره أن يدعو بهذا الدعاء وهو خلاف الإجماع أو تفسير اللفظ بما لا يدل عليه.

---

(١) كذا بالأصول وصوابه رحمة من عندك.." [١]

"قال شيخ الإسلام: لما كانت كلمة الشهادة لا يتحملها أحد عن أحد، ولا تقبل النيابة بحال أفرد الشهادة بها. ولما كانت الاستعانة والاستعاذة والاستغفار يقبل ذلك فيستغفر الرجل لغيره ويستعين الله له ويستعيذ بالله له أتى فيها بلفظ الجمع، ولهذا يقول: اللهم أعنا، وأعذنا، واغفر لنا. قال ذلك في حديث

---

[١] المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٨٣

ابن مسعود(١).

«إنما الأعمال بالنيات»

قال الشيخ تقي الدين: «قاعدة عامة في الأعمال»، وذلك أنها قد تشتبه دائما في **الظاهر** مع افتراقها في الحقيقة **والباطن**، حتى تكون صورة الخير والشر واحدة؛ وإنما المفرق بينهما **الباطن**، فيفضي ذلك إلى فعل ما هو شر باعتبار **الباطن** مع ظن الفاعل أو غيره أنه خير، وإلى ترك ما هو خير مع ظن التارك أو غيره أنه ترك شرا، إلا من عصمه الله تعالى بالهداية وحسن النية. وأكثر ما يبتلى الناس بذلك عند الشهوات والشبهات.

وهذا الأصل هو مذهب أهل السنة وجماهير المسلمين أن الفعل الواحد بالنوع ينقسم إلى طاعة ومعصية، وإن اختلفوا في الواحد بالشخص هل تجتمع فيه الجهتان؟ وخالف أبو هاشم في الواحد بالنوع أيضا واتفق الناس على أن النوع الواحد من الحيوان كالآدمي ينقسم إلى مطيع وعاص. واختلفوا في الشخص الواحد هل يجتمع فيه استحقاق

الثواب والعقاب والمدح والذم، فذهب أهل السنة المانعون من تخليد أهل الكبائر لجواز ذلك، وأباه المخلدة.

وأنا أذكر لك أمثالا يتفطن لها اللبيب حتى تتحقق النية في العمل، فإنها هي الفارقة، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إنما الأعمال بالنيات» فإن هذه كلمة جامعة عظيمة القدر؛ فمن الأمثلة **الظاهرة** في الأعمال: أن الصلاة والصدقة والجهاد والحكم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك الصادر من المرائي الذي يريد العلو في الأرض ورياء الناس، ومن المخلص الذي يريد وجه الله والدار الآخرة.

---

(١) تهذيب السنن جـ٣/٥٤ ولفهارس العامة والتقريب ص٣٩٧.." (١)

"فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد الأول الآخر **الظاهر** **الباطن** الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٨٧

العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.." (١)

"ص -٣٨٦- لكون أهل بلده نصارى لا يوافقونه على إظهار شرائع الإسلام وقد قيل أن النبي إنما صلى عليه لما مات لأجل هذا فإنه لم يكن هناك من يظهر الصلاة عليه في جماعة كثيرة ظاهرة كما يصلي المسلمون على جنائزهم.

ولهذا جعل من أهل الكتاب مع كونه آمن بالنبي بمنزلة من يؤمن بالنبي في بلاد الحرب ولا يتمكن من الهجرة إلى دار الإسلام ولا يمكنه العمل بشرائع الإسلام **الظاهرة** بل يعمل ما يمكنه ويسقط عنه ما يعجز عنه كما قال تعالى. ﴿فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة﴾. فقد يكون الرجل في **الظاهر** من الكفار وهو في **الباطن** مؤمن كما كان مؤمن آل فرعون.

قال تعالى. ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبهوإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى." (٢)

"ص -٣٨٧- يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾. فقد أخبر سبحانه أنه حاق بآل فرعون سوء العذاب وأخبر أنه كان من آل فرعون رجل مؤمن يكتم إيمانه وأنه خاطبهم بالخطاب الذي ذكره فهو من آل فرعون باعتبار النسب والجنس **والظاهر** وليس هو من آل فرعون الذين

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٢٣/٢

يدخلون أشد العذاب وكذلك امرأة فرعون ليست من آل فرعون هؤلاء قال الله قوله: ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امر أت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾. وامرأة الرجل من آله بدليل قوله: ﴿إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين﴾. وهكذا أهل الكتاب فيهم من هو في **الظاهر** منهم وهو في **الباطن** يؤمن بالله ورسوله محمد يعمل بما يقدر عليه ويسقط عنه ما يعجز عنه علما وعملا و﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ وهو عاجز عن الهجرة إلى دار." (١)

"الإسلام كعجز النجاشي وكما أن الذين يظهرون الإسلام فيهم من هم في **الظاهر** مسلمون وفيهم من هو منافق كافر في **الباطن** أما يهودي وإما نصراني وإما مشرك وإما معطل.

كذلك في أهل الكتاب والمشركين من هو في **الظاهر** منهم ومن هو في **الباطن** من أهل الإيمان بمحمد يفعل ما يقدر على علمه وعمله ويسقط ما يعجز عنه في ذلك.

وفي حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال لما مات النجاشي قال." (٢)

"ص -٣٨٩- لأصحابه: "استغفروا له" فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله: قوله: ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب﴾. وقد ذهبت طائفة من العلماء إلى أنها نزلت فيمن كان على دين المسيح عليه السلام إلى أن بعث محمد فأمن به كما نقل ذلك عن عطاء.

وذهبت طائفة إلى أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم والقول الأول أجود فإن من آمن بمحمد وأظهر الإيمان به وهو من أهل دار الإسلام يعمل ما يعمله المسلمون ظاهرا وباطنا فهذا من المؤمنين وإن كان قبل ذلك مشركا بعبد الأوثان فكيف إذا كان كتابيا وهذا مثل عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وغيرهما وهؤلاء لا يقال إنهم من أهل الكتاب كما لا يقال في المهاجرين والأنصار إنهم من المش ركين وعباد الأوثان ولا يمكن أحد من المنافقين ولا من غيرهم من أن يصلي على واحد منهم بخلاف من هو في **الظاهر** منهم

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٤٢٥

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٤٢٦

وفي **الباطن** من المؤمنين.

وفي بلاد النصارى من هذا النوع خلق كثير يكتمون إيمانهم أما مطلقا وإما." (١)

"ص –٢٩٥– ضلالا مثلثا في التثليث وضلالا مثلثا في الاتحاد.

وقيل لكم ثانيا إذا جعلتم ذلك صفات لله كما أن الضوء والنطق والحرارة صفات لما تقوم بها امتنع أن تحل بغيرها وامتنع معالحلول أن تكون فاعلة فعل النار والشمس والنفس وأنتم جعلتم الكلمة والحياة حالة بغير الله وجعلتم ما يحل به إلها خالقا بل هو الإله الخالق ومعلوم أن أحدا من العقلاء لا يجعل ما يحصل فيه ضوء النار نارا ولا ما يحصل فيه شعاع الشمس شمسا ولا ما يحصل فيه نطق زيد وعلمه هو نفس زيد فكان جعلكم المسيح هو الخالق للعالم مخالفا لتمثيلكم.

وتبين بذلك أن ما ذكرتموه لا يطابقه شيء من الأمثلة إذ كان كاملا باطلا متناقضا يمتنع تحققه فلا تمثيل بشيء من الموجودات الثابتة المعلومة إلا إذا كان تمثيلا غير مطابق.

ولهذا يشبهون الحلول والاتحاد تارة بحلول الماء في الظرف وتارة بحلول النار في الحديد وتارة بالنفس والبدن وتارة يقوںون بأنهما جوهر واحد اختلطا كاختلاط الماء واللبن وكل هذه الأمثال التي ضربوها لله أمثال باطلة فإن الماء في الظرف وغيره من الأوعية محتاج إلى وعائه لو انخرق وعاؤه لتبدد وهو محيط به ولا يتصف الظرف بشيء من صفات الماء والرب تعالى يمتنع أن يحتاج إلى شيء من مخلوقاته لا إلى العرش ولا إلى غيره أو يحيط به شيء من الموجودات إذ هو **الظاهر** فليس فوقه شيء.

كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيءوأنت **الظاهر** فليس فوقك شيء" وأنت **الباطن** فليس دونك شيء فهو غني عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير إليه ولهذا لم يكن ما وصف الله به نفسه مماثلا لصفات المخلوقين كما لم تكن ذاته كذوات المخلوقين فهو مستو على عرشه كما أخبرنا عن نفسه مع غناه عن العرش.." (٢)

"ص –٤٨٠– وجود في العلم والقول والخط وأما في الخارج فلا وجود له.

والوجود هو الثبوت فلا ثبوت له في الوجود العيني الخارجي وإنما ثبوته في العلم أي يعلمه العالم قبل وجوده.

والأصل الثاني: أنهم جعلوا نفس وجود رب العالمين الخالق القديم الأزلي الواجب بنفسه هو نفس وجود المربوب المصنوع الممكن كما قال ابن عربي ومن عرف ما قررناه في الأعداد وأن نفيها عين إثباتها علم أن

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٢٨/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٤٦/٤

الحق المنزه هو الخلق المشبه فالأمر للخالق هو المخلوق والأمر المخلوق هو الخالق كل ذلك من عين واحدة لا بل هو العين الواحدة وهو العيون الكثيرة وهو يا أبت افعل ما تؤمر إلى أن قال وما ذبح سوى نفسه وما نكح سوى نفسه.

وقال ومن أسمائه الحسنى العلي على من يكون عليا وما هو إلا هو أو عن ماذا يكون عليا وما ثم إلا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست إلا هو.

وقد نقل عن أبي سعيد الخراز أنه قيل بماذا عرفت ربك.

قال بجمعه بين الأضداد وقرأ قوله: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾.

أراد بذلك أنه مجتمع في حقه سبحانه ما يتضاد في حق غيره فإن المخلوق لا يكون أولا آخرا باطنا ظاهرا.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه كان يقول أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء" فجاء هذا الملحد وفسر قول أبي سعيد بأن المخلوق هو الخالق فقال قال أبو سعيد وهو وجه من وجوه الحق ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه بأن الله لا يعرف إلا." (١)

"ص -٤٨١- بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها فهو الأول والآخر والظاهر والباطن فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره وما ثم من بطن عنه سواه فهو ظاهر لنفسه باطن عن نفسه وهو المسمى أبو سعيد الخراز وغير ذلك من أسماء المحدثات ولهذا قال بعض النصارى لمن يقول مثل هذا ويحكيه عن شيوخه ويقول إنه مسلم أنتم كفرتمونا لأجل أن قلنا إن الله هو المسيح وشيوخكم يقولون إن الله هو أبو سعيد الخراز والمسيح خير من أبي سعيد.

وهؤلاء يجيبون النصارى بجواب يتبين به أنهم أعظم إلحادا من النصارى.

فيقولون للنصارى أنتم خصصتموه بالمسيح ونحن نقول هو وجود كل شيء لا نخص المسيح.

ولهذا قال بعضهم لأحذق هؤلاء التلمساني الملقب بالعفيف أنت نصيري فقال نصير جزء مني فإن النصيرية أتباع أبي شعيب محمد بن نصير يقولون في علي بن أبي طالب نظير ما يقوله النصارى في المسيح كذلك سائر الغلاة في علي أو في أحد من أهل بيته أو في الإسماعيلية بني عبيد المنتسبين إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر كالحاكم وغيره." (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٧٨/٥

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٧٩/٥

"ص -٤٨٧- دون الحس فإذا أبطلوا ما شهده الحس لم يبق معهم إلا الوجود الكلي.

ثم يظنون مع ذلك أنه هو الله فيبقى الرب عندهم وهما وخيالا في نفوسهم لا حقيقة له في الخارج كما قال بعض حذاقهم وهو التستري صاحب ابن سبعين وهمك هو بتشخيص ما تحته شيء وقال.

ترى الوجود واحدا وأنت ذاك وليس عليك زائد ما ثم سواك وقلت لبعض حذاقهم هب أن هذا الوجود المطلق ثابت في الخارج وأنه عين الموجودات المشهودة فمن أين لك أن هذا هو رب العالمين الذي خلق السماوات والأرض وكل شيء.

فاعترف بذلك وقال هذا ما فيه حيلة.

والحس الباطن أو الظاهر إن لم يقترن به العقل الذي يميز بين المحسوس وغيره وإلا دخل فيه من الغلط من جنس ما يدخل على النائم والممرور والمبرسم وغيرهم ممن يحكم بمجرد الحس الذي لا عقل معه.

والبهائم قد تكون أهدى من هؤلاء كما قال تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا." (١)

"ص -٤٨٩- يشير إليه ابن سبعين ويقول هو في الماء ماء وفي النار نار وفي كل شيء بصورة ذلك الشيء كما قد بسط الكلام على هؤلاء في مواضع غير هذا الكتاب.

وإذا قالوا: إن الرب حل في المسيح كما حل في غيره وهو الحلول الموجود في كلام داود عندهم حيث قالوا أنت تحل في قلوب القديسين فقد عرف أن هذا حلول الإيمان به ومعرفته وهداه ونوره والمثال العلمي كما قد بسط في موضع آخر ولهذا يسمى ظهورا والشعاع الحال على الأرض والهواء عرض قائم بذلك وهو مفتقر إلى الأرض والهواء.

والرسل صلوات الله عليهم أخبروا بأن الله فوق العالم بعبارات متنوعة تارة يقولون هو العلي وهو الأعلى وتارة يقولون هو في السماء كقوله: ﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾.

وليس مرادهم بذلك أن الله في جوف السماوات أو أن الله يحصره شيء من المخلوقات بل كلام الرسل كله يصدق بعضه بعضا كما قال تعالى: ﴿سبحان ربك رب العزة عم ا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾.

وقد قال تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾.

وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء و أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء" فأخبر أنه لا يكون

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٨٥/٥

شيء فوقه.

ولهذا قال غير واحد من أئمة السلف إنه ينزل إلى السماء الدنيا ولا يخلو العرش منه فلا يصير تحت المخلوقات وفي جوفها قط بل العلو عليها صفة لازمة له حيث وجد مخلوق فلا يكون الرب إلا عاليا عليه.

وقول الرسل في السماء أي في العلو ليس مرادهم أنه في جوف الأفلاك بل السماء العلو وهو إذا كان فوق العرش فهو العلي الأعلى وليس هناك مخلوق حتى يكون الرب محصورا في شيء من المخلوقات ولا هو في جهة موجودة بل ليس موجودا إلا الخالق." (١)

"ص –٥٣٥– وهو لا يفقه معناه ولا يعقله فمن نقل لفظ التوراة أو الإنجيل أو القرآن أو ألفاظ سائر الأنبياء لم نطالبه ببيان معناه.

بخلاف من ادعى أنه فهم ما قاله الأنبياء وعبر عن ذلك بعبارة أخرى فإنه يقال له إن كنت فهمت ما قالوه فهو معنى واحد عبروا عنه بعبارة وعبرت عنه بعبارة أخرى كالترجمان فهذا يعقل ما يقول ويفقهه.

وإن قال إني لم أفهم كلامهم أو لم أفهم ما قلته فقد اعترف بجهله وضلاله وأنه من الذين لم يفهموا كلام الأنبياء عليهم السلام ولم يفقهوا ما قالوه هم.

فلو قالوا لم نفهم كلام الأنبياء وسكتوا لكانوا أسوة أمثالهم من الجهال بمعاني كلام الأنبياء.

وأما إذا وضعوا عبارة وكلاما ابتدعوه وأمروا الناس باعتقاده وقالوا هذا هو الإيمان والتوحيد وقالوا إنا مع هذا لا نتصور ما قلناه ولا نفقهه ولا نعقله فهؤلاء من الذين يقولون على الله ما لا يعلمون ويفترون على الله وعلى كتب الله و أنبياء الله بغير علم بل يقولون الكذب المفترى والكفر الواضح ويقولون مع ذلك إنا لا نعقله وهذا حال النصارى بلا ريب.

وهذا الموضع غلط فيه طائفتان من الناس غالية غلت في المعقولات حتى جعلت ما ليس معقولا من المعقول وقدمته على الحس ونصوص الرسول.

وطائفة جفت عنه فردت المعقولات الصريحة وقدمت عليها ما ظنته من السمعيات والحسيات.

وهكذا الناس في السمعيات نوعان وكذلك هم في الحسيات الباطنة والظاهرة نوعان.

فيجب أن يعلم أن الحق لا ينقض بعضه بعضا بل يصدق بعضه بعضا.

بخلاف الباطل فإنه مختلف متناقض كما قال تعالى: في المخالفين للرسل: ﴿والسماء ذات الحبك إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك﴾.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥/ ٨٧

وإن ما علم بمعقول صريح لا يخالفه قط لا خبر صحيح ولا حس صحيح.

وكذلك ما علم بالسمع الصحيح لا يعارضه عقل ولا حس.." (١)

"ص -٥٣٧- آخر أو يرى أنه أغاث من استغاث به أو جاء طائرا في الهواء مع العلم بأنه في مكانه لم يتغير منه فهذا إنما هو جني تصور بصورة ذلك الشخص ليس هو نفسه فهذا يشبهه ليس هو إياه.

والحسيات إن لم يميز بينها بالعقل وإلا فالحس يغلط كثيرا فكذلك من ادعى فيما حصل له من المكاشفة والمخاطبة أمرا يخالف صريح العقل يعلم أنه غالط فيه كمن قال من القائلين بوحدة الوجود إني أشهد بباطني وجودا مطلقا مجردا عن الأسماء والصفات لا اختصاص فيه ولا قيد البتة فلا يتنازع في هذا كما قد ينازعه بعض الناس.

لكن يقال له من أين لك أن هذا هو رب العالمين الذي خلق السماوات والأرض فإن كون ما شهدته بقلبك هو الله أمر لا يدرك بحس القلب وإذا ادعيت أنه حصل لك في الكشف ما يناقض صريح العقل علم أنك غالط كما قال شيخ هؤلاء الملاحدة التلمساني.

يا صاحبي أنت تنهاني وتأمرني والوجد أصدق نهاء وأمار

فإن أطعك وأعص الوجد عدت عما عن العيان إلى أوهام أخبار

وعين ما أنت تدعوني إليه إذا حققت فيه تراه النهي يا جار

فيقال له وجدك وذوقك لم يفدك إلا شهود وجود مطلق بسيط لكن من أين لك أن هذا هو رب العالمين بل من أين لك أن هذا ثابت في الخارج عن نفسك كليا مطلقا مجردا بل إنما تشهده كليا مطلقا مجردا في نفسك.

ولست تعلم بحس ولا عقل ولا خبر أن هذا هو في الخارج.

كما أن النائم إذا شهد حسه **الباطن** أشياء لم يكن معه يقين أن هذا في الخارج.

فإذا عاد إليه عقله علم أن هذا كان في خياله في المنام

وكذلك السكران وغيره ممن يضعف عقله فهذا يشهد بحسه **الباطن** أو **الظاهر** أشياء وقد ضعف عقله عن كنه ذلك لما ورد عليه وإذا ثاب إليه عقله علم أن ما شهده كان في نفسه وخياله لا في الخارج عن ذلك.." (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٤١/٥

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٤٣/٥

"ص -٥٣٨- فكل من أخبر بما يخالف صحيح المنقول أو صريح المعقول يعلم أنه وقع له غلط وإن كان صادقا فيما يشهده في الحس **الباطن** أو **الظاهر** لكن الغلط وقع في ظنه الفاسد المخالف لصريح العقل لا في مجرد الحس فإن الحس ليس فيه علم بنفي أو إثبات.

فمن رأى شخصا فليس في الحس إلا رؤيته.

وأما كونه زيدا أو عمرا فهذا لا بد فيه من عقل يميز بين هذا وهذا ولهذا كان الصغير والمجنون والبهيم والسكران والنائم ونحوهم لهم حس ولكن لعدم العقل لا يميزون أن هذا المشهود هو كذا أم كذا بل قد يظنون ظنونا غير مطابقة.

قال تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءهلم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾.

فالظمآن يرى أن ما ظنه ماء ولم يكن ماء لاشتباهه بالماء والحس لم يغلط لكن غلط عقله.

والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه معصومون لا يقولون على الله إلا الحق ورا ينقلون عنه إلا الصدق.

فمن ادعى في أخبارهم ما يناقض صريح المعقول كان كاذبا بل لا بد أن يكون ذلك المعقول ليس بصريح أو ذلك المنقول ليس بصحيح.

فما علم يقينا أنهم أخبروا به يمتنع أن يكون في العقل ما يناقضه.

وما علم يقينا أن العقل حكم به يمتنع أن يكون في أخبارهم ما يناقضه.

وقول أهل الاتحاد من النصارى وغيرهم سواء ادعوا الاتحاد العام أو الخاص قد علم بصريح العقل بطلانه فيمتنع أن يخبر به نبي من الأنبياء بل الأنبياء عليهم السلام قد يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته لا بما يعلم العقل بطلانه فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول.

ومن سوى الأنبياء ليس معصوما فقد يغلط ويحصل له في كشفه وحسه وذوقه." (١)

"ص -٢٣٧- عشرة سنة وانتشر أمره وكذبه قومه وحرصوا على إبطال دعوته بكل طريق يقدرون عليه فلو كان بمكة أو بالمدينة أحد من أهل الكتاب يتعلم منه أو لقي أحدا من أهل الكتاب في طريق فتعلم منه لكان ذلك يقدح في مقصود هؤلاء السائلين.

فتبين أنه كان معلوما عند أهل الكتاب أنه لم يتعلم شيئا من الغيب من بشر لا سيما ولو كان قد تعلمه من أهل الكتاب وقد كذبهم وحاربهم لأظهروا ذلك ولشاع في أهل الكتاب فكان إذا أجابهم قالوا هذا تعلمته

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٤٤/٥

من فلان وفلان منا أو هذا علمكه بعض أهل ديننا وهذا كما كانوا يرسلون إلى قومه من قريش ليسألوه عن مسائل ويقولون إن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فهو متقول ويقولون سلوه عن مسائل لا يعلمها إلا نبي. فهذا من أهل المدينة ومن قريش قومه يبين أن قومه المشركين وأهل الكتاب كانوا متفقين على أنه لم يتعلم شيئا من ذلك البشر إذ لو جوزوا ذلك لم يحصل مقصودهم بذلك ولم يجز أن يقولوا لا يعلمها إلا نبي فإنهم كانوا جميعا يعلمون أن من أهل الكتاب من يعلم هذه المسائل وبذلك يعرف هل يجيب فيها بما قالته الأنبياء أو بخلاف ذلك ويعلمون أن من كان تعلمها من أهل الكتاب ومن تعلم منهم لا يدل جوابه عنها على نبوته كما لو أجاب عن تلك المسائل بعض أهل الكتاب وكما لو سأل في زماننا بعض الناس لبعض المسلمين عن تلك المسائل أو غيرها من أنباء الغيب التي لا يعلمها إلا نبي فإن ذلك لا يدل على نبوته لأنه قد تعلم ذلك من الأنبياء.

فدل على أن مرادهم بقولهم لا يعلمها إلا نبي أي لا يعلمها ابتداء بدون تعليم من بشر إلا نبي ويدل على أن المشركين وأهل الكتاب كانوا جميعا متفقين على أنه لم يتعلم من بشر مع انتشار أخباره ومع اطلاع قومه على أسراره ومع ظهور ذلك لو وجد ومع أنهم لو جوزوا تجويزا أن يكون قد تعلمها من بشر في **الباطن** لم يجز أن يستدل بها على نبوته فدل على أنهم كانوا قاطعين بأنه لم يتعلم ذلك من بشر لا في **الباطن** ولا في **الظاهر**." (١)

"ص -٣٠٠- أفضل وهذا مذهب كثير من المشركين الهند وغيرهم وكثير من أهل الكتاب اليهود والنصارى وكثير من مبتدعة المسلمين والثاني قول من يقول إن أفضلها ما كان أدعى إلى تحصيل الواجبات العقلية والثالث قول من يقول فضل بعضها على بعض لا علة له بل يرجع إلى محض المشيئة والرابع وهو الصواب أن أفضلها ما كان لله أطوع وللعبد أنفع فما كان صاحبه أكثر انتفاعا به وكان صاحبه أطوع لله به من غيره فهو أفضل كما جاء في الحديث خير العمل أنفعه وعلى كل قول فعبادات المسلمين أكمل من عبادات غيرهم أما عن الأول فأولئك يقولون كلما كانت الأعمال اشق على النفس فهي أفضل ثم هؤلاء قد يفضلون الجوع والسهر والصمت والخلوة ونحو ذلك كما يفعل ذلك من يفعله من المشركين الهند وغيرهم ومن النصارى ومبتدعة هذه الأمة ولكن يقال لهم الجهاد أعظم مشقة من هذا كله فإنه بذل النفس وتعريضها للموت ففيه غاية الزهد المتضمن لترك الدنيا كلها وفيه جهاد النفس في **الباطن** وجهاد العدو في **الظاهر** ومعلوم ان المسلمين أعظم جهادا من اليهود والنصارى فإن اليهود خالفوا موسى في الجهاد وعصوه والنصارى

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦/٢٥٨

لا يجاهدون على دين وأما على قول من يجعل العبادات الشرعية لطفا في الواجبات العقلية فلا ريب أن عبادات المسلمين كصلاتهم وصيامهم وحجهم أدعى إلى العدل الذي هو جماع الواجبات العقلية من عبادات غيرهم التي ابتدعوها فإنها متضمنة للظلم المنافي للعدل وأما على قول نفاة التعليل ورد ذلك إلى مشيئة الله فيكون الأمر في ذلك راجعا إلى محض مشيئة الله وتعبده للخلق وحينئذ فمن تكون عباداته تابعة لأمر الله الذي جاء به." (١)

"ص -٣٠٣- فيخطئ خطأ من يتكلم بلا علم ومن يظن الكذب صدقا والباطل حقا والضلال هدى والغي رشدا والظلم عدلا والفساد صلاحا وكل من دعا الخلق إلى متابعته وطاعته على سبيل الحتم والإيجاب بأن يصدقوه بما اخبر ويطيعوه فيما أمر به وأوجبه باطنا وظاهرا من غير أن يخير أحدا في اتباعه وتصديقه وطاعته ولا يسوغ له مخالفته بوجه من الوجوه لا في **الباطن** ولا في **الظاهر** لم يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة وذلك لأنه إما أن يكون قصده الإثم والعدوان أو قصده البر والعدل فإن كان قصده الأول فهو ظالم فاجر ومثل هذا لا يكون إلا كاذبا عمدا أو خطأ وإن كان قصده البر والعدل فلا يخلو مع ذلك إما أن يكون عالما بكل ما يخبر به من الغيوب جازما بصدق نفسه جزما لا يحتمل النقيض عالما بأن ما يأمر به عدل لا يجوز لمن أمره أن يعصيه بوجه من الوجوه وأما إن لا يكون جازما بذلك فإن كان جازما بذلك كان هذا هو النبي المعصوم الذي لا يخبر إلا بحق ولا يأمر إلا بعدل ﴿وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾ بخلاف القسم الذي يتحرى العدل والصدق باجتهاده ورأيه فإن هذا قد يأمر بأشياء يجوز أن تكون المصلحة والعدل والصدق في خلافها ويخبر بأشياء باجتهاده يحوز أن يكون الأمر فيها بخلاف ذلك ولا بد أن يغلط في بعض ما يخبر به من العلميات وما يأمرهم به من العمليات فإنه لا معصوم إلا الأنبياء ولهذا لم يجب الإيمان بكل ما يقوله بشر إلا أن يكون نبيا فإن الإيمان واجب بكل ما يأتي به النبي قال تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ وقال تعالى: ﴿ليس البر أن." (٢)

"ص -٥٠٧- ن يتبين كذبه ولهذا أعظم الفتن فتنة الدجال الكذاب لما اقترن بدعواه الإلهية بعض الخوارق كان معها ما يدل عل كذبه من وجوه منها دعواه الإلهية وهو أعور والله ليس بأعور مكتوب بين

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦/٣٣٤

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦/٣٣٨

عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ والله تعالى لا يراه أحد حتى يموت وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذه العلامات الثلاث في الأحاديث الصحيحة فأما تأييد الكذاب ونصره وإظهار دعوته دائما فهذا لم يقع قط فمن يستدل على ما يفعله الرب سبحانه بالعادة والسنة فهذا هو الواقع ومن يستدل على ذلك بالحكمة فحكمته تناقض أن يفعل ذلك إذ الحكيم لا يفعل هذا وقد قال تعالى: ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ فأخبر أن سنة الله التي لا تبديل لها نصر المؤمنين على الكافرين والإيمان المستلزم لذلك يتضمن طاعة الله ورسوله فإذا نقض الإيمان بالمعاصي كان الأمر بحسبه كما جرى يوم أحد وقال تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا﴾

فأخبر أن الكفار لا ينظرون إلا سنة الأولين ولا يوجد لسنة الله تبديل تستبدل بغيرها ولا تتحول فكيف النصر للكفار على المؤمنين الذين يستحقون هذا الاسم وكذلك قال في المنافقين وهم الكفار في **الباطن** دون **الظاهر** ومن فيه شعبة نفاق ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في." (١)

"ص -٥٤٦- فأخبر أنه لا بد أن يعرف المنافقين في لحن القول وأن معرفتهم بالسيما معلقة بالمشيئة والمنافق الكاذب يقول بلسانه ما ليس في قلبه فبين أنه في لحن قوله يعلم أنه كاذب وقال في حق المؤمنين ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ وقال في حق الكافر ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ أي له زنمة من الشر أي علامة يعرف بهاوقد روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه وقد بسطنا الكلام على هذه في مسألة الإيمان وبينا أن ما يقوم بالقلب من تصديق وحب الله ورسوله وتعظيم لا بد أن يظهر على الجوارح وكذلك بالعكس ولهذا يستدل بانتفاء اللازم **الظاهر** على انتفاء الملزوم **الباطن**

كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إلا أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا." (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦٢/٧

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١١٢/٧

" وصفة لا صفة له وفعله لا علة له وكونه لا أمد له تنزه عن أحول خلقه ليس له من خلقه مزاج ولا في فعله علاج باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم

إن قلت متى فقد سبق الوقت ذاته وإن قلت هو فالهاء والواو خلفه وإن قلت أين فقد تقدم المكان وجوده

فالحروف آياته ووجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه من خلقه

ما تصور في الأوهام فهو بخلافه كيف يحل به ما منه بدأ أو يعود إليه ما هو أنشأ لا تماثله العيون ولا تقابله الظنون قربه كرامته وبعده إهانته علوه من غير توقل ومجيئه من غير تنقل

هو الأول والآخر والظاهر والباطن والقريب البعيد ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ." (١)

" وأما قوله لا يظله فوق ولا يقله تحت ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند ولا يأخذه خلف ولا يحده أمام ولم يظهره قبل ولم يفنه بعد ولم يجمعه كل ولم يوجده كان ولم يفقده ليس فهذا الكلام أكثره مجمل وفيه ما هو حق وفيه ما هو باطل

فقوله لا يظله فوق حق إذ ظاهره أن الله ليس فوقه شئ وكذلك قال النبي ص في الحديث الصحيح أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ

واما قوله لا يقله تحت فإن اراد به أن الله ليس فوق الخلق فهذا ليس بحق والنبي ص لما قال أنت الظاهر فليس فوقك شئ لم يقل لست فوق شئ بل قال انت الباطن فليس دونك شئ ولم يقل ليس لك دون ولا قال لست موصوفا ." (٢)

" وقال تعالى واسجد واقترب سورة العلق ١٩

وأما قوله علوه من غير توقل ومجيئه من غير تنقل فكلام مجمل هو إلى البدعة أقرب فإنه قد يظهر منه أنه ليس هو فوق خلقه ويفهم منه نفى ما دل عليه الكتاب والسنة من وصفه بالإستواء المجئ والإتيان وغيرذلك وهذه المسألة والتي قبلها كبيرتان ذكرناهما في غير هذا الموضع مثل جواب الإعتراضات المصرية وغير ذلك

---

(١) الاستقامة، ١١٨/١

(٢) الاستقامة، ١٢٩/١

وقوله هو الأول والآخر والظاهر والباطن والقريب والبعيد ليس في أسماء الله البعيد ولا وصفه بذلك أحد من سلف الأمة وأمتها بل هو موصفوف بالقرب دون البعد

وفي الحديث المشهور في التفسير أن المسلمين قالوا يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله وإذا سألك عبادي عني فإني قريب سورة البقرة ١٨٦ وهذا يقتضي وصفه ." (١)

" بالقرب دون البعد

وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي ص أنه قال لأصحابه لما جعلوا يرفعون أصواتهم بالتكبير أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا قريبا إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته

وإنما الواجب أن يوصف بالعلو والظهور كما قال النبي ص في الحديث الصحيح أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء

وقال تعالى وهو العلي العظيم سورة البقرة ٢٥٥ فلو قال هو العلي القريب كان حسنا صوابا وكذلك لو قال قريب في علوه علي في دنوه

فأما وصفه بأن القريب البعيد فلا أصل له بل هو وصف بأسم حسن وبضده كما لو قيل العلى السافل او الجواد البخيل او الرحيم القاسي ونحو ذلك والله تعالى له الأسماء الحسنى وإنما يؤتي ." (٢)

" مثل هؤلاء من القياس الفاسد لما سمعوه يخبر عن نفسه بأن الأول الآخر الظاهر الباطن قاسوا على ذلك القريب والبعيد وهذا خطأ لأن تلك الأسماء كلها حسنة دالة على كمال إحاطته مكانا وزمانا وأما هذا فهو جمع بين الإسم الحسن وضده

الوجه الرابع إنه قدم كلام الشبلى في الاعتقاد قبل كلام جميع المشايخ الذين هم اجل منه وأعظم مع أن هذه المسألة لا تستحق التقديم وإنما مرتبته فيما بعد كما ذكرها هناك وكان الواجب ان يؤخر ذلك إلى موضعه فإنه ذكر بعد ذلك أول الواجبات وهذا هو الذي يستحق التقديم ومثل هذا يقتضي كون المصنف فيه نوع من الهوى ومن أعظم الواجبات على أهل هذا الطريق خلوهم من الهوى فإن مبناه على قوله وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى سورة النازعات ٤٠

---

(١) الاستقامة، ١/١٣٩

(٢) الاستقامة، ١/١٤٠

ثم قال أبو القاسم رحمه الله سمعت أبا حاتم يقول سمعت ابا نصر السراج رحمه الله يقول سئل رويم عن أول ." (١)

" طائفة من المرجئة وغيرهم وأوجبه كثير من أهل السنة ومن وجوهه وجهان حسنان

أحدهما أن الإيمان الذي أوجبه الله على العبد من الامور **الباطنة** او **الظاهرة** لا يتيقن أنه أتى بها على الوجه الذي أمر به كاملا بل قد يكون أخل ببعضه فيستثنى لذلك

والوجه الثاني ان المؤمن المطلق من علم الله أنه يوافي بالإيمان فأما الإيمان الذي تتعقبه الردة فهو باطل كالصوم والصلاة الذي يبطل قبل فراغه فلا يعلم العبد أنه مؤمن حتى يقضي جميع إيمانه وذلك إنما يكون بالموت

وهذا معنى ما يروى عن ابن مسعود أنه قيل له إن فلانا يقول إنه مؤمن قال فقولوا له اهو في الجنة فقال الله أعلم قال فهلا وكلت الاولى كما وكلت الثانية

وهذا الوجه تختاره طائفة من متكلمي أهل الحديث المائلين إلى الإرجاء كالأشعري وغيره ممن يقول بالاستثناء ولا يدخل الاعمال في مسمى الايمان فيجعل الاستثناء يعود إلا إلى النوايا فقط وهو الذي ذكره أبو القاسم وفسر به كلام أبي بكر الواسطي وكلام الواسطي يحتمل الوجهين جميعا فإن الإشراف والاطلاع قد يكون على الحقيقة التي هي عند الله في هذا الوقت وقد يكون على ما يوافي به العبد وأما كلام أبي العباس فظاهر في أنه راعى الخاتمة ." (٢)

" ولهذا كان مرة في سماع يحضره الشيخ شبيب الشطي فبينما هم في سماع أحدهم وإذا بعفريت يرقص في الهواء على رؤوسهم فتعجبوا منه وطلب الشيخ لمريده الشيخ أبا بكر بن فينان وكان له حال ومعرفة فلما رآه صرخ فيه فوقع فما فرغوا طلب منه ان ينصفه وقال هذا سلبني حالي فقال الشيخ لم يكن له حال ولكن كان بالرحبة فحمله شيطانه إلى هنا وجعل يرقص به فلما رأيت الشيطان صرخت فيه فهرب فوقع هذا والقصة معروفة يعرفها أصحاب الشيخ

وصار في أهل هذا السماع المحدث الذين اتخذوا دينهم لغوا ولعبا ضد ما أحبه الله وشرعه في دين الحق الذي بعث به رسوله من عامة الوجوه بل صار مشتملا على جميع ما حرمه الله ورسله

---

(١) الاستقامة، ١/١٤١

(٢) الاستقامة، ١/١٥٠

كما قال تعالى قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون سورة الأعراف ٣٣ فصار فيه من الفواحش **الظاهرة والباطنة** والإثم والبغي بغير الحق والإشراك بالله ما لم ينزل به سلطانا والقول على الله بغير علم ما لا يحصيه إلا الله فإنه تنوع وتعدد وتفرق أهله فيه وصاروا شيعا لكل قوم ذوق ومشروب وطريق ." (١)

" وقد يرد أنه ليس كل ثوب جميل وكل نعل جميل فإن الله يحبه فإن الله يبغض لباس الحرير ويبغض الإسراف والخيلاء في اللباس وإن كان فيه جمال فإذا كان هذا في لبس الثياب الذي هو سبب هذا القول فكيف في غيره

وتفسير هذا قوله ص إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم

فعلم أن مجرد الجمال **الظاهر** في الصور والثياب لا ينظر الله إليه وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال فإن كان **الظاهر** مزينا مجملا بحال **الباطن** أحبه الله وإن كان مقبحا مدنسا بقبح **الباطن** أبغضه الله فإنه سبحانه يحب الحسن الجميل ويبغض السيئ الفاحش

وأهل جمال الصورة يبتلون بالفاحشة كثيرا واسمها ضد الجمال فإن الله سماه فاحشة وسوءا وفسادا وخبيثا فقال تعالى ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا سورة الإسراء ٣٢

وقال ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن سورة الأنعام ١٥١

وقال أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين سورة الأعراف ٨٠ ." (٢)

" وقال ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فهذا تخصيص لغيرته من الفواحش وكذلك في حديث عائشة لا احد اغير من الله ان يزني عبده او تزني امته فهذه الغيرة من الفواحش

وكذلك عامة ما يطلق من الغيرة انما هو من جنس الفواحش وبين النبي صلى الله عليه و سلم انه اغير من غيره من المؤمنين وان المؤمن يغار والله يحب الغيرة وذلك في الريبة ومن لا يغار فهو ديوث وقد جاء في الحديث لا يدخل الجنة ديوث

فالغيرة المحبوبة هي ما وافقت غيرة الله تعالى وهذه الغيرة هي ان تنتهك محارم الله وهي ان تؤتى الفواحش **الباطنة والظاهرة** لكن غيرة العبد الخاصة هي من ان يشركه الغير في اهله فغيرته من فاحشة اهله ليست كغيرته من زنا الغير لأن هذا يتعلق به وذاك لا يتعلق به الا من جهة بغضه لمبغضة الله

---

(١) الاستقامة، ٣١٠/١

(٢) الاستقامة، ٣٥٧/١

ولهذا كانت الغيرة الواجبة عليه هي في غيرته على اهله واعظم ذلك امرأته ثم اقاربه ومن هو تحت طاعته ولهذا كان له اذا زنت ان يلاعنها لما عليه في ذلك من الضرر بخلاف ما اذا زنا غير امرأته ولهذا ." (١)

" فالحاصل انه تجب الموازنة بين الحسنات والسيئات التي تجتمع في هذا الباب وامثاله وجودا وعدما كما قررت مثل ذلك في قاعدة تعارض السيئات والحسنات فان السكر والصحو قد يكونان من هذا الباب وهكذا الكسر والصحو في الأذواق الايمانية والمواجيد العرفانية

فمن السالكين من اذا حصل له سكر حصل له فيه منفعة وايمان وان كان فيه من النقص وعدم التمييز مما يحتاج معه الى العقل ما فيه فيكون خيرا من صحو ليس فيه الا الغفلة عن ذكر الله وقسوة القلوب والكفر والفسوق والخيلاء ونحو ذلك من ترك الحسنات وفعل السيئات

واما الصحو المشتمل على العلم والايمان وتذوق صاحبه طعم الايمان ووجد حلاوته فهو خير من السكر بلا شك فعليك بالموازنة في هذه الاحوال والاعمال **الباطنة** **والظاهرة** حتى يظهر لك التماثل والتفاضل وتناسب احوال اهل الاحوال **الباطنة** لذوي الاعمال **الظاهرة** لا يسما في هذه الازمان المتأخرة التي غلب فيها خلط الاعمال الصالحة بالسيئة في جميع الاصناف لنرجح عند الازدحام والتمانع خير الخيرين وندفع عند الاجتماع شر الشرين ." (٢)

" ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون سورة التوبة ٣١

ولهذا كثر هذا في طوائف الزهاد والعباد من هذه الامة من المبتدعة الخارجين عن الشريعة ورسالة محمد صلى الله عليه و سلم من هذا الوجه وان كانوا من وجه اخر داخلين فيها

فهذا شأن الطرائق المبتدعة كلها يجتمع فيها الحق والباطل ومن المعلوم ان هذا الذي يفعلونه من الفواحش **الظاهرة** او **الباطنة**

وقد قال تعالى قال انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون سورة الاعراف ٣٣

وقال تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه سورة الانعام ١٢٠

---

(١) الاستقامة، ٢/٧

(٢) الاستقامة، ٢/١٦٧

وقد قال في الصحيحين عن ابن عباس ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال العينان تزنيان وزناهما النظر الاذنان تزنيان وزناهما السمع واللسان يزني وزناه النطق والقلب يتمنى ذلك ويشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه ." (١)

" واذ كان كذلك فمعلوم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واتمامه بالجهاد هو من اعظم المعروف الذي امرنا به ومن النهي عن المنكر اقامة الحدود على من خرج من شريعة الله ويجب على اولى الامر وهم علماء كل طائفة وامراؤها ومشايخها ان يقوموا على عامتهم ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر فيأمرونهم بما امر الله به ورسوله مثل شرائع الاسلام وهي الصلوات الخمس في مواقيتها وكذلك الصدقات المشروعة والصوم المشروع وحج البيت الحرام ومثل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والايمان بالقدر خيره وشره ومثل الاحسان وهو ان تبعد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك

ومثل ما امر الله به ورسوله من الامور الباطنة والظاهرة ومثل اخلاص الدين لله والتوكل على الله وان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما والرجاء لرحمة الله والخشية من عذابه والصبر لحكم الله والتسليم لأمر الله

ومثل صدق الحديث والوفاء بالعهود واداء الامانات الى اهلها وبر الوالدين وصلة الارحام والتعاون على البر والتقوى والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والصاحب والزوجة ." (٢)

" فالوجه يتناول المتوجه بكسر الجيم والمتوجه بفتح الجيم اليه ويتناول التوجه نفسه كما يقال أي وجه تريد أي أي جهة وناحية تقصد وذلك انهما متلازمان فحيث توجه الانسان توجه وجهه ووجهه مستلزم لتوجهه وهذا في باطنه وظاهره جميعا فهي اربعة امور والباطن هو الاصل والظاهر هو الكمال والشعار فاذا توجه قلبه الى شيء تبعه وجهه الظاهر فإذا كان العبد قصده ومراده وتوجهه الى الله فهذا صلاح ارادته وقصده فإذا كان مع ذلك محسنا فقد اجتمع له ." (٣)

"ص -٩٢- بدين الإسلام، وبما حدث فيه، وليس الغرض هنا تفصيل الأمور التي وقعت في الأمة، مما تضارع طريق المغضوب عليهم أو الضالين، وإن كان بعض ذلك قد يقع مغفورا لصاحبه: إما لاجتهاد أخطأ فيه، أو لحسنات محت السيئات، أو غير ذلك. وإنما الغرض أن نبين ضرورة العبد وفاقته إلى هداية

---

(١) الاستقامة، ١٧٨/٢
(٢) الاستقامة، ٢٠٩/٢
(٣) الاستقامة، ٣٠٧/٢

الصراط المستقيم، وأن ينفتح باب إلى معرفة الإنحراف.

الصراط المستقيم: أمور باطنة، وأمور ظاهرة، وبينهما مناسبة

ثم إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب: من اعتقادات، وإرادات، وغير ذلك، وأمور ظاهرة: من أقوال، أو أفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضا عادات في الطعام واللباس، والنكاح والمسكن، والإجتماع والإفتراق، والسفر والإقامة، والركوب وغير ذلك.

وهذه الأمور **الباطنة** **والظاهرة** بينهما إرتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أمورا ظاهرة، وما يقوم **بالظاهر** من سائر الأعمال، يوجب للقلب شعورا وأحوالا.

الأمر بمخالفة المغضوب عليهم والضالين في الهدي **الظاهر** لأمور منها: إن المشاركة في **الظاهر** تورث تناسبا بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال

وقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم، والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهدي **الظاهر**، وإن." (١)

"ص -٤١٦- قوله: ﴿إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم﴾. فلما ذكر المنافقين الذين استأذنوه في التخلف عن الجهاد، في غزوة تبوك وذمهم، وهؤلاء كانوا من أهل المدينة، قال سبحانه:

﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله﴾. فإن الخير كله - أصله وفصله - منحصر في العلم والإيمان كما قال سبحانه: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾. وقال تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والأيمان﴾.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢٠/٣

وضد الإيمان: إما الكفر **الظاهر**، أو النفاق **الباطن**، ونقيض العلم: عدمه، فقال سبحانه عن الأعراب: أنهم أشد كفرا ونفاقا من أهل المدينة." (١)

"ص -٥٤٨- وكذلك: الآدمي إذا عاشر نوعا من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه، ولهذا صار الخيلاء والفخر في أهل الإبل، وصارت السكينة في أهل الغنم، وصار الجمالون، والبغالون فيهم أخلاق مذمومة، من أخلاق الجمال والبغال، وكذلك الكلابون، وصار الحيوان الإنسي، فيه بعض أخلاق الناس من المعاشرة والمؤلفة وقلة النفرة.

فالمشابهة والمشاكلة في الأمور **الظاهرة**، توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور **الباطنة** على وجه المسارقة والتدريج الخفي.

وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين، هم أقل كفرا من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى، هم أقل إيمانا من غيرهم ممن جرد الإسلام، والمشاركة في الهدي **الظاهر** توجب أيضا مناسبة وإئتلافا، وإن بعد المكان والزمان فهذا أيضا أمر محسوس، فمشابهتهم في أعيادهم – ولو بالقليل – هو سبب لنوع ما من إكتساب أخلاقهم التي هي ملعونة، وما كان مظنة لفساد خفي غير منضبط، علق الحكم به، وأدير التحريم عليه، فنقول: مشابهتهم في **الظاهر** سبب ومظنة لمشابهتهم في عين الأخلاق والأفعال المذمومة، بل في نفس الإعتقادات وتأثير ذلك لا يظهر ولا ينضبط، ونفس الفساد الحاصل من المشابهة قد لا يظهر ولا ينضبط، وقد يتعسر أو يتعذر زواله بعد حصوله، لو تفطن له، وكل ما كان سببا إلى مثل هذا الفساد فإن الشارع يحرمه، كما دلت عليه الأصول المقررة.." (٢)

"ص -٥٤٩- الثامن: أن المشابهة تورث نوع مودة ومحبة وموالاة بين المتشابهين

الوجه الثامن:

أن المشابهة في **الظاهر** تورث نوع مودة ومحبة، وموالاة في **الباطن**، كما أن المحبة في **الباطن** تورث المشابهة في **الظاهر** وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة، حتى أن الرجلين إذا كانا من بلد واحد، ثم اجتمعا في دار غربة، كان بينهما من المودة، والإئتلاف أمر عظيم، وإن كانا في مصرهما لم يكونا متعارفين، أو كانا متهاجرين، وذاك لأن الاشتراك في البلد نوع وصف اختصا به عن بلد الغربة، بل لو اجتمع رجلان في سفر، أو بلد غريب، وكانت بينهما مشابهة في العمامة أو الثياب، أو الشعر، أو المركوب ونحو ذلك – لكان

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٨/٨

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٧٤/١١

بينهما من الإئتلاف أكثر مما بين غيرهما، وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية يألف بعضهم بعضا، ما لا يألفون غيرهم، حتى أن ذلك يكون مع المعاداة والمحاربة: إما على الملك، وإما على الدين، وتجد الملوك ونحوهم من الرؤساء، وإن تباعدت ديارهم وممالكهم بينهم مناسبة تورث مشابهة ورعاية من بعضهم لبعض، وهذا كله موجب الطباع ومقتضاه، إلا أن يمنع من ذلك دين أو غرض خاص.." (١)

"[ومنهم من أدخل على الدين] من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، فملاحدة الإسماعيلية (١) ، والنصيرية (٢) ، وغيرهم من [الباطنية

(١) انقسمت الشيعة الإمامية بعد وفاة جعفر الصادق حوالي سنة ١٤٧ هـ إلى عدة فرق أهمها الموسوية والإسماعيلية، قالت الأولى منهما بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق وهم الموسوية، وقالت الثانية منهما بإمامة إسماعيل بن جعفر وهم الإسماعيلية. وانقسمت الإسماعيلية بدورها إلى فرقتين، قالت الأولى منهما: إن إسماعيل لم يمت بل أظهر الموت تقية (والقرامطة عند الأشعري من هؤلاء) ، وقالت الفرقة الثانية: بل مات والإمام بعده محمد بن إسماعيل وهؤلاء هم المباركية. ثم انقسموا بعد ذلك إلى من وقف على محمد بن إسماعيل وقال برجعته بعد غيبته، وإلى من ساق الإمامة في " المستورين " منهم ثم في " الظاهرين القائمين " وهؤلاء هم الإسماعيلية الباطنية. انظر المقالات ١/٩٨ - ٩٩، ١٠٠ - ١٠١؛ الملل والنحل ١/١٤٩، ١٧٠ - ١٧٨. وانظر أيضا كتاب الدكتور محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، القاهرة، ١٩٥٩؛ هيوار: مقالة عن الإسماعيلية، دائرة المعارف الإسلامية؛ جولد تسيهر: العقيدة والشريعة، ص ٢١٢ - ٢٢٠ (الطبعة الأولى) ؛ محمد بن الحسن الديلمي: كتاب قواعد عقائد آل محمد الباطنية، شتروتمان: مقالة السبعية، دائرة المعارف الإسلامية. Donaldson shi، ite religion pp. ١٥٣، ٣٥٧ - ٣٥٨، ١٩٩٣ London. luzac.

(٢) النصيرية فرقة من غلاة الشيعة قالوا بظهور " الحق " بصورة علي والأئمة ولذلك أطلقوا عليهم اسم الإلهية. يقول الشهرستاني (الملل والنحل ١/١٦٨ - ١٦٩) على لسانهم " وإنما أثبتنا هذا الاختصاص لعلي - رضي الله عنه - دون غيره، لأنه كان مخصوصا بتأييد إلهي من عند الله تعالى فيما يتعلق بباطن الأسرار. قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر ". ويذكر جولد تسيهر (العقيدة والشريعة، ص [٠ - ٩] ٨٤ - ١٨٥) أن النصيرية جعلوا محمدا في منزلة أقل شأنا من علي

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ١١/٧٥

وزعموا أنه كان حجابا له، وفي موضع آخر (ص ٢٢٠ - ٢٢١) يقول جولدتسيهر إن النصيرية يسكنون الإقليم الواقع بين طرابلس وأنطاكية وأن مذهبهم الأصلي هو اثنا عشري ولكن غلبت عليه الأفكار والعقائد الوثنية القائلة بتأليه علي والأئمة. أما Donaldson فيذهب في كتابه سالف الذكر (ص ١٥٣) إلى أن النصيرية يمكن - إلى حد ما - إرجاع أصلهم إلى السبعية. ولابن تيمية رسالة في الرد على النصيرية ضمن مجموع رسائل (المطبعة الحسينية، القاهرة، ١٣٢٣) ، ص ٩٤ - ١٠٢، وانظر ما سيرد عنهم في كتابنا هذا، ١/٢٤٠ بولاق.." [1]

"سواه مخلوقا محدثا كائنا (١) بعد أن لم يكن، ليس من الممكنات قديم بقدم الله تعالى مساويا له، بل هذا ممتنع بصرائح العقول مخالف لما أخبرت به الرسل عن الله، كما قد بسط في موضعه.

وأرسطو وأصحابه يقولون: إن المكان هو السطح **الباطن** من الجسم الحاوي الملاقي للسطح **الظاهر** من الجسم المحوي، وهو عرض عند هؤلاء.

وقوله: " إنه بديهي الأينية (٢) خفي الحقيقة " أي عند هؤلاء، وأما علماء المسلمين فليس عندهم - ولله الحمد - من ذلك ما هو خفي، بل لفظ " المكان " قد يراد به ما يكون الشيء فوقه محتاجا إليه، كما يكون الإنسان فوق السطح، ويراد به ما يكون الشيء فوقه من غير احتياج إليه، مثل كون السماء فوق الجو، وكون الملائكة فوق الأرض والهواء، وكون الطير فوق الأرض.

ومن هذا قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

تعالى علوا فوق عرش إلهنا ... وكان مكان الله أعلى وأعظما (٣) مع علم حسان وغيره من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن الله غني عن كل ما سواه، وما سواه من عرش وغيره محتاج إليه، وهو لا يحتاج إلى شيء، وقد أثبت له مكانا.

والسلف والصحابة، بل النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يسمع مثل

---

(١) في الأصل: أن يكون كل ما سواه مخلوق محدث كائن.

(٢) في الأصل: الأبنية، وسبق تصويب الكلمة عن " تلخيص المحصل ".

(٣) لم أجد البيت في ديوان حسان المطبوع.." [2]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/١٠

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٥٦/٢

"فمن حكى عن مثل أرسطو أو جالينوس أو غيرهما قولا في الطبيعيات (١) ظاهر البطلان، علم أنه غلط في النقل عليه، وإن لم يكن تعمد الكذب عليه.

بل محمد بن زكريا الرازي مع إلحاده في الإلهيات والنبوات، ونصرته لقول ديمقراطيس والحرنانيين (٢) القائلين بالقدماء الخمسة - مع أنه من أضعف أقوال العالم وفيه من التناقض والفساد ما هو مذكور في موضع آخر، كشرح الأصبهانية والكلام على معجزات الأنبياء والرد على من قال: إنها قوى نفسانية المسماة بالصفدية وغير ذلك - فالرجل من أعلم الناس بالطب (٣) حتى قيل له: جالينوس الإسلام، فمن ذكر عنه في الطب قولا يظهر فساده لمبتدئ الأطباء، كان غالطا عليه.

---

(١) في الأصل: في الطبيعات.

(٢) في الأصل: حرنانين.

(٣) في هامش (ع) لخص مستجي زاده كلام ابن تيمية عن محمد بن زكريا الرازي حتى هذا الموضع، ثم كتب التعليق التالي: " قلت: وقد اطلعت على تألیف لابن الخطيب المشتهر بالإمام الرازي يقال له " المطالب العالية " أنه ذكر فيه أنه ليس في القرآن دليل يدل بصريحه على حدوث العالم، ثم أخذ يعدد من القرآن ما هو مظنة ذلك - أعني حدوث العالم - فركب على كل صعب وذلول على نفي الدلالة في تلك المظان، ثم قال: ليس في التوراة أيضا دليل يدل بصريحه على ذلك فذهب في ذلك كله على قول ديمقراطيس من إثبات الأجزاء القديمة وهي أجزاء العالم، فالعالم قديم بذواتها وحادث بصفاتها. ولا شك أن القول بقدم أجزاء العالم مخالف للضروريات الدينية لم يذهب إليه أحد من أهل الإسلام، من الفرق الثلاث والسبعين وإنما ذهب (إليه) طوائف ثلاث: الباطنية، ومن ينتمي إلى الإسلام من الفلاسفة المشائين، ومن ينتمي إلى الإسلام من ديمقراطيسية - وهم ليسوا من أهل القبلة. وقد كتبت في هذا الباب رسالة بينت فيها فساد قول ابن الخطيب وأنه مخالف لفرق أهل الإسلام. وقد كان المشهور بذلك ممن ينتمي إلى الإسلام زكريا الرازي، ثم اطلعت على أن ابن الخطيب أيضا ذهب إلى ذلك، حتى ادعى أن من نفى ذلك - أعني حدوث العالم - أو تردد وتذبذب فيه فهو معذور. ولعل الشارح ابن تيمية - قدس سره - لم يطلع (على) هذا القول من ابن الخطيب إذ الظاهر أنه لو اطلع لم يقصر (في الأصل: يقتصر) نصرة مذهب ديمقراطيس على محمد بن زكرياء الرازي، بل ذكر معه أيضا ابن الخطيب الذي اشتهر عند الناس بالإمام فخر الدين الرازي، وألف تفسيرا يقال له " التفسير الكبير " وفيه غير واحد من المواضع يخاف من الكفر،

لكن قومه أهالي الري شديدو الاعتقاد فيه (لكن. . إلخ غير واضحة بالأصل) فحملوا كلامه في جميع المواضع كأن جبرئيل أوحى إليه لعظمة الرجل عندهم، مع أن الرجل بعيد عن صناعة الحديث وأصوله وقواعده، مع أن التفسير لا يصح إلا بالحديث، لا بالفلسفة. وقد غلب عليه الفلسفة والفلسفيات، فأراد تطبيق القرآن على قواعد الفلسفة، مع أن القرآن وعامة الكتب المنزلة من السماء لإبطال أصول الفلسفة – سيما فلسفة اليونانيين (الذين) يقال لهم المشاءون (فقولهم) مبني على إبطال حدوث العالم وإثبات قدمه، وقد خالف أكثر المتقدمين منهم في ذلك، إذ أصول غالبهم لا تأبى عن حدوث العالم "..[1]

"ذلك حكايات متعددة يطول وصفها، وأما القول بالإباحة وحل المحرمات – أو بعضها – للكاملين في العلم والعبادة فهذا أكثر من الأول، فإن هذا قول أئمة **الباطنية** القرامطة الإسماعيلية وغير الإسماعيلية وكثير من الفلاسفة، ولهذا يضرب بهم المثل فيقال: فلان يستحل دمي كاستحلال الفلاسفة محظورات الشرائع. وقول كثير ممن ينتسب إلى التصوف والكلام، وكذلك من يفضل نفسه أو متبوعه على الأنبياء، موجود كثير في **الباطنية** والفلاسفة وغلاة المتصوفة وغيرهم، وبسط الكلام على هذا له موضع آخر] (١)
.

ففي الجملة هذه مقالات منكرة باتفاق علماء السنة والجماعة وهي وأشنع منها – موجودة (٢) في الشيعة.
وكثير من النساك يظنون (٣) أنهم يرون الله في الدنيا بأعينهم، وسبب ذلك أنه (٤) يحصل لأحدهم في قلبه بسبب ذكر الله تعالى وعبادته من الأنوار (٥) ما يغيب [به] (٦) عن حسه **الظاهر**، حتى يظن أن ذلك [هو] شيء (٧) يراه بعينه **الظاهرة**، وإنما هو موجود في قلبه.
ومن هؤلاء من تخاطبه تلك الصورة (٨) التي يراها خطاب الربوبية

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ع) فقط.
(٢) ب، أ: موجود.
(٣) ب: يزعمون ويظنون ؛ أ: يزعمون يظنون.
(٤) ب، أ: أن.
(٥) ن، م: من الأمور.
(٦) به: ساقطة من (ن) ، (م) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٥٧٢

(٧) ب، أ: أن ذلك في شيء. وسقطت " هو " من (ن) ، (م) .

(٨) ع: تلك الصور.." [1]

"والرافضة تدعو (١) إلى إمام معصوم، وليس عندهم في **الباطن** إلا إمام معدوم، وفي **الظاهر** إمام كفور أو ظلوم (٢) . فأئمة أهل السنة، ولو فرض ما فرض فيهم من الظلم والذنوب، خير من الأئمة **الظاهرين** الذين يعتقدهم الرافضة (٣) ، وخير من إمام معدوم لا حقيقة له. وأما الأئمة الباقون الذين كانوا موجودين فأولئك يأتم بهم أهل السنة كما يأتمون بأمثالهم، فهو وأمثالهم أئمة، ومن ائتم بهؤلاء مع أمثالهم (٤) من سائر المسلمين كان خيرا ممن ائتم بهم وحدهم، فإن العلم رواية ودراية، كلما كثر فيه العلماء واتفقوا على ذلك (٥) كان أقوى وأولى الاتباع، فليس عند الشيعة خير إلا وأهل السنة يشركونهم [فيه، والخير الذي اختص به أهل السنة] (٦) لا يشركهم فيه الشيعة.

الوجه العاشر (٧) : أن يقال: ما ذكره هذا الإمامي يمكن كل واحد من أهل السنة أن يعارضه بما هو أقوى منه، فإنه يقول عن مثل سعيد بن المسيب، وعلقمة، والأسود، والحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، ومحمد بن سيرين، ومطرف بن الشخير، ومكحول، والقاسم بن محمد، وعروة بن الزبير

---

(١) أ، ب، م: يدعون.

(٢) ن، م: إمام كفور وظلوم، هـ، ر، ص، و: إما كفور أو ظلوم.

(٣) ن: يعتقد بهم الرافضة، أب: تعتمدهم الرافضة، ر، هـ، ص، و: تعتضد بهم الرافضة.

(٤) أ، ب: بهؤلاء وأمثالهم، ن: بهؤلاء فيه مع أمثالهم.

(٥) ب (فقط) : واتفقوا عليه.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

(٧) ن، م، و: التاسع.." [2]

"وسبه وعداوته مع العلم بصدقه في **الباطن** كفر عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة العلم وسائر الطوائف، إلا الجهم ومن وافقه كالصالحي والأشعري وغيرهم ؛ فإنهم قالوا: هذا كفر في **الظاهر**، وأما في

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٦٢٤

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/١١٥

الباطن فلا يكون كفرا إلا إذا استلزم الجهل، بحيث (١) لا يبقى في القلب شيء من التصديق بالرب، وهذا بناء على أن الإيمان في القلب لا يتفاضل، ولا يكون في القلب بعض من الإيمان. وهو خلاف النصوص الصريحة، وخلاف الواقع، ولبسط هذا موضع آخر.

والمقصود هنا أن كل من تاب من أهل البدع تاب الله عليه، وإذا كان الذنب متعلقا بالله ورسوله فهو حق محض لله، فيجب أن يكون الإنسان في هذا الباب (٢) قاصدا لوجه الله، متبعا لرسوله، ليكون عمله خالصا صوابا.

قال تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين - بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [سورة البقرة: ١١١ - ١١٢] .

وقال تعالى: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ [سورة النساء: ١٢٥] قال المفسرون وأهل اللغة: معنى الآية: أخلص دينه وعمله (٣) لله وهو محسن في عمله.

---

(١) ن: حتى.

(٢) ح، ب: فيجب على الإنسان أن يكون في هذا الباب.

(٣) وعمله: ساقطة من ن، فقط.." [1]

"ولبنة من فضة، واللبنة الفضة هي ظاهره (١) وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو آخذ عن الله في السر ما هو في الصورة (٢) الظاهرة متبع فيه ؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فلا بد أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن، فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى [به] (٣) إلى الرسول ".

قال (٤) : فإن فهمت ما أشرنا إليه (٥) ، فقد حصل لك العلم النافع (٦) ".

قلت: وقد بسطنا الرد على هؤلاء في مواضع، وبينا كشف ما هم عليه من الضلال والخيال، والنفاق والزندقة.

وأما الذين يقولون بالاتحاد الخاص، فهؤلاء منهم من يصرح بذلك.

وأما من كان عنده علم بالنصوص [الظاهرة] (٧) ، ورأى أن هذا يناقض ما عليه المسلمون في الظاهر،

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٢٥٢

فإنه يجعل هذا مما يشار إليه ويرمز به، ولا يباح به. ثم إن كان معظما للرسول والقرآن [ظن أن الرسول
(٨) كان يقول بذلك، لكنه لم يبح به ؛ لأنه مما لا يمكن البشر أن يبوحوا به، وإن كان

---

(١) الفصوص: لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر، وهو موضع اللبنة الفضة، وهو ظاهره.

(٢) الفصوص: بالصورة.

(٣) به: ساقطة من (ن) .

(٤) في فصوص الحكم ٦٣/١ بعد الكلام السابق مباشرة.

(٥) الفصوص: ما أشرت به.

(٦) الفصوص: النافع بكل شيء.

(٧) الظاهرة: زيادة في (ب) فقط.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.." (١)

"وأما استكتابه مروان، فمروان لم يكن له في ذلك ذنب، لأنه كان صغيرا لم يجر عليه القلم، ومات النبي - صلى الله عليه وسلم - ومروان لم يبلغ [الحلم] (١) باتفاق أهل العلم، بل غايته أن يكون له عشر سنين أو قريب منها، وكان مسلما باطنا وظاهرا، يقرأ القرآن ويتفقه في الدين، ولم يكن قبل الفتنة معروفا بشيء يعاب به (٢) ، فلا ذنب لعثمان في استكتابه.

وأما الفتنة فأصابت من هو أفضل من مروان، ولم يكن مروان ممن يحاد الله ورسوله.

وأما أبوه الحكم فهو من الطلقاء، والطلقاء حسن إسلام أكثرهم، وبعضهم فيه نظر. ومجرد ذنب يعزر عليه لا يوجب أن يكون منافقا في الباطن.

والمنافقون تجري عليهم في الظاهر أحكام الإسلام، ولم يكن أحد من الطلقاء بعد الفتح يظهر المحادة لله ورسوله، بل يرث ويورث، ويصلى عليه، ويدفن في مقابر المسلمين، وتجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على غيره.

وقد عرف نفاق جماعة من الأوس والخزرج كعبد الله بن أبي [ابن سلول] (٣) وأمثاله، ومع هذا كان المؤمنون يتعصبون لهم أحيانا، كما تعصب سعد بن عبادة لابن أبي بين يدي رسول الله - صلى الله عليه

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٣٨/٥

(١) الحلم: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٢) ح، ب: فيه.

(٣) ابن سلول: ليست في (ن) ، (م) .." [(١)]

"وحجتهم هذه من جنس حجة إخوانهم الملاحدة والإسماعيلية، فإنهم يدعون إلى (١) الإمام المعلم المعصوم، ويقولون: إن (٢) طرق العلم من الأدلة السمعية والعقلية لا يعرف صحتها إلا بتعليم المعلم المعصوم.

وكأنهم أخذوا هذا الأصل الفاسد عن إخوانهم الرافضة، فلما ادعت الرافضة أنه لا بد من إمام معصوم في حفظ الشريعة وأقرت (٣) بالنبوة، ادعت الإسماعيلية ما هو أبلغ: فقالوا: لا بد في جميع العلوم السمعية والعقلية (٤) من المعصوم.

وإذا كان هؤلاء ملاحدة في **الباطن**، يقرون بالنبوات (٥) في **الظاهر** والشرائع، ويدعون (٦) أن لها تأويلات باطنة تخالف ما يعرفه (٧) الناس منها، ويقولون بسقوط العبادات (٨) وحل المحرمات للخواص الواصلين، فإن لهم طبقات في الدعوة، ليس هذا موضعها.

وإنما المقصود أن كلتا (٩) الطائفتين تدعي الحاجة إلى معصوم غير الرسول، لكن الاثني عشرية يجعلون المعصوم أحد الاثني عشر، وتجعل الحاجة إليه في حفظ الشريعة وتبليغها، وهؤلاء ملاحدة كفار.

---

(١) إلى: ساقطة من (ب) .

(٢) م: إنه وهو تحريف.

(٣) ن، ب: وأقرب، وهو تحريف.

(٤) ن، م: العقلية والسمعية.

(٥) ب: بالنبوة.

(٦) ب: في **الظاهر** والشرائع يدعون.

(٧) ب: ما يعرف.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦/٢٦٩

(٨) ب: العادات، وهو تحريف.

(٩) ن، م: كلا.." (١)

"فهذا الحديث لم يثبت، وليس له إسناد تقوم به الحجة (١) .

وقوله: " «أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل» " (٢) .

أقوى إسنادا منه. والعلم بالحلال والحرام ينتظم القضاء (٣) أعظم مما ينتظم للحلال والحرام، وهذا الثاني قد رواه الترمذي وأحمد، والأول لم يروه أحد في (٤) السنن المشهورة، ولا المسانيد المعروفة، لا بإسناد صحيح ولا ضعيف، وإنما يروى من طريق من (٥) هو معروف بالكذب.

وقول (٦) عمر: " علي أقضانا " إنما هو (في) (٧) فصل الخصومات في الظاهر، مع جواز أن يكون في الباطن بخلافه.

كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " «إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض،

---

(١) لم أجد هذا الحديث

(٢) الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه في: سنن الترمذي ٥/٣٣٠ (كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل) ونصه: " أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان بن عفان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي بن كعب، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح " قال الترمذي: " هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث قتادة إلا من هذا الوجه. . . إلخ ". وهو في: المسند (ط. الحلبي) ٣/١٨٤، ٢٨١ ؛ سنن ابن ماجه ١/٥٥ (المقدمة، باب فضائل خباب) . والحديث في المستدرك وابن حبان، وصححه السيوطي في " الجامع الصغير " والألباني في " صحيح الجامع الصغير " ١/٣٠٨، وتكلم عليه كلاما مفصلا في " سلسلة الأحاديث الصحيحة " ٣/٢٢٣ ٢٢٥ (رقم ١٢٢٤)

(٣) ب: للقضاء

(٤) س: لم يروه في. ؛ ب: لم يرد في. .

(٥) س، ب: ما

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦/٤٣٧

(٦) ن، م، س: وقال

(٧) في زيادة في (ب)." (١)

"فأقضي له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار» " (١) .

فقد أخبر سيد القضاة أن قضاءه لا يحل الحرام. وعلم الحلال والحرام يتناول **الظاهر** **والباطن**، فكان الأعلم به أعلم بالدين.

وأيضا فالقضاء نوعان: أحدهما: الحكم عند تجاحد الخصمين، مثل أن يدعي أحدهما أمرا ينكره الآخر فيحكم فيه بالبينة ونحوها.

والثاني: ما لا يتجاحدان فيه، بل يتصادقان لكن لا يعلمان ما يستحق كل منهما، كتنازعهما في قسمة فريضة، أو فيما يجب لكل من الزوجين على الآخر، أو فيما يستحقه كل من المتشاركين، ونحو ذلك.

فهذا الباب هو من باب الحلال والحرام، فإذا أفتاهما من يرضيان بقوله كفاهما، ولم يحتاجا إلى من يحكم بينهما، وإنما يحتاجان إلى الحاكم عند التجاحد، وذلك غالبا إنما يكون مع الفجور، وقد يكون مع النسيان.

فما لا يختص بالقضاء لا يحتاج إليه إلا قليل من الأبرار فأما الحلال والحرام، فيحتاج إليه البر والفاجر، ولهذا لما أمر أبو بكر عمر أن يقضي بين الناس مكث (٢) سنة لم يتحاكم إليه اثنان.

ولو عد مجموع ما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم من هذا النوع لم يبلغ عشر حكومات، فأين هذا من كلامه في الحلال والحرام الذي هو قوام دين الإسلام؟

---

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤١٢/٦

(٢) ن، س: فمكث." (٢)

"وأهل العلم بالنسب يعلمون أن نسبهم باطل، وأن جدهم (١) يهودي في **الباطن** وفي **الظاهر**، وجدهم ديصاني من المجوس، تزوج امرأة هذا اليهودي، وكان ابنه ربيبا لمجوسي ؛ فانتسب إلى زوج أمه المجوسي، وكانوا ينتسبون إلى باهلة، على أنهم من مواليهم، وادعى هو أنه من ذرية محمد بن إسماعيل بن

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥١٣/٧

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥١٤/٧

جعفر، وإليه انتسب الإسماعيلية، وادعوا أن الحق معهم دون الاثني عشرية ؛ فإن الاثني عشرية يدعون إمامة موسى بن جعفر، وهؤلاء يدعون إمامة إسماعيل بن جعفر.

وأئمة هؤلاء في **الباطن** ملاحدة زنادقة، شر من الغالية، ليسوا من جنس الاثني عشرية، لكن إنما طرقهم على (٢) هذه المذاهب الفاسدة ونسبتها إلى علي ما فعلته الاثنا عشرية وأمثالهم، كذب أولئك عليه نوعا من الكذب (٣) ، ففرعه هؤلاء، وزادوا عليه، حتى نسبوا الإلحاد إليه، كما نسب هؤلاء إليه مذهب الجهمية والقدرية وغير ذلك.

ولما كان هؤلاء الملاحدة، من الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم، ينتسبون (٤) إلى علي، وهم طرقية وعشرية وغرباء، وأمثال هؤلاء صاروا يضيفون إلى علي ما برأه الله منه، حتى صار اللصوص من العشرية يزعمون أن معهم كتابا من علي، بالإذن لهم في سرقة أموال الناس، كما ادعت اليهود الخيابرة أن معهم كتابا من علي بإسقاط الجزية عنهم،

---

(١) ب: حدهم.

(٢) م: إلى.

(٣) س، ب: وأمثالهم عليه نوع من الكذب.

(٤) م، س، ب: ينسبون.." (١)

"قيل: قد ذكرنا فيما تقدم أن المهاجرين لم يكن فيهم منافق وينبغي أن يعرف أن المنافقين كانوا قليلين بالنسبة إلى المؤمنين، وأكثرهم انكشف حاله لما نزل فيهم القرآن وغير ذلك، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف كلا منهم بعينه فالذين باشروا ذلك كانوا يعرفونه.

والعلم بكون الرجل مؤمنا في **الباطن**، أو يهوديا، أو نصرانيا، أو مشركا أمر لا يخفى مع طول المباشرة فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه.

وقال تعالى: ﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم﴾ [سورة محمد: ٣٠] ، وقال: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ [سورة محمد: ٣٠] ، فالمضمر للكفر لا بد أن يعرف في لحن القول، وأما بالسيما فقد يعرف وقد لا يعرف.

وقد قال تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٢/٨

علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾ [سورة الممتحنة: ١٠] .

والصحابة المذكورون في الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم والذين يعظمهم المسلمون على الدين، كلهم كانوا مؤمنين به، ولم يعظم المسلمون - ولله الحمد - على الدين منافقا.

والإيمان يعلم من الرجل كما يعلم سائر أحوال قلبه من موالاته ومعاداته وفرحه وغضبه وجوعه وعطشه وغير ذلك، فإن هذه الأمور لها لوازم ظاهرة. والأمور **الظاهرة** تستلزم أمورا باطنة وهذا أمر يعرفه." [(١)]

"وسأصف من بعد من عظيم سبهم لجميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وتجريدهم القول بالاتحاد، (١) وأنه نهاية دعوتهم ما يعلم به كل قار له عظيم (٢) كفرهم وعنادهم للدين.

قلت: وهذا بين، فإن الملاحدة من **الباطنية** الإسماعيلية وغيرهم والغلاة النصيرية وغير النصيرية إنما يظهرون التشيع، وهم في **الباطن** أكفر من اليهود والنصارى، فدل ذلك على أن التشيع دهليز الكفر والنفاق.

والصديق رضي الله عنه هو الإمام في قتال المرتدين، وهؤلاء مرتدون، فالصديق وحزبه هم أعداؤه.

والمقصود هنا أن الصحبة المذكورة في قوله: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ [سورة التوبة: ٤٠] صحبة موالاة للمصحوب (٣) ومتابعة له (٤) لا صحبة نفاق (٥) كصحبة المسافر للمسافر، وهي من الصحبة التي يقصدها الصاحب لمحبة المصحوب كما هو (٦) معلوم عند جماهير الخلائق علما ضروريا بما تواتر عندهم من الأمور الكثيرة أن أبا بكر كان في الغاية من محبة النبي صلى الله عليه وسلم وموالاته والإيمان به أعظم مما يعلمون أن عليا كان مسلما، وأنه كان ابن عمه.

وقوله: " ﴿إن الله معنا﴾ " لم يكن لمجرد الصحبة **الظاهرة** التي ليس فيها

---

(١) م: وتحريفهم القول بالإلحاد.

(٢) س: كل من قارله عظيم. .، ب: كل من قارن عظيم. .

(٣) م: موالاة المصحوب

(٤) س، ب: ومبايعة له.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٤٧٤

(٥) ن، م: إنفاق

(٦) ن، م، س: كما هذا." [١]

"وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ [البقرة: ٢١٣] ،

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا قام من الليل - ما رواه مسلم في صحيحه -: " اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم ".

فصل

وتمام الكلام في هذا الباب: أنك تعلم أنا لا نعلم ما غاب عنا إلا بمعرفة ما شهدناه، فنحن نعرف أشياء بحسنا **الظاهر** أو **الباطن**، وتلك معرفة معينة مخصوصة، ثم إنا بعقولنا نعتبر الغائب بالشاهد، فيبقى في أذهاننا قضايا عامة كلية، ثم إذا خوطبنا بوصف ما غاب عنا لم نفهم ما قيل لنا إلا بمعرفة المشهود لنا.

فلولا أنا نشهد من أنفسنا جوعا وعطشا، وشبعا وريا وحبا وبغضا، ولذة وألما ورضا وسخطا، لم نعرف حقيقة ما نخاطب به إذا وصف لنا ذلك، وأخبرنا به عن غيرنا.

وكذلك لو لم نعلم ما في الشاهد؛ حياة وقدرة، وعلما وكلاما، لم نفهم ما نخاطب به إذا وصف الغائب عنا بذلك. وكذلك لو لم نشهد موجودا، لم نعرف وجود الغائب عنا، فلابد فيما شهدناه وما غاب عنا من قدر مشترك هو مسمى اللفظ المتواطئ. فبهذه الموافقة والمشاركة والمشابهة والمواطأة نفهم الغائب ونثبته، وهذا خاصة العقل.

ولولا ذلك لم نعلم إلا ما نحسه، ولم نعلم أمورا عامة ولا أمورا غائبة عن أحاسيسنا **الظاهرة** **والباطنة**؛ ولهذا من لم يحس الشيء ولا نظيره لم يعرف حقيقته.." [٢]

"كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه وينفونه عن الله من صفاته وأفعاله، فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات، بل كل معنى صحيح فإنه داخل فيما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم. والألفاظ المبتدعة ليس لها ضابط، بل كل قوم يريدون بها معنى غير المعنى الذي أراده أولئك؛

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٤٨٦

(٢) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/٢٠

كلفظ الجسم، والجهة، والحيز، والجبر ونحو ذلك، بخلاف ألفاظ الرسول فإن مراده بها يعلم كما يعلم مراده بسائر ألفاظه، ولو يعلم الرجل مراده لوجب عليه الإيمان بما قاله مجملا. ولو قدر معنى صحيح ـ والرسول صلى الله عليه وسلم لم يخبر به ـ لم يحل لأحد أن يدخله في دين المسلمين، بخلاف ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فإن التصديق به واجب.

والأقوال المبتدعة تضمنت تكذيب كثير مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك يعرفه من عرف مراد الرسول صلى الله عليه وسلم ومراد أصحاب تلك الأقوال المبتدعة. ولما انتشر الكلام المحدث، ودخل فيه ما يناقض الكتاب والسنة، وصاروا يعارضون به الكتاب والسنة، صار بيان مرادهم بتلك الألفاظ وما احتجوا به لذلك من لغة وعقل، يبين للمؤمن ما يمنعه أن يقع في البدعة والضلال، أو يخلص منها ـ إن كان قد وقع ـ ويدفع عن نفسه في الباطن والظاهر ما يعارض إيمانه بالرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك. وهذا مبسوط في موضعه.

والمقصود هنا أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يدفع بالألفاظ المجملة كلفظ التجسيم وغيره مما قد يتضمن معنى باطلا، والنافي له ينفي الحق والباطل. فإذا ذكرت المعاني الباطلة نفرت القلوب. وإذا ألزموه ما يلزمونه من التجسيم ـ الذي يدعونه نفر إذا قالوا له: هذا يستلزم التجسيم؛ لأن هذا لا يعقل إلا في جسم ـ لم يحسن نقض ما قالوه، ولم يحسن حله. وكلهم متناقضون.

وحقيقة كلامهم أن ما وصف به الرب نفسه، لا يعقل منه إلا ما يعقل في قليل من المخلوقات التي نشهدها كأبدان بني آدم. وهذا في غاية الجهل؛ فإن من المخلوقات مخلوقات." (١)

"وهؤلاء منهم من يقول: إن موسى رآه، وإن الجبل كان حجابه، فلما جعل الجبل دكا رآه، وهذا يوجد في كلام أبي طالب ونحوه. ومنهم من يجعل الرائي هو المرئي، فهو الله فيذكرون اتحادا، وأنه أفنى موسى عن نفسه حتى كان الرائي هو المرئي فما رآه عندهم موسى، بل رأى نفسه بنفسه، وهذا يدعونه لأنفسهم.

والاتحاد والحلول باطل. وعلى قول من يقول به إنما هذا في الباطن والقلب، لا في الظاهر؛ فإن غاية ذلك ما تقوله النصارى في المسيح، ولم يقولوا: إن أحدا رأى اللاهوت الباطن المتدرع [أي: المتلبس، وفيها معنى الدخول في الشيء] . بالناسوت.

وهذا الغلط يقع كثيرا في السالكين. يقع لهم أشياء في بواطنهم فيظنونها في الخارج في ذلك بمنزلة الغالطين

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/٧٩

من نظار المتفلسفة ونحوهم؛ حيث يتصورون أشياء بعقولهم كالكليات والمجردات ونحو ذلك، فيظنونها ثابتة في الخارج، وإنما هى في نفوسهم؛ ولهذا يقول أبو القاسم السهيلي وغيره: نعوذ بالله من قياس فلسفي، وخيال صوفي.

ولهذا يوجد التناقض الكثير في كلام هؤلاء وهؤلاء. وأما الذين جمعوا الآراء الفلسفية الفاسدة والخيالات الصوفية الكاسدة كابن عربى وأمثاله، فهم من أضل أهل الأرض؛ ولهذا كان الجنيد ـ رضي الله عنه ـ سيد الطائفة إمام هدى، فكان قد عرف ما يعرض لبعض السالكين، فلما سئل عن التوحيد قال: التوحيد إفراد الحدوث عن القدم.

فبين أنه يميز المحدث عن القديم تحذيرا عن الحلول والاتحاد. فجاءت الملاحدة ـ كابن عربى ونحوه ـ فأنكروا هذا الكلام على الجنيد؛ لأنه يبطل مذهبهم الفاسد. والجنيد وأمثاله أئمة هدى، ومن خالفه في ذلك فهو ضال، وكذلك غير الجنيد من الشيوخ تكلموا فيما يعرض للسالكين، وفيما يرونه في قلوبهم من الأنوار وغير ذلك، وحذروهم أن يظنوا أن ذلك هو ذات الله ـ تعالى.

وقد خطب عروة بن الزبير من عبد الله بن عمر ابنته، وهو في الطواف، فقال: أتحدثنى." (١)

"وقد بسط الكلام عليه في موضع آخر، وبين أن لفظ المعية في اللغة ـ وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقارنة ـ فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه، ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه. فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد.

وقد قال ابن أبي حاتم: قرأت على محمد بن الفضل: حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق، ثنا محمد بن مزاحم، ثنا بكير بن معروف، عن مقاتل بن سليمان في قوله تعالى: ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ من المطر ﴿وما يخرج منها﴾ من النبات ﴿وما ينزل من السماء﴾ من القطر ﴿وما يعرج فيها﴾ ما يصعد إلى السماء من الملائكة ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ يعنى بقدرته وسلطانه وعلمه معكم أينما كنتم.

وبهذا الإسناد عن مقاتل بن سليمان قال: بلغنا ـ والله أعلم ـ في قوله تعالى: ﴿هو الأول﴾ قال: قبل كل شيء ﴿والآخر﴾ قال: بعد كل شيء **﴿والظاهر﴾** قال: فوق كل شيء **﴿والباطن﴾** قال: أقرب من كل شيء؛ وإنما نعنى بالقرب بعلمه وقدرته وهو فوق عرشه ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ [الحديد: ٣] يعلم نجواهم ويسمع كلامهم، ثم ينبئهم يوم القيامة بكل شيء نطقوا به، سيئ أو حسن.

وهذا ليس مشهورا عن مقاتل كشهرة الأول الذي روى عنه من وجوه لم يجزم بما قاله، بل قال: بلغنا، وهو

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٢٣

الذي فسر الباطن بالقريب، ثم فسر القرب بالعلم والقدرة، ولا حاجة إلى هذا. وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء " وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة وأبي ذر." (١)

"فهذا تكليمه لجميع عباده بواسطة الرسل، وذاك قربه إليهم عند الاحتضار، وعند الأقوال الباطنة في النفس والظاهرة على اللسان، وقال تعالى: ﴿وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ [الانفطار: ١٠ـ١٢] .

وقد غلط طائفة ظنوا أنه نفسه الذي يسمع منه القرآن، وهو الذي يقرؤه بنفسه بلا واسطة عند قراءة كل قارئ، كما غلطوا في القرب، وهم طائفة من متأخري أهل الحديث ومتأخري الصوفية.

ومن الناس من يفسر قول القائلين: بأنه أقرب إلى كل شيء من نفس ذلك الشيء؛ بأن الأشياء معدومة من جهة أنفسها، وإنما هي موجودة بخلق الرب ـ سبحانه وتعالى ـ لها، وهي باقية بإبقائه، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا موجود إلا بإيجاده، ولا باقى إلا بإبقائه. فلو قدر أنه لم يشأ خلقها وتكوينها لكانت باقية على العدم لا وجود لها أصلا، فصار هو أقرب إليها من ذواتها، فتكوين الشيء وخلقه وإيجاده هو فعل الرب ـ سبحانه وتعالى ـ وبه كان الشيء موجودا وكان ذاتا محققة في الخارج. والموجود دائما محتاج إلى خالقه لا يستغنى عنه طرفة عين، فكان موجودا بنسبته إلى خالقه، ومعدوما بنسبته إلى نفسه، فإنه بالنظر إلى نفسه لا يستحق إلا العدم، فكان الرب أقرب إلى المخلوقات من المخلوقات إلى أنفسها بهذا الاعتبار.

وقد يفسر بعضهم قوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص: ٨٨] بهذا المعنى؛ فإن الأشياء كلها بالنظر إلى أنفسها عدم محض، ونفي صرف، وإنما هي موجودة تامة بالوجه الذي لها إلى الخالق، وهو تعلقها به، وبمشيئته وقدرته، فباعتبار هذا الوجه كانت موجودة، وبالوجه الذي يلي أنفسها لا تكون إلا معدومة.

وقد يفسرون بذلك قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ...." (٢)

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٢٨

(٢) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٤٠

"سمائين، ثم قال: " والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه ".

وكذلك في حديث جبير بن مطعم ـ الذي رواه أبو داود وغيره عن جبير بن مطعم ـ قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي، فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ويحك! تدري ما تقول؟ ! " وسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: " ويحك! أتدري ما الله؟ إن الله على عرشه، وعرشه على سمواته مثل القبة " وأشار بيده.

وهذا إخبار عن أنه ـ سبحانه ـ فوق العرش في تلك الحال، كما دل عليه القرآن، كما أخبر أنه استوى على العرش، وأنه معنا أينما كنا، وكونه معنا أمر خاص؛ فكذلك كونه مستويا على العرش.

وكذلك سائر النصوص تبين وصفه بالعلو على عرشه في هذا الزمان، فعلم أن الرب ـ سبحانه ـ لم يزل عاليا على عرشه. فلو كان في نصف الزمان أو كله تحت العرش أو تحت بعض المخلوقات، لكان هذا مناقضا لذلك.

وأيضا، فقد ثبت في الحديث الصحيح ـ الذي رواه مسلم وغيره ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: " اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت **الظاهر** فليس فوقك شيء، وأنت **الباطن** فليس دونك شيء "، وهذا نص في أن الله ليس فوقه شيء، وكونه **الظاهر** صفة لازمة له مثل كونه الأول والآخر، وكذلك **الباطن**، فلا يزال ظاهرا ليس فوقه شيء، ولا يزال باطنا ليس دونه شيء.." (١)

"والكلام في فصلين في أجزاء الميتة وفي أجناسها؛ أما أجزاؤها فاللحم نجس وكذلك الجلد، وقد تقدم القول في العظم والشعر. وأما ما لا يموت بموتها كالبيض واللبن فإنه لا ينجس بالموت لكن هل ينجس بنجاسة وعائه؟ أما البيض فإذا كان قد تصلب قشره فهو طاهر مباح؛ لأنه لا يصل إليه شيء من النجاسة كما لو غمس في ماء نجس، وكما لو طبخ في خمر أو ماء نجس؛ وكذلك لو سلقه في ماء ملح أو مر لم يتغير طعمه، وقال ابن عقيل: هو طاهر مباح وإن لم يتصلب؛ لأن جمودها وغشاءها الذي هو كالجلد مع لينه يمنع نفوذ النجاسة إليها.

كما لو وقعت في مائع نجس، والمشهور أنها تتنجس إذا لم تتصلب؛ لأنها في النمو، والحاجز غير حصين

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٩٠

فلا ينفك غالبا من أن يشرب أجزاء عقيب الموت قبل ذهاب حرارة الحياة. وأما اللبن والإنفحة فطاهر في إحدى الروايتين؛ لأن الصحابة فتحوا بلاد المجوس وأكلوا من جبنهم مع علمهم بنجاسة ذبائحهم، وأن الجبن إنما يصنع بالإنفحة، وأن اللبن لم ينجس بالموت؛ إذ لا حياة فيه ولا بملاقاة وعائه؛ لأن الملاقاة في **الباطن** لا حكم لها؛ إذ الحكم بالتنجيس إنما يتسلط على الأجسام **الظاهرة**.

ولذلك لم ينجس المني، والنجاسة تخرج من مخرج المني، وعلى هذه الرواية فجلد الإنفحة نجس كجلد الضرع، وإنما الكلام فيما فيهما، والرواية الأخرى هما نجس وهي المنصورة؛ ولأنه مائع في وعاء نجس فأشبه ما لو أعيد في." (١)

"غسلهما عند إرادة كل وضوء، إلا أنه موكد هنا يكره تركه، وهل يختص ذلك بمن يريد الوضوء أو يعمه وغيره بحيث يغسل عند الوضع في الطعام وغيره من المائعات يحتمل وجهين.

[مسألة المضمضة والاستنشاق في الوضوء]

مسألة:

" ثم يتمضمض ويستنشق ثلاثا يجمع بينهما بغرفة واحدة أو ثلاث ".

لأن الذين وصفوا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك فيه، والسنة أن يتمضمض ويستنشق بيمينه ويستنثر بشماله وأن يقدمهما على ظاهر الوجه؛ للسنة المستفيضة بذلك؛ ولأن تقديم **الباطن** أولى؛ لئلا يخرج منه أذى بعد غسل **الظاهر** فيلوثه، وأن يقدم المضمضة للسنة؛ ولأن الفم أشرف وأحق بالتطهير، وهو أشبه **بالباطن**، وقوله: يجمع بينهما أي الجمع بين المضمضة والاستنشاق بماء واحد أفضل من أن يفصل كل واحد بماء؛ لأن في حديث عبد الله بن زيد في صفة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم " «أنه تمضمض واستنشق واستنثر ثلاثا بثلاث غرفات» " وفي لفظ " «تمضمض واستنشق من كف واحد فعل ذلك ثلاثا» " متفق عليهما. وفي لفظ " «تمضمض واستنثر ثلاثا من غرفة واحدة» " رواه البخاري. وكذلك في حديث ابن عباس وعثمان وغيرهما وهذه الأحاديث أكثر وأصح من أحاديث الفصل؛ ولأن هذا يحصل معه الإسباغ مع الرفق من غير سرف؛ ثم إن شاء تمضمض واستنشق الثلاث بغرفة واحدة إن أمكنه أن يسبغ بها وإن شاء بثلاث غرفات؛ لأن الحديث جاء بهما، وإن فعل المضمضة بماء والاستنشاق بماء." (٢)

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ١/١٣٠

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ١/١٧٦

"قام الدليل على استحباب الصفة، بقي أصل الفعل على الوجوب، ولم يرد مثل هذه الأحاديث الصحاح في المضمضة؛ ولأن طرف الأنف لا يزال مفتوحا ليس له ساتر بخلاف الفم، ولهذا أمر القائم من نومه بالاستنشاق ثلاث مرات ولم يذكر المضمضة، والرواية الثالثة: أنهما يجبان في الكبرى دون الصغرى؛ لأن الغسل مبناه على وجوب غسل جميع ما يمكن من الظاهر والباطن بدليل باطن الشعور الكثيفة من اللحية والرأس بخلاف الوضوء، فإنه لا يجب فيه غسل ما استتر كباطن اللحية.

ويروى عنه أنه يجب الاستنشاق وحده في الوضوء خاصة؛ لأنه الذي جاء فيه النص، والصحيح الأول؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمر بغسل الوجه مطلقا، وفسره النبي صلى الله عليه وسلم بفعله وتعليمه فتمضمض واستنشق في كل وضوء توضأه، ولم ينقل عنه أنه أخل به أبدا مع اقتصاره على أقل ما يجزئ حين توضأ مرة مرة، وقال: هذا صفة الوضوء الذي لا يقبل الله الصلاة إلا به، وهذا أقصى حد في اقتصار الوجوب من جهة أن فعله إذا خرج امتثالا لأمر كان حكمه حكم ذلك الأمر في اقتضاء الوجوب.

ومن جهة أنه لو كان مستحبا لأخل به ولو مرة ليبين جواز الترك كما ترك الثانية والثالثة، ومن جهة أنه لما توضأ قال: هذا صفة الوضوء الذي لا يقبل الله الصلاة إلا به، وقد روى أبو داود عن لقيط بن صبرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " «إذا توضأت فتمضمض» " وعن حماد بن." (١)

"وروى عن ابن عمر – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان في إسناده مقال فهو معتضد بما ذكرنا، ولأنه مسح على حائل فأجزأه من غير تيمم، كمسح الخف والعمامة وأولى، لأن هذا يتضرر بالنزع، ولابس الخف لا يتضرر بالنزع، ولأنه إما أن يلحق بذي الجرح الظاهر أو بلابس الخف أو بهما.

أما الأول فضعيف، لأنه لا حائل هناك ينتقل الفرض إليه ويجعل الجرح في حكم الباطن.

والثاني: أضعف منه؛ لأننا إذا ألحقناه بهما عظمت المشقة وأوجبنا طهارتين عن محل واحد وجعلناه أغلظ من لابس الخف مع أنه أحق بالتخفيف منه فتعين أن يلحق بلابس الخف لا سيما وطهارة المسح تشارك الغسل في رفع الحدث، وأنها بالماء جائزة في الجملة في حال الاختيار.

وأما حديث صاحب الشجة فمعناه – والله أعلم – أنه يكفيه إما التيمم وإما أن يعصب على شجه خرقة ثم يمسح عليها، لأنهم أجمعوا على أن الجرح الظاهر لا يوجب أن يتيمم وأن يعصب ثم يمسح العصابة، والواو وقد تكون بمعنى " أو " كما في قوله " ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ [النساء: ٣] " وذكر القاضي أنه على

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ١٧٨/١

هذه الرواية يمسح على الجبيرة أيضا، وهل تجب عليه الإعادة؟ تخرج على روايتين: أظهرهما لا يعيد، وفي عصابة الفصاد يمسح ويتيمم لأجل النجاسة، فعلى هذا الفرق بين الروايتين أنه هل يجوز له شدها على غير طهارة أم لا، وقد صرح بذلك في تعليل هذه الرواية، وقوله: " إذا لم يتعد بشدها موضع الحاجة " يعني أن الحاجة تدعو إلى أن يتجاوز بها موضع الكسر، فإن الجبيرة توضع على طرفي الصحيح لينجبر الكسر، وقد يتجاوز بها إلى جرح أو ورم أو." (١)

"وسادسها: أنه لو كان المراد به غسل اليدين والفم لما فرق بينهما، وكون الإبل مختصة بزيادة زهومة ودسومة لا يوجب اختصاصها بالأمر، " «فإنه - صلى الله عليه وسلم - شرب لبنا فمضمض وقال: إن له دسما» ".

وسابعها: أنه سيأتي أنه أمر بالوضوء من لبن الإبل، ومعلوم أن دسمها دون دسم لحم الغنم، فكيف يكون المراد به غسل اليد والفم، وأما حمله على الاستحباب فبعيد؛ لأنه أمر، والأمر للإيجاب؛ ولأنه ذكر الحكم في جواب السائل، والحكم في مثل هذا لا يفهم منه إلا الإيجاب، كالوضوء من الصوت والريح ومس الذكر؛ ولأنه فرق بينه وبين لحم الغنم، والنهي في لحم الغنم إنما أفاد نفي الإيجاب، فيجب أن يكون في لحم الإبل مفيدا للإيجاب؛ ليحصل الفرق، ولأنه أثبت بذلك صفة في الإبل تقتضي الوضوء، والأصل في الأسباب المقتضية للوضوء أن تكون موجبة؛ ولأن استحباب الوضوء من لحم الإبل دون الغنم إحداث قول ثالث خارج عن قولي العلماء، ولإن قاله قائل وعلل ذلك بالخروج من الخلاف، وهذه علة اجتهادية ليست تصلح أن تكون علة لنفس الحكم، والشارع فرق بينهما تفريقا يوجب اختصاص أحدهما بالحكم لمعنى اختلاف العلماء، وذلك المعنى أن يوجب الوضوء أو لا يوجبه، أو لا يقتضيه، ثم لم يسلم اختصاص الإبل دون غيرها من الأنعام بوصف يستحب معه الوضوء بطلب جميع أدلتهم في المسألة من الجمع بينهما وبين غيرهما، ولم يبق حينئذ دليل يوجب صرف الأمر عن الوجوب، ويقال: إن جاز أن يختص باستحباب الوضوء جاز أن يختص بوجوبه، وهو المعقول من الكلام، فلا وجه للعدول عنه، ثم الجواب عن جميع هذه الأسئلة أنها احتمالات مرجوحة وتأويلات بعيدة لا يجوز حمل الكلام عليها إلا مع دليل قوي أقوى من تلك الدلالة يوجب الصرف عن **الظاهر** والمصير إلى **الباطن**، وليس في عدم نقض الوضوء بلحوم الإبل

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ١/٢٨٦

دليل يقارب تلك الدلالة فضلا عن أن يكون أقوى منها، وإنما هو استصحاب حال وقياس طردي يحسن اتباعها عند عدم." [1]

"إحداهما: يجزئه كما لو تطهر لصلاة نافلة أو مس المصحف.

والثانية: لا يجزئه عن الواجب؛ لأنه لا يقصد الطهارة الواجبة، ولا ما وجبت له الطهارة، فلم يجزئه كما لو تطهر لزيارة الصديق، وقال أبو حفص العكبري وغيره: " إن نوى الطهارة لما يشرع له رفع الحدث، كقراءة القرآن واللبث في المسجد - أجزأه وإن نوى ما لا يشرع معه رفع الحدث كالتجديد وغسل الجمعة لم يجزئه ".

فصل

وأما تعميم بدنه بالماء، فالمراد أن يغسل **الظاهر** جميعه وما في حكمه من **الباطن**، وهو ما يمكن إيصال الماء إليه من غير ضرر، وهو ما يسن إيصال الماء إليه في الوضوء، أو يغسل من النجاسة كالبشرة التي تحت الشعور الكثيفة، مثل شعر الرأس واللحية، ومواضع المبالغة من باطن الفم والأنف، هكذا ذكر بعض أصحابنا. وآخرون أوجبوا هنا ما يجب في الوضوء؛ لأن الصائم ينهى عن المبالغة، فإن بالغ دخل في المنهي، وإن لم يبالغ لزم الإخلال بواجب في الغسل، ولأن الصائم المتطوع لا يبالغ، ولو كان واجبا لما سقط بالتطوع، وهذه طريقة أبي حفص في الوضوء؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: " «تحت كل شعرة جنابة، فبلوا الشعر، وأنقوا البشرة» ". احتج به الإمام أحمد في رواية حنبل، وعن علي قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " «من ترك موضع شعرة من جنابة لم يصبها الماء فعل الله به كذا وكذا من النار " قال علي: " فمن ثم عاديت شعري» " رواه أحمد وأبو داود، ولأنها طهارة." [2]

"الشفاعة وما جاء من الرجاء لمن يتهاون في الصلاة فإليهم ينصرف ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ومن لم يحافظ عليها لم يكن له عند الله عهد" ونفي المحافظة لا ينفي الفعل بخلاف من لم فإنه يكون تاركا بالكلية كما تقدم وكذلك من أخل بما يسوغ فيه الخلاف من شرائطها وأركانها.

وأما من أخل بشيء من شرائطها وأركانها التي لا يسوغ فيها الخلاف فهذا بمنزلة التارك لها فيما ذكره أصحابنا كما تقدم من حديث حذيفة ولأن هذه الصلاة وجودها كعدمها في منع الاكتفاء بها فأشبه من

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ١/٣٣٣

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ١/٣٦٦

آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض.

فأما من يترك الصلاة بعض الأوقات لا يقضيها ولا ينوي قضاءها أو يخل ببعض فرائضها ولا يقضيها ولا ينوي قضاءها فمقتضى ما ذكره كثير من أصحابنا أنه يكفر بذلك فإن دعي إليها وامتنع حكم عليه بالكفر **الظاهر** وإلا لحقه حكم الكفر **الباطن** بذلك ثم إذا صلى الأخرى صار مؤمنا كما دل على ذلك قوله " من ترك صلاة العصر متعمدا حبط عمله" وقوله " من ترك الصلاة عمدا فقد برئت منه الذمة" ولا يلزم ذلك أحكام الكفر في حقه كالمنافقين.

والأشبه في مثل هذا أنه لا يكفر **بالباطن** أيضا حتى يعزم على تركها بالكلية كما لم يكفر في تأخيرها عن وقتها كما تقدم من الأحاديث ولأن الفرائض تجبر يوم القيامة بالنوافل ولأنه متى عزم على بعض الصلاة فقد أتى بما هو مجرد إيمان.." (١)

"لبس القسي" والقيسي ثياب مخلوطة بحرير قال البخاري في صحيحه: قال عاصم عن أبي بردة قلنا لعلي: ما القسي؟ قال: ثياب أتتنا من الشام أو من مصر مضلعة فيها حرير أمثال الاترج وقال أبو عبيد وجماعة من أهل اللغة والحديث ثياب يؤتى بها من مصر فيها حرير قال بعضهم: هو ضرب من ثياب كتان مخلوط بحرير يؤتى بها مصر نسبة إلى قرية على ساحل البحر يقال لها القس ويقال القسي القزي ابدلت الزاء سينا كما يقال السمته الحجة أي ألزمته الحجة وقيل هو منسوب إلى القسي وهو الصقيع لبياضه ونسبتها إلى المكان هو قول الخليل بن أحمد وغيره فقد اتفقوا كلهم على أنها ثياب فيها حرير وليست حريرا مصمتا وهذا ليس هو الملحم وأيضا فإن الخز أخف من وجهين.

أحدهما: أن سداه حرير والسدى ايسر من اللحمة وهو إلذي بين ابن عباس جوازه بقوله فأما العلم من الحرير وسدى الثوب فلا بأس به.

والثاني: أن الخز الثخين والحرير مستور فيه بين الوبر فيصير الحرير بمنزلة الحشوة ويصير الذي يلي الجلد ويظهر هو الوبر ومعلوم أن الحرير **الباطن** ليس بمنزلة الحرير **الظاهر** إذ ليس في **الباطن** سرف ولا فخر ولا خيلاء ولهذا كان الصحيح جواز حشو الجلباب والفرش به وقد ذكر احمد." (٢)

"ولو حمل شيئا من الحيونات الطاهرة كالصبي ونحوه كما حمل النبي صلى الله عليه وسلم امامة ابنة أبي العاص وكما كان الحسن يرتحله لم تبطل صلاته وأن كان في جوفه نجاسة من الدم والخمر ونحو ذلك

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الصلاة ابن تيمية ص/٩٤

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الصلاة ابن تيمية ص/٣٠١

لأن النجاسة هنا مستورة بأصل الخلقة وما هذا سبيله من النجاسات فلا حكم له بخلاف ما في القارورة.
نعم في البيضة التي فيها فروج ميت وجهان لأنه من حيث هو مستور بأصل الخلقة يشبه الدم في الحيوان الطاهر ومن حيث هو مستتر يشبه القارورة.
والأظهر أنه كالقارورة لأن البيضة لم تكن محلا للرطوبات وإنما عرض لها ذلك بخلاف باطن الحيوان ولأن القياس اجتناب جميع النجاسات **الظاهرة** **والباطنة** لكن ما في باطن الحيوان تابع للطاهر وفي إخراجه عنه مشقة بخلاف ما في البيضة فإنه هو المتبوع ولا مشقة في إخراجه منه.
فصل.
وأما النجاسة المعفوا عنها فقد تقدم ذكرها قدرا ونوعا والضابط لها." (١)
"نجاسة أو في بقعة طاهرة متصلة بنجاسة وكونه شرطا للصحة من أجل الاستقرار لا يقتضي وجوب طهارته كمحل السرير.
وأما باطن المسجد فيصان عن النجاسة كهوائه على أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها" وكان أصحاب النبي يدفنون القمل في المسجد فعلم أن باطنه ليس كظاهره من كل وجه.
ولو صلى على فراش في حشوها وبطانتها نجاسة أو على بساط في باطنه نجاسة لم تنفذ إلى ظاهره أو على طابق طاهر **الظاهر** نجس **الباطن** فهو كمن فرش طاهرا على نجس على هذه الطريقة وعلى ما ذكره ابن أبي موسى لا يصلي على هذا المصلى مع الصلاة على المفروش على المكان النجس اليابس.
فصل.
وإذا صلى على حبل أو منديل في طرفه نجاسة صحت صلاته في المنصوص.." (٢)
"الصريح ولكن من لم يكن له عناية تامة باتباع المرسلين واقتفاء آثارهم والاهتداء بأعلامهم ومنارهم واقتباس النور من مشكاة أنوارهم فإنه يجعل الحديث الصحيح ضعيفا والضعيف صحيحا والمعنى الحق باطلا والباطل حقا صريحا كما يوجد في كلام سائر الخارجين عن منهاج السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان المبتدعين فيما فارقوا به طريق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة وهم الطائفة المهدية المنصورة إلى قيام الساعة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الصلاة ابن تيمية ص/٤١١

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الصلاة ابن تيمية ص/٤١٥

تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة".

ولما تكلم صاحب مشكاة الأنوار على طريق هؤلاء في **الباطن** بألفاظ الكتاب والسنة في **الظاهر** وإن كان قد روى أنه رجع عن ذلك كله ومن الناس من يطعن في إضافة هذه الكتب إليه والمقصود التنبيه على ما في هذه الكتب المخالفة للكتاب والسنة من الضلال لئلا يغتر بها وبنسبتها إلى المعظمين أقوام جهال.

قال: "القطب الأول: في سر التمثيل ومنهاجه: إعلم أن العالم عالمان: روحاني وجسماني وإن شئت قلت: حسي وعقلي وإن." (١)

"رفع الظواهر واعتقادا في إبطالها حتى أقول مثلا لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله: "فاخلع نعليك" حاشا لله فإن إبطال الظواهر رأي **الباطنية** الذين نظروا بالعين العوراء إلى أحد العالمين ولم يعرفوا الموازنة بينهما ولم يفهموا وجهه.

كما إن إبطال الأسرار مذهب الحشوية فالذي يجرد **الظاهر** حشوى والذي يجرد **الباطن** باطني والذي يجمع بينهما كامل لذلك قال عليه السلام: "للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع" وإنما نقل هذا عن علي بن أبي طالب موقوفا عليه بل أقول فهم موسى من الأمر بخلع النعلين اطراح الكونين فامتثل الأمر ظاهرا بخلع النعلين وباطنا باطراح العالمين فهذا هو الاعتبار أي العبور من الشيء إلى غيره ومن **الظاهر** إلى السر وفرق بين من سمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تدخل." (٢)

"بحبل غرور وأرجع إلى حديث النعلين فأقول ظاهر خلع النعلين منبه على ترك الكونين فالمثال في **الظاهر** حق وأداؤه إلى السر **الباطن** حقيقة ولكل حق حقيقة وأهل هذه المرتبة هم الذين بلغوا درجة الزجاجة كما سيأتي معنى الزجاجة لأن الخيال الذي من طينته يتخذ المثال صلب كثيف يحجب الأسرار ويحول بينك وبين الأنوار ولكن إذا صفى حتى صار كالزجاج الصافي صار غير حائل عن الأنوار بل صار مع ذلك حافظا للأنوار عن الانطفاء بعواصف الريح وسيأتيك قصة الزجاجة.

فاعلم أن العالم الكثيف الخيالي السفلي صار في حق الأنبياء زجاجة ومشكاة للأنوار ومصفاة للأسرار ومرقاة إلى العالم الأعلى وبهذا تعرف أن المثال **الظاهر** حق ووراءه سر وقس على هذا الطور والنار وغيرهما".

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة **والباطنية** ابن تيمية ص/٢٠٢

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة **والباطنية** ابن تيمية ص/٢١١

قلت: ليس المقصود هنا الكلام المفصل على ما في هذا الكلام وأمثاله فإن علماء المسلمين قد بينوا من ذلك ما فيه كفاية.." (١)

"جنس ما أرادوا فحصل بهذا من التلبيس على كثير من أهل الملة ومن تحريف الكلم عن مواضعه ومن الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته ما الله به عليم ولهذا قد يوافقون المسلمين في **الظاهر** ولكنهم في **الباطن** زنادقة منافقون.

وهذا كما جاءوا إلى لفظ المحدث وفي القديم فقالوا:

"الإحداث هو مشترك يطلق على وجهين:

أحدهما: زماني.

والآخر: غير زماني.

فمعنى الإحداث الزماني: الإيجاد للشيء بعد أن لم يكن له وجود في زمان سابق.

ومعنى الإحداث غير الزماني: هو إفادة الشيء وجودا وذلك الشيء ليس له في ذاته ذلك الوجود لا بحسب زمان دون زمان بل بحسب كل زمان".

وغرضهم بهذا الوضع حتى يطلقوا بين المسلمين أن السماوات والأرض وما بينهما محدث مخلوق فيظن الظان أنهم لا ينازعون في كون ذلك محدثا مخلوقا مع العلم الضروري أن قولهم فيها ليس ما أخبرت به الرسل واتفق عليه أهل الملل.." (٢)

"عليه: "استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها".

وقال: "مثل القرآن مثل الإبل المعقلة إن تعاهدها صاحبها أمسكها وإن أرسلها ذهبت".

وفي الحديث الآخر: "أعقلها وأتوكل أو أرسلها؟ فقال: بل اعقلها وتوكل".

فالعقل والإمساك والضبط والحفظ ونحو ذلك ضد الإرسال والإطلاق والإهمال والتسييب ونحو ذلك وكلاهما يكون بالجسم **الظاهر** للجسم **الظاهر** ويكون بالقلب **الباطن** للعلم **الباطن** فهو ضبط العلم وإمساكه وذلك مستلزم لاتباعه فلهذا صار لفظ العقل يطلق على." (٣)

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة **والباطنية** ابن تيمية ص/٢١٤

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة **والباطنية** ابن تيمية ص/٢٣٦

(٣) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة **والباطنية** ابن تيمية ص/٢٥٠

"ومن المعلوم بالتواتر علما ضروريا لمن له خبرة متوسطة بأحوال الصحابة أنهم كانوا أعظم الخلق منافاة لمثل هذه التحريفات التي يسمونها التعبير والتأويل خاصتهم وعامتهم وأن جميع ما ينقل عنهم مما يخالف **الظاهر** المعروف فهو كذب مفترى مثل ما يزعم أهل البطاقة والجفر ونحو ذلك مما يدعونه من العلوم **الباطنة** المنقولة عن علي كرم الله وجهه وأهل البيت رضي الله عنهم وقد ثبت بالأحاديث الصحيحة الثابتة عن علي رضي الله عنه المتلقاة بالقبول ما يكذب ذلك كقوله لما قيل له هل عهد." (١)

"إلى أمور من هذا الجنس كالنفس والعقل لم ينكر أن يقول ما يتشأبه هذا ومن طرد هذا القياس جعل المراد بالصلاة معرفة أسرارهم والمراد بالصوم كتمان أسرارهم والمراد بالحج قصد شيوخهم المقدسين ويدي أبي لهب أبو بكر وعمر واللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين و ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ علم جبرائيل بتقديم محمد وتأخير علي وأئمة الكفر طلحة والزبير و ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ لئن أشركت بين أبي بكر وعلي في الولاية ونحو ذلك من تأويلات القرامطة فإنهم أئمة هذا الباب الذي كانوا به أضل الناس عن سواء السبيل وهو في الأصل إنما صدر عن زنادقة منافقين أرادوا التلبيس به على جهال المسلمين في **الظاهر** وخالفوهم في **الباطن** ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا." (٢)

"وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما﴾ .

ومثل هؤلاء المنافقين كفار في **الباطن** باتفاق المسلمين وإن كانوا مظهرين للشهادتين والإقرار بما جاء به الرسول ومؤدين للواجبات **الظاهرة** فإن ذلك لا ينفعهم في الآخرة إذ لم يكونوا مؤمنين بقلوبهم باتفاق أئمة المسلمين.

وبهذا يظهر ضعف ما ذكره من أنه لا معنى لزندقة هذه الأمة إلا ما ذكره من الزندقة المقيدة التي هي مذهب الفلاسفة المشائين فإن الزندقة في هذه الأمة وغيرها باتفاق أئمة المسلمين أعم من هذا كما يذكره الفقهاء كلهم في باب توبة الزنديق وسائر أحكامه وإن لم يكن لفظ الزنديق واردا في الكتاب والسنة بل معناه عندهم المنافق وقد قال تعالى: ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾ .

وقال تعالى: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة **والباطنية** ابن تيمية ص/٣٢١

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة **والباطنية** ابن تيمية ص/٣٢٥

من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم." (١)

"قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير﴾

.

وقال تعالى: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾ .

وقال تعالى: ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ .

وفي القرآن من ذكر المنافقين في عامة السور المدنية كالبقرة والنساء والتوبة وغيرها ما لا يمكن استقصاؤه بل جميع من بلغته دعوة محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم ثلاثة أصناف: مؤمن وكافر ومنافق هو كافر في الباطن مسلم في الظاهر وقد أنزل الله وصف الأصناف الثلاثة في أول سورة البقرة فأنزل أربع آيات في المؤمنين وآيتين في الكافرين وبضع عشرة آية في المنافقين فقال تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين." (٢)

"قلت: المقصود التنبيه على أن السلف فهموا حقيقة قول هؤلاء الجهمية الذي هو حقيقة قول القرامطة ومن وافقوه من الفلاسفة فإنهم ينفون الصفات وهم في الحقيقة ينفون الأسماء أيضا لكن يحتاجون إلى إطلاقها في الظاهر لأجل تظاهرهم بالإسلام ويتأولونها على أنه خلق معانيها في غيره وهذه هي القاعدة المعروفة وهو أن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل دون غيره ووجب أن يشتق لذلك المحل من لفظها اسم ولا يشتق لغيره الاسم والمعتزلة تنازع أهل الإثبات في بعضها كما تنازعهم القرامطة

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٣٣٩

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٣٤٠

في بعضها وطرد ذلك في أسماء الأفعال كالعادل ونحوه فإن المفهوم من مذهب الفقهاء وأصحاب الأئمة الأربعة وأهل الحديث والصوفية وطوائف من أهل الكلام طرد ذلك ومن لم يطرده انتقضت حجته ولا فرق في ذلك بين نوع ونوع في الحقيقة ولكن من المذاهب ما قل قائله وخفي وظهر مخالفته لما استقر في قلوب المسلمين ومنها ما كثر قائله وبقي نفور القلب عن ذلك القول ومفتتحه أعظم ولو فرض أن شخصا مؤمنا باطنا وظاهرا ولكن جهل وضل في صفة القدرة أو العلم حتى ظن أن القدرة تقوم بغيره والعلم بغيره كما هو قول **الباطنية** لكان حاله كحال من هو مؤمن باطنا وظاهرا وقد جهل وضل حتى اعتقد أن الكلام لا تقوم به بل بغيره وكثير من أهل المقالات قد أخرج بعض الموجودات عن قدرته ومنع قدرته عن أشياء كحال الذي قال لولده ما قال فهذه المقالات هي كفر لكن ثبوت التكفير في حق الشخص المعين موقوف على قيام الحجة التي يكفر تاركها وإن أطلق القول بتكفير من يقول ذلك فهو مثل إطلاق القول بنصوص الوعيد مع أن ثبوت حكم الوعيد في حق الشخص المعين موقوف." (١)

"في موضع تينك اللبنتين فيكون خاتم الأولياء تلك اللبنتين فيكمل الحائط والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في **الظاهر** وهو موضع اللبنة الفضة وهو ظاهر وما يتبعه فيه من الأحكام كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة **الظاهرة** متبع فيه لأنه يرى الأمر على ما هو عليه فلا بد أن يراه هكذا وهو موضع اللبنة الذهبية في **الباطن** فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسل فإن فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع فكل بني من أن لدن آدم إلى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين وإن تأخر وجود طينته فإنه بحقيقته موجود وهو قوله: "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين" وغيره من الأنبياء ما كان نبيا إلا حين بعث وكذلك خاتم الأنبياء كان وليا وآدم بين الماء والطين وغيره من الأولياء ما كان وليا إلا بعد تحصيل شرائط الولاية من الأخلاق الإلهية في الاتصاف بها من كون الله تعالى تسمى بالولي الحميد فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الختم الولاية نسبة الأنبياء والرسل معه فإنه الولي الرسول النبي وخاتم." (٢)

"وقال أيضا في الإدريسية: "من أسمائه الحسنى العلي على من وما ثم إلا هو؟ فهو العلي لذاته أو عن ماذا وما هو إلا هو؟ فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجوات فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست إلا هو فهو العلي لا علو إضافة لأن الأعيان التي لها العدم الثابتة فيه ما شمت رائحة من

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة **والباطنية** ابن تيمية ص/٣٥٣

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة **والباطنية** ابن تيمية ص/٤٠٢

الوجود فهي على حالها مع تعداد الصور في الموجودات والعين واحدة من المجموع في المجموع فوجود الكثير من الأسماء وهي النسب وهي أمور عدمية وليس إلى العين التي هي الذات فهو العلي لنفسه لا بالإضافة فما في العالم من هذه الحقيقة علو إضافة لكن الوجوه الوجودية متفاضلة فعلو الإضافة موجود في العين الواحدة من حيث الوجوه الكثيرة لذلك يقول فيه هؤلاء هو أنت لا أنت قال أبو سعيد الخراز: "وهو وجه من وجوه الحق ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه بأن الله تعالى لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها فهو الأول والآخر **والظاهر** **والباطن** فهو عين ما ظهر في حال." (١)

"في **الظاهر** على أنه لا رسول إلا محمد صلى الله عليه وسلم وأكثر أتباعهم لا يعلمون أن هذا قول رئيسهم.

ثم منهم قوم منافقون لا يجهرون بذلك بين المسلمين كما كان مسيلمة يجهر بدعواه النبوة حتى كان مؤذنه يقول أشهد أن محمدا ومسيلمة رسولا الله ومن هؤلاء من هو في **الباطن** أكفر من المشركين فضلا عن أهل الكتاب ومنهم قوم يقرأون الكتب المتضمنة لذلك علانية وقد لا يفهمون ما فيها من الكفريات.

وقد قال لي أفضل شيوخ هؤلاء بالديار المصرية لما أوقفته على بعض ما في هذا الكتاب مثل هذا الموضع وغيره فقال هذا كفر وقال لي في مجلس آخر هذا الكتاب عندنا من أربعين سنة نعظمه ونعظم صاحبه ما أظهر لنا هذه المصائب إلا أنت.

ومنهم طائفة قد لا يكونون متعمدين الكذب لكنهم ملبوس عليهم الضلالة بحيث يظنون أن الرسول لم يعلم الحقائق وإنما علم الأعمال **الظاهرة** ويشركون في ذلك إخوانهم من المتفلسفة في نحو ذلك وتجد هؤلاء لا يعتمدون على الأمور العلمية والمسائل الخبرية عن الله تعالى وأسمائه وصفاته على كلام الله ورسوله وهذا من أصول الضلال التي وقع فيها أو في بعضها طوائف من أهل الزيغ والمنافقين.

ومنهم طائفة يتأولون بعض هذه المقالات الكفرية إذا خاطبهم الجاهل الذي لا يفهم ما فيها أو يفوضون علمها إلى الشيخ ويقولون الشيخ أعلم." (٢)

"ولا ريب أن هارون وإن كان نبيا مع موسى فلم يكن معه بهذه المنزلة بل كان موسى يبلغه عن الله ما لم يكن يأخذه هارون عن الله وهذا ادعى أنه مع محمد فوق ما كان هارون مع موسى ولم يرض بذلك بل هذا في الأحكام **الظاهرة** فقط وهذا أيضا مقام الذين إذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة **والباطنية** ابن تيمية ص/٤٠٤

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة **والباطنية** ابن تيمية ص/٤٨٨

أوتي رسل الله وهذا يزعم أنه قد أوتي مثل ما أوتي رسل الله.

ثم قال: "وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول".

فزعم أنه يأخذ من فوق الملك والرسول يأخذ من الملك فهو أعلى منه في أعلى القسمين وهو علم التحقيق والمعرفة كما قال في أثناء كلامه: "فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء وفي كل مرتبة وإنما نظر الرجال إلى التقدم في رتبة العلم بالله فهناك مطلبهم وأما حوادث الأكوان فلا تعلق لخواطرهم بها".

وإذا كان متقدما على الرسول في أعلى القسمين وهو العلم ومشارك له في العلم بالأحكام فمعلوم أن مسيلمة الكذاب لم يدع مثل هذا ولا." (١)

"وعلى الخصوص على كل مفهوم يفهم من وجوه ذلك اللفظ ثان إن كان في وضع ذلك اللسان فإن للحق في كل خلق ظهورا فهو الظاهر من كل مفهوم وهو الباطن عن كل فهم إلا عن فهم من قال إن العالم صورته وهويته" إلى أن قال: "وهو الاسم الظاهر كما أنه بالمعنى روح ما ظهر فهو الباطن فنسبته لما ظهر من صور العالم نسبة الروح المدبر للصورة فيوجد في حد الإنسان مثلا ظاهره وباطنه وكذلك كل محدود فالحق تعالى محدود بكل حد وصور العالم لا تنضبط ولا يحاط بها ولا يعلم حدود كل صورة منها إلا على قدر ما حصل لكل عالم من صورة فكذلك يجهل حد الحق فإنه لا يعلم حده إلا بعلم حد كل صورة وهذا محال حصوله فحد الحق محال وكذلك من شبهه وما نزهه فقد قيده وحدده وما عرفه ومن جمع في معرفته بين التنزيه والتشبيه ووصفه بالوصفين على الإجمال لأنه يستحيل ذلك على التفصيل." (٢)

"لعدم الإحاطة بما في العالم من صور فقد عرفه مجملا لا على التفصيل كما عرف نفسه مجملا لا على التفصيل وكذلك ربط النبي صلى الله عليه وسلم معرفة الحق بمعرفة النفس فقال: "من عرف نفسه فقد عرف ربه" وقال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ وهو ما خرج عنك وفي أنفسهم وهو عينك ﴿حتى يتبين لهم﴾ أي للناظر أنه الحق من حيث أنك صورته وهو روحك فأنت له كالصورة الجسمية لك وهو لك كالروح المدبر لصورة جسدك والحد يشمل الظاهر والباطن منك فإن الصورة الباقية إذا زال عنها الروح المدبر لها لم تبق إنسانا ولكن يقال فيها أنها صورة تشبه صورة الإنسان فلا فرق بينها وبين صورة من خشب أو حجارة ولا ينطلق عليها إسم إنسان إلا بالمجاز لا بالحقيقة وصورة العالم لا يمكن زوال الحق عنها

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٥١٠

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٥٢٥

أصلا فحد الألوهية له بالحقيقة لا بالمجاز كما هو حد الإنسان إذا كان حيا وكما أن ظاهر صورة الإنسان تثنى بلسانها على روحها ونفسها والمدبر لها كذلك جعل الله صورة العالم تسبح بحمده ولكن لا نفقه تسبيحهم لأنا لا نحيط بما في العالم من الصورة فالكل ألسنة للحق." (١)

"لأن الصبر ثلاثة أقسام (١) :

صبر على الطاعة حتى يفعلها، فإن العبد لا يكاد يفعل المأمور به إلا بعد صبر ومصابرة، ومجاهدة لعدوه الظاهر والباطن، فبحسب هذا الصبر يكون أداؤه للمأمورات وفعله للمستحبات.

النوع الثاني: صبر عن المنهي حتى لا يفعله، فإن النفس ودواعيها وتزيين الشيطان وقرناء السوء تأمره بالمعصية، وتجزئه عليها، فبحسب قوة الصبر يكون تركه لها. قال بعض السلف (٢) : أعمال البر يفعلها البر والفاجر، ولا يقدر على ترك المعاصي إلا صديق.

النوع الثالث: الصبر على ما يصيبه بغير اختياره من المصائب، وهي نوعان:

نوع لا اختيار للخلق [فيه] ، كالأمراض وغيرها من المصائب السماوية، فهذه يسهل الصبر فيها، لأن العبد يشهد فيها قضاء الله وقدره، وأنه لا مدخل للناس فيها، فيصبر إما اضطرارا وإما اختيارا، فإن فتح الله على قلبه باب الفكرة في فوائدها، وما في حشوها من النعم والألطاف، انتقل من الصبر عليها إلى الشكر لها والرضا بها، فانقلبت حينئذ في حقه نعمة، فلا يزال هجيرا قلبه ولسانه فيها: "رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" (٣) . وهذا يقوى ويضعف بحسب قوة محبة العبد لله وضعفها، بل هذا يجد أحدنا في الشاهد،

---

(١) انظر كلام المؤلف في "مجموع الفتاوى" (١٥/٥٧٤-٥٧٧، ١٤/٣٠٤-٣٥٦) .

(٢) هو سهل التستري، كما روى عنه أبو نعيم في "الحلية" (١٠/٢١١) .

(٣) من الأدعية المأثورة، أخرجه أحمد (٥/٢٤٧،٢٤٤) وأبو داود (١٥٢٢) والنسائي (٣/٥٣) عن معاذ بن جبل.." (٢)

"والله يحب المحسنين (١٣٤)) (١) ، فيصير محبوبا لله، ويصير حاله حال من أخذ منه درهم فعوض عليه ألوفا من الدنانير، فحينئذ يفرح بما من الله عليه أعظم فرحا (٢) يكون.

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٥٢٦

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٦٦/١

الخامس: أن يعلم أنه ما انتقم أحد قط لنفسه إلا أورثه ذلك ذلا يجده في نفسه، فإذا عفا أعزه الله تعالى، وهذا مما أخبر به الصادق المصدوق حيث يقول: "ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا" (٣) . فالعز الحاصل له بالعفو أحب إليه وأنفع له من العز الحاصل له بالانتقام، فإن هذا عز في **الظاهر**، وهو يورث في **الباطن** ذلا، والعفو ذل في **الباطن**، وهو يورث العز باطنا وظاهرا.

السادس – وهي من أعظم الفوائد –: أن يشهد أن الجزاء من جنس العمل، وأنه نفسه ظالم مذنب، وأن من عفا عن الناس عفا الله عنه، ومن غفر لهم غفر الله له. فإذا شهد أن عفوه عنهم وصفحه وإحسانه مع إساءتهم إليه سبب لأن يجزيه الله كذلك من جنس عمله، فيعفو عنه ويصفح، ويحسن إليه عڕى ذنوبه، ويسهل عليه عفوه وصبره، ويكفي العاقل هذه الفائدة.

السابع: أن يعلم أنه إذا اشتغلت نفسه بالانتقام وطلب المقابلة ضاع عليه زمانه، وتفرق عليه قلبه، وفاته من مصالحه مالا يمكن استدراكه، ولعل هذا أعظم عليه من المصيبة التي نالته من جهتهم، فإذا عفا وصفح فرغ قلبه وجسمه لمصالحه التي هي أهم عنده من الانتقام.

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٤، المائدة: ١٣.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) عن أبي هريرة.." [1]

"الجويني يوما، فانجر الكلام إلى ذكر القطب والنجباء والنقباء والأبدال وغيرهم، فبادر الشيخ إلى إنكار ذلك بغلظة، وقال: هذا كله لا حقيقة له، وليس فيه شيء عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقال له الهيتمي: "معاذ الله! بل هذا صدق وحق لا مرية فيه، لأن أولياء الله أخبروا به، وحاشاهم من الكذب، وممن نقل ذلك الإمام اليافعي، وهو رجل جمع بين العلوم **الظاهرة والباطنة**"، فزاد إنكار الشيخ وإغلاظه عليه. ثم ذهبا إلى الشيخ زكريا الأنصاري الذي عاتب الجويني عليه، فآمن الجويني بذلك وصدق به وأقر بثبوته!! هذا نموذج مما كان يجري بين الفقهاء في هذا الموضوع، فلا يسع المنكر إنكار ذلك، ويضطر إلى الإيمان به والتصديق به والإقرار بثبوته إذا أراد أن يعيش بينهم. وعلى هذا فلا نستغرب أن يدخل بعض المؤلفين هذا الموضوع في كتب العقيدة، كما فعل إبراهيم اللقاني في "عمدة المريد لجوهرة التوحيد"، ويتكلم ءنه المؤلفون في السيرة النبوية ويعتبروا وجود الأقطاب والأبدال من خصائص الأمة المحمدية، كما

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١/ ١٧٠

فعل القسطلاني في "المواهب اللدنية" (١/٤٣٠- ٤٣١) ، والحلبي في "السيرة الحلبية"، وابن التلمساني في "حواشي الشفا"، والزرقاني في "شرح المواهب اللدنية" (٥/٣٩٦- ٤٠١) وغيرهم.

بهذا العرض الموجز نستطيع أن نقدر كم تكدرت ينابيع الثقافة الإسلامية بهذه الفكرة الخرافية التي لا أساس لها من الكتاب والسنة، ولم يقل بها أحد من سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم.." [١]

"عوضه رجلا، ولا تزال الوراثة دائمة في علم **الباطن** وفي علم **الظاهر** إلى قيام الساعة. الأمر على مما ذكر أم لا؟

فأجاب: لا يثبت هذا الحديث، وأما الأبدال فأقوى ما رويناه فيهم قول علي رضي الله عنه إنه بالشام الأبدال، وأيضا فإثباتهم كالمجمع عليه بين علماء المسلمين وصلحائهم. وأما الأوتاد والنجباء والنقباء فقد ذكرهم بعض مشايخ الطريقة، ولا يثبت ذلك. ولا تزال طائفة من الأمة ظاهرة على الحق إلى أن تقوم الساعة، وهم العلماء (١) .

وللعز بن عبد السلام رسالة في إبطال قول الناس أن قطب الأقطاب والأبدال لهم تصرف، بين فيها بطلان قول الناس فيهم، ورد على من يقول بوجودهم، وأقام النكير على قولهم "بهم يحفظ الله الأرض" (٢) . وقد وصلت إلينا نسختان من هذه الرسالة: إحداهما في مكتبة الأوقاف ببغداد برقم [٩٦٨٣/٢ مجاميع] في ثماني ورقات؛ والأخرى في معهد الاستشراق في لينغراد في ست ورقات (٣) .

ـــــــــــــــــ

(١) "فتاوى ابن الصلاح " ص ٥٣. ونقل بعضها ملا علي القاري في "الأسرار المرفوعة" ص ٧٧ (وتحرف فيه "الأوتاد" إلى "الأدباء"!) .

(٣) ذكرها حاجي خليفة في "كشف الظنون" (١/٨٨٣) ؛ ومرتضى الزبيدي في "تاج العروس" مادة بدل (٧/٢٢٣) ؛ وإسماعيل باشا البغدادي في "هدية العارفين" (١/٥٨٠) .

(٣) كما في فهرس المعهد المذكور (١/١٤٠) . وقد ذكر هاتين النسختين إياد خالد الطباع في مقدمة تحقيقه لكتاب "شجرة المعارف والأحوال" للعز بن=." [٢]

"بسم الله الرحمن الرحيم

ما تقول السادة العلماء أئمة الهدى ومصابيح الدجى فيمن يزعم أنه على قدم كل نبي من الأنبياء وليان:

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣٤/٢

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣٦/٢

ولي ظاهر وولى باطن، وهما أقطاب الغوث (١) الذي ينتهي إليه حوائج الخلق، وأن له أربعة أوتاد وسبعة نجباء واثنا عشر (٢) نقيبا وأربعين بدلا، وأن كلما مات من الاثنا عشر واحدا (٣) أخذ من الأربعين، ومن السبعة أخذ من الاثنا عشر (٤) ، وكل ينزل من أكثر العدد إلى أقل العدد بحسب مراتب الأوضاع، وأن الغوث بمكة، والقطبين أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب، والأربعة بأركان الأرض، والنجباء بمصر، والأبدال بالشام، والنقباء بالعراق، وأن الشدة إذا نزلت بأهل الأرض رفعها الأدنى إلى الأعلى، حتى ينتهي الأمر إلى الغوث، فلا يرفع بصره حتى تنفرج تلك النازلة. ويدعون أن لكل قطب علم (٥) لا يعرفه الآخر، ويسمون أنواعا من العلوم الظاهرة والباطنة.

---

(١) كذا في الأصل، والأولى "قطبا الغوث".

(٢) كذا في الأصل، والصواب "اثني عشر".

(٣) كذا في الأصل، والصواب: "من الاثني عشر واحد".

(٤) كذا في الأصل بالألف.

(٥) كذا في الأصل بالرفع، وحقه النصب.." [١]

"يتضمن أنه أكبر من كل شيء، فما يحصل لغيره من نوع صفات الكمال -فإن المخلوق متصف بأنه موجود وأنه حي وأنه عليم قدير سميع بصير إلى غير ذلك- فهو سبحانه أكبر من كل شيء، فلا يساويه شيء في شيء من صفات الكمال، بل هي نوعان: نوع يختص به ويمتنع ثبوته لغيره، مثل كونه رب العالمين، وإله الخلق أجمعين، الأول الآخر الظاهر الباطن القديم الأزلي الرحمن الرحيم مالك الملك عالم الغيب والشهادة، فهذا كله هو مختص به، وهو مستلزم لاختصاصه بالإلهية، فلا إله إلا هو، ولا يجوز أن يعبد إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرغب إلا إليه، ولا يخشى إلا هو. فهذا كله من تحقيق "لا إله إلا الله".

وأما "الله أكبر" فكل اسم يتضمن تفضيله على غيره، مثل قوله:

(اقرأ وربك الأكرم (٣)) (١) ، وقوله: (فتبارك الله أحسن الخالقين (١٤)) (٢) ، وقوله: (وأنت أرحم الراحمين (١٥١)) (٣) و (وأنت خير الغافرين (١٥٥)) (٤) ، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لعدي بن حاتم: "أيفرك أن يقال: الله أكبر؟ فهل من شيء أكبر من الله؟ ".

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢/٥٧

وأما قول بعض النحاة إن "أكبر" بمعنى كبير، فهذا غلط مخالف لنص الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولمعنى الاسم المنقول بالتواتر. وكذلك قول بعض الناس إنه أكبر مما يعلم ويوصف ويقال، جعلوا معنى "أكبر" أنه أكبر مما في القلوب والألسنة من معرفته ونعته، أي هو فوق معرفة

---

(١) سورة العلق: ٣.

(٢) سورة المؤمنون: ١٤.

(٣) سورة الأعراف: ١٥١، وسورة الأنبياء: ٨٣.

(٤) سورة الأعراف: ١٥٥.." [١]

"أراد بقوله أتى المسلمون على هذا فهذا أبلغ. ومعلوم أن مثل هذا النقل للإجماع لم ينقله عن معرفته بأقوال الأئمة، لكن لما علم أن القرآن أخبر بأن الله خالق كل شيء، وأن هذا من أظهر الأمور عند الأمة، حكى الإجماع على هذا، ثم اعتقد أن من خالف الإجماع كفر بإجماع. فصارت حكايته لهذا الإجماع مبنية على هاتين المقدمتين اللتين ثبت النزاع في كل منهما.

وأعجب من ذلك حكايته الإجماع على كفر من نازع أنه سبحانه لم يزل وحده ولا شيء غيره معه، ثم خلق الأشياء كما شاء. ومعلوم أن هذه العبارة ليست في كتاب الله ولا تنسب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، بل الذي في الصحيح (١) عنه حديث عمران بن حصين عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: "كان الله ولا شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض"، وفي لفظ: "ثم خلق السماوات والأرض". وروي هذا الحديث في البخاري بثلاثة ألفاظ (٢) : روي "كان الله ولا شيء قبله"، وروي "ولا شيء غيره"، وروي "ولا شيء معه" (٣) ، والقصة واحدة، ومعلوم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - إنما قال واحدا من هذه الألفاظ، والآخران رويا بالمعنى. وحينئذ فالذي يناسب لفظ ما ثبت عنه في الحديث الآخر الصحيح (٤) أنه كان يقول في دعائه: "أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء". فقوله

---

(١) البخاري (٣١٩١، ٧٤١٨) .

(٢) بل باللفظين الأولين فقط في الموضعين.

---

[١] جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣/٢٧٤

(٣) هذا اللفظ في رواية غير البخاري. انظر "الفتح" (٢٨٩/٦) .

(٤) مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة.." [(١)]

"الوجه الثاني: أن ما فعله الخضر لم يكن خارجا عن شريعة موسى، ولهذا لما بين له الأسباب التي أبيح له بها خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار بغير جعل أقره على ذلك، بل كانت الأسباب المبيحة لذلك قد علمها الخضر دون موسى، كما يدخل الرجل دار غيره، فيأكل طعامه ويأخذ ماله، لعلمه بأنه مأذون له في ذلك، وقتل الآخر لعدم علمه بالإذن قد يكون سببا ظاهرا وقد يكون بسبب باطن، وعلى التقديرين هما في الشريعة.

الوجه الثالث: أن الخضر إن كان نبيا فليس لغير الأنبياء أن يتشبه إليه، وإن لم يكن نبيا – وهو قول الجمهور – فأبو بكر وعمر أفضل منه، فإن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، وخيار هذه الأمة القرن الأول من المهاجرين والأنصار، وخير القرن الأول السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وخيرهم أبو بكر وعمر. فإذا كان أبو بكر وعمر أفضل من الخضر، وحالهما مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هذه الحال، ونحن مأمورون أن نقتدي بهما، لا بأن نقتدي بالخضر، كان من ترك الاقتداء بهما في حالهما مع محمد – صلى الله عليه وسلم – واقتدى بالخضر في حاله مع موسى= من أضل الناس وأجهلهم. بل من اعتقد أنه يجوز له أن يخرج عن طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – وتصديقه في شيء من أموره **الباطنة** أو **الظاهرة** فإنه يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كائنا من كان.

وإذا عرف أن التوبة ترفع منزلة صاحبها وإن كان فيه قبل ذلك ما كان، لم يكن لأحد أن ينظر إلى صديق ولا غيره باعتبار ما وقع." [(٢)]

"ونحن نعلم أن التوكل على الله فرض، والإخلاص له فرض، ومحبة الله ورسوله فرض، والصبر على فعل ما أمر الله وعما نهى الله عنه وعلى المصائب التي تصيبه فرض، وخشية الله وحده دون خشية الناس فرض، والرجاء لله وحده فرض، وأمثال ذلك من الأعمال **الباطنة** **والظاهرة** والتي يحصل التقصير في كثير منها لعامة الخلق.

وأي نوع من هذه الأنواع إذا تدبر بعض الصديقين فيه حاله يجده قد ظلم نفسه فيه ظلما كثيرا، دع ما سوى ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، وكالقيام بحقوق الأهل والجيران

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٣٤٤/٣

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٦٠/٤

والمؤمنين، وإكمال كل واجب كما أمر به، وأمثال ذلك مما لا يحصى.

وقد ذكر البخاري (١) عن ابن أبي مليكة قال: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يخاف النفاق على نفسه. وفي الصحيح (٢) أن حنظلة الكتاب لما قال: نافق حنظلة، قال أبو بكر: إنا لنجد ذلك.

فهؤلاء كانوا يخافون على أنفسهم النفاق لكمال علمهم و إيمانهم، ولهذا كان عبد الله بن مسعود وغيره من السلف يستثنون الإيمان فيقول أحدهم: أنا مؤمن إن شاء الله. وقد تقدم التنبيه على مجامع الظلم. والله سبحانه أعلم.

وأما ما ذكره أبو عبد الله الحكيم الترمذي من أصناف الرحمة فلا ريب أن الرحمة أصناف متنوعة ومتفاوتة، كما ذكره من أن له

---

(١) تعليقا في صحيحه (١/١٠٩) ، وأخرجه في التاريخ الكبير (٥/١٣٧) . وانظر "تغليق التعليق" (١/٥٢) و"فتح الباري" (١/١١٠) .

(٢) مسلم (٢٧٥٠) .." [1]

"مسألة

في رجل مضى عليه زمن لم يصل فيه، ثم تاب ولازم الصلوات الخمس، ولم يتفرغ لقضاء ما فاته من الصلوات، فهل - والحالة هذه - يطالبه الله بذلك أم لا؟

الجواب

الحمد لله. أما إن كان أولا ممن لا يعتقد وجوب الصلاة ويعزم على فعلها فهذا في **الباطن** ليس بمؤمن، وإن كان في **الظاهر** مسلما، كالمنافقين الذين تجري عليهم أحكام الإسلام **الظاهرة**، وهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النار. وإن لم يكن مكذبا في **الباطن** للرسول، بل قد يكون مقرا في **الباطن** بصدقه، أو معرضا عن تصديقه وتكذيبه، وهو مع ذلك معرض عما جاء به، لا يخطر بقلبه الصلاة هل هي واجبة أو ليست واجبة؟ وهل يلزمه فعلها أو لا يلزمه؟ وإن خطر ذلك بقلبه أعرض عنه، واشتغل بأمور دنياه وشهواته عن أن يعتقد الوجوب ويعزم على الفعل، فهؤلاء وإن صلوا لم تقبل صلاتهم. قال تعالى: (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا (١٤٢)) (١) ،

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٦٢/٤

(١) سورة النساء: ١٤٢.." [1]

"صلحت صلح لها الجسد كله، وإذا فسدت فسد لها الجسد كله، إلا وهي القلب" (١) .

وكذلك أعمال القلب لابد أن تؤثر في عمل الجسد، وإذا كان المتقدم هو الأوجب سمي باطنا أو ظاهرا، فقد يكون ما يسمى باطنا أوجب، مثل ترك الحسد والكبرياء، فإنه أوجب عليه من نوافل الصيام. وقد يكون ما سمي ظاهرا أفضل، مثل قيام الليل، فإنه أفضل من مجرد ترك بعض الخواطر التي تخطر في القلب من جنس الغبطة ونحوها. وكل واحد من عمل **الباطن والظاهر** يعني الآخر، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتورث الخضوع ونحو ذلك من الآثار العظيمة، هي أفضل الأعمال، والصدقة. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢، ٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير.." [2]

"وكذلك يلتذ ويفرح ويتنعم بمعرفة نفسه للأشياء التي تعرف **بالباطن**، ويلتذ أيضا بشهود باطنه وإحساسه، كما يلتذ بشهود ظاهره وإحساسه، وكذلك يلتذ بما تعقله نفسه من الأمور الكلية التي تعقلها، وكذلك في أفعاله وحركاته، كما يلتذ بأكله وشربه ونكاحه، وكما يلتذ برحمته وإحسانه إلى أهل الحاجات من أقاربه وغير أقاربه، ويلتذ بالجود والإعطاء، ويلتذ بالعفو عن المسيء إليه وترك معاقبة المسيء، كما يذكر عن المأمون أنه قال: لقد حبب إلي العفو حتى إني أخاف ألا أثاب عليه.

فهذه مكارم الأخلاق التي تكون في بني آدم، كما كانت تكون في أهل البادية، فهذا الحس وهذه الحركة الإرادية يتنعم به الحي ويتنفع به ويلتذ في الحال.

ولا يقال: إن فعل ذلك لغير غرض ولا لجلب منفعة أو دفع مضرة، بل فيه جلب منفعة ودفع مضرة في نفسه، كما في نفس الآكل والشارب يستجلب به منفعة الشبع، ويستدفع به مضرة الجوع، فهكذا سائر هذه الأمور يدفع بها عن نفسه مضرات، ويستجلب لها بها لذات.

ولهذا يقال: اشتفت نفسه، وشفيت صدري، فيجد شفاء في صدره، كما يجد شفاء في جسمه بزوال المرض وحصول العافية.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٠٧/٤

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٣٧٩/٤

وهذه أمور محسوسة **بالباطن** **والظاهر**، وهي التي أدرك حسنها من قال: إن العقل يقبح ويحسن، ومن قال: إن العلم بحسنها لصفة قائمة بها معقولة: إما بالبديهة وإما بالنظر، أو معلومة بالشرع.." (١)

"ولقد صدق في قوله: إن حسنها وقبحها لمعنى قام بها، وصدق أن ذلك قد يدرك بالعقل، وقد يدرك بالشرع.

وقد غلط الأول في نفيه أن يكون ذلك لما فيه من جلب منفعة إلى العبد ودفع مضرة راجعة إلى نفسه، وإن كان ذلك في الدار الآخرة أيضا، فإن ذلك أمر محسوس.

والثاني غلط حيث اعتقد أن ذلك ليس لصفة في الفعل، وأن الحسن والقبح ليس إلا مجرد إضافة الفعل إلى الأمر والنهي، فأصاب بعض الإصابة في كونه جعل ذلك من الملاءمة للطبع والمنافرة عنه، ومن باب كمال المتصف بذلك ونقصه، ولكن غلط في ظنه أن الحسن والقبح العقليين صادرين (١) عن ذلك، ولم يغلط كل الغلط، فإن الحسن والقبح الذي يدرك بالحس وبالعقل وبالشرع، وبالبصر والنظر والخبر، بالمشهور **الظاهر** **وبالباطن**، وبالمعقول القياسي وبالأمر الشرعي= هو في الأصل من جنس واحد، فإن كلا يعلم بذلك ويثبت به ما لا يعلم بالآخر ويثبت به.

وهذه الطرق الثلاثة: السمع، والبصر، والعقل، هي طرق العلم: فالبصر -وهو المشهود **الباطن** **والظاهر**- يدرك ما في هذه الحركات والإرادات من الملاءمة والمنافرة، والمنفعة والمضرة العاجلة.

والسمع -وهو وحي الله وتنزيله- يخبر بما يقصر الشهود عن إدراكه من منفعة ذلك ومضرته في الدار الآخرة.

---

(١) كذا في الأصل.." (٢)

"ورسوله بدون الجهاد.

فعلم أن الزاني والشارب أبعد عن كون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما من هؤلاء التاركين للجهاد، وإن كانوا يحبون الله ورسوله، لكن لم يقل له: إنها أحب إليه مما سواهما، ولا إنه متصف بذلك وقت الشرب، فقد يتصف العبد بالأحبية في حال دون حال، ولابد في الإيمان من أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٩٢/٥

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٩٣/٥

ومن هنا غلطت الجهمية والمرجئة؛ فإنهم جعلوا الإيمان من باب القول: إما قول القلب الذي هو علمه (١) ، أو معنى غير العلم عند من يقول ذلك. وهذا قول الجهمية ومن تبعهم كأكثر الأشعرية، وبعض متأخري الحنفية. وإما قول القلب واللسان كالقول المشهور عن المرجئة؛ ولم يجعلوا عمل القلب مثل حب الله ورسوله ومثل خوف الله من الإيمان، فغلطوا في هذا الأصل.

وغلطوا غلطا آخر غلطت الجهمية فيه أعظم، وهو أنهم ظنوا القلب يقوم به الإيمان قياما لا يظهر على الجوارح. فظنوا أن [الإنسان] (٢) يقوم بقلبه تصديق تام للرسول، ومحبة تامة للرسول، وهو مع هذا يشتمه ويلعنه ويضربه من غير إكراه، فصاروا لا يجعلون شيئا من الأعمال **الظاهرة** مستلزما للكفر **الباطن**، بل يقولون: نحن نحكم بكفره ظاهرا، وقد يكون في **الباطن** من أولياء الله.

(١) في الأصل: "عمله". والمثبت يقتضيه السياق.

(٢) في الأصل: "الإسلام". والمثبت يقتضيه السياق.." (١)

"وغلطوا غلطة ثالثة فقالوا: كل من حكم الشارع بكفره في **الظاهر** (١) فذلك دليل على أنه لم يكن مصدقا في **الباطن**.

وهذا مكابرة ظاهرة، فصاروا يقولون: إن إبليس وفرعون وعلماء اليهود وأمثال هؤلاء هم في **الباطن** جاحدون لوجود الخالق لأنه ثبت أنهم ليسوا مؤمنين في **الباطن**. والإيمان عندهم مجرد علم القلب، فاحتاجوا إلى نفي هذا.

والتحقيق أن الإيمان **الباطن** المنجي من عذاب الله لابد فيه من قول القلب، وعمل القلب، فلابد فيه من حب الله ورسوله، ولهذا أطلق أكثر السلف القول بأن الإيمان قول وعمل.

وإذا كان القلب فيه تصديق للرسول - صلى الله عليه وسلم - ومحبة تامة له فلابد أن يظهر ذلك على الجسد، فإن الإرادة الجازمة مع وجود القدرة تستلزم وجود المقدور، والمحبة الجازمة تتضمن الإرادة الجازمة لتعظيم الرسول وتوقيره. فإذا كان قادرا على ذلك امتنع أن يصدر منه موالاة من عادى الرسول - صلى الله عليه وسلم -، فكيف يصدر منه شتمه وضربه وقتله طائعا غير مكره؟

وإذا كان كذلك فمعلوم أن الذنوب كالزنا والسرقة وشرب الخمر تتضمن شهوة ذلك ومحبته، فحب الشهوات من الصور والمطاعم والأموال يوقعه في الزنا والشرب والسرقة. وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (٢)

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢٤٦/٥

:

(١) في الأصل: "**الباطن**"، وهو مخالف للسياق.

(٢) أخرجه أحمد (٢/٢٩١، ٣٩٢، ٤٤٢) والبخاري في الأدب المفرد (٢٨٩،=." [١]

"بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن تيمية إلى المولى السيد السلطان الملك المؤيد، أيده الله بتكميل القوتين النظرية والعلمية، حتى يبلغه أعلى مراتب السعادة الدنيوية والأخروية، ويجعله ممن أتم عليه نعمه **الباطنة والظاهرة**، وأعطاه غاية المطالب الحميدة في الدنيا والآخرة، وجعله مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

ففي الهدى كمال القوة العلمية، وفي الرشاد كمال القوة العملية، وبهما أخبر أنه أرسل رسوله حيث قال: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا (٢٨)) (١) .

فالهدى يتضمن كمال القوة العلمية، ودين الحق يتضمن كمال القوة العملية.

وقد نزهه عن ضد ذلك في مثل قوله: (والنجم إذا هوى (١) ما ضل صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحي يوحى (٤)) (٢) .

فنزهه عن "الضلال" المناقض للهدى، وهو النقص في القوة العلمية، وعن "الغي" المناقض للرشاد، وهو النقص في القوة العملية.

(١) سورة التوبة: ٣٣، سورة الفتح: ٢٨، سورة الصف: ٩.

(٢) سورة النجم: ١-٤.." [٢]

"وفي الصحيحين (١) عنه أنه قيل له: يا رسول الله! الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله؟ فقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله".

قال تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير (٣٩) وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير (٤٠)) (٢) .

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٥/٢٤٧

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٥/٢٨٣

فالله تعالى يوفقنا وسائر إخواننا المؤمنين لما يحبه ويرضاه لنا من الأحوال والأعمال **الباطنة** **والظاهرة**، ويجنبنا ما يكرهه لنا من ذلك كله.

وأعظم من ذلك أن يتشاغل المسلمون بقتال بعضهم بعضا، كما يجري بين أهل الأهواء من القبائل وغيرها، كقيس ويمن وجرم وتغلب ولخم وجذام وغير هؤلاء، مع مجاورتهم للثغور، فيدعون الرباط والجهاد الذي هو سعادة الدنيا والآخرة -كما قال تعالى: (قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) (٣) يعني: إما النصر والظفر، وإما الشهادة والجنة- ويشتغلون بقتال الفتن والأهواء الذي هو خسارة الدنيا والآخرة.

وفي الصحيحين (٤) عن أبي بكرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه [قال] : "إذا

---

(١) البخاري (٧٤٥٨) ومسلم (١٩٠٤) عن أبي موسى الأشعري.

(٢) سورة الأنفال: ٣٩-٤٠.

(٣) سورة التوبة: ٥٢.

(٤) البخاري (٣١) ومسلم (٢٨٨٨) .." [(١)]

"والإرادة في **الباطن** ... **الظاهر**، فتقوم بالجسم. فنسبة النية إلى العمل **الظاهر** نسبة الروح إلى الجسد، ... أرواح أجسامها أجسام أرواحها النيات، ولا بد لكل جسم حي من روح، ولا بد لكل جسم حي من إرادة ونية.

ثم إن الروح إن كانت (١) طيبة كان الجسم طيبا، وإن كانت خبيثة كان الجسم خبيثا، فكذلك العمل والنية، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث المشهور: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه " (٢) .

فهذا اللفظ عام (٣) في كل عمل كائنا ما كان، هو بنيته، سواء كانت صورته صورة العبادات، كالطهارة والصلاة والحج، أو صورة العادات، كالسفر والاكل والشرب وغير ذلك.

وسبب الحديث كان مما صورته صورة العادات من وجه، [وصورة العبادات من وجه، فالعادة] من جهة كونه سفرا، وهو السفر من مكة إلى المدينة، والدين (٤) من جهة كون السفر كان إلى دار الإسلام ومقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن معه من المؤمنين المجاهدين، وبهذا الاعتبار سمي هجرة، ثم إن

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣٧٨/٥

النبي - صلى الله عليه وسلم - جعله نوعين: أحدهما: ما كان

---

(١) غير واضحة في الأصل.

(٢) أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب.

(٣) في الأصل: "عاما".

(٤) الكلمة غير واضحة في الأصل.." [1]

"والعمل، وإنما المراد منا أن نكون مطيعين له ولرسوله، وأن تكون حركتنا واختيارنا تبعا لأمره الذي بعث به رسوله، فعلينا أن نختار ونعمل ما أوجب علينا عمله واختياره، وهو يحب لنا ويرضى أن نختار ونعمل ما يستحب لنا في دينه، ويعاقبنا على عدم الإرادة والعمل المستحب.

وهنا قد تغلط طائفة من المتصوفة فيقولون: ما المراد؟ (١) قد يستعملون ذلك فيما فيه ترك مستحبات، وقد يتعدون إلى ما فيه ترك واجبات، فيقال: ليس المراد منا الانقياد لكل حكم قاهر، ولا الاستسلام لكل ذي سلطان قادر، وإنما المطلوب منا الاستسلام لله، وإخلاص الدين له، وطاعة أمره ونهيه: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) (٢) ، (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم (١٣)) (٣) . فإن الدين: الإيمان والبر والتقوى وطاعة الله ورسوله والإحسان والعمل الصالح ونحو ذلك هو المطلوب منا والمراد بنا في دين الله تعالى وكتابه، فأما الحوادث التي تكون بغير أفعالنا فالأقسام فيها ثلاثة:

تارة نؤمر بدفعها **بالباطن** أو **الظاهر**، كما يؤمر بجهاد الأعداء عن الدين.

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) سورة النساء: ٦٩.

(٣) سورة النساء: ١٣.." [2]

"(فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط (٧٤) إن إبراهيم لحليم أواه منيب (٧٥) يا إبراهيم أعرض عن هذا) (١) . وأما نبينا - صلى الله عليه وسلم - فلا يفعل إلا ما أمر به (٢)

---

[1] جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٦/٦

[2] جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٠/٦

من دعاء وعبادة، فإن نبينا - صلى الله عليه وسلم - العبد المحض الذي لا يفعل إلا ما أمره به ربه، فلهذا أمره بالدعاء فقيل له: (وقل رب زدني علما (١١٤)) (٣) ، وقيل له: (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) (٤) ، وإذا كان يوم القيامة ورد الأنبياء إليه الشفاعة العظمى، وجاءته الأمم، يجيء إلى (٥) ربه، ويخر ساجدا، ويحمد ربه بمحامد يفتحها عليه، فيقول له: "أي محمد! ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع" (٦) ، فلا يشفع إلا بعد أن يؤمر بالشفاعة، فلا يقال له: أعرض عن هذا، ولا يقال له: لاتسألني ما ليس لك به علم.

وقد أوجب الله على أهل المحبة متابعته بقوله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) (٧) ، فهؤلاء المتبعون لأمره، المستمسكون بسنته في **الباطن والظاهر**، هم خالص أمته، وأما من كان من أهل المحبة أو الخوف أو الرجاء أو الإخلاص، استعمله

---

(١) سورة هود: ٧٤- ٧٦.

(٢) في الأصل: "فلا يفعلون إلا ما أمروا به".

(٣) سورة طه: ١١٤.

(٤) سورة محمد: ١٩.

(٥) في الأصل: "اليه" تحريف.

(٦) أخرجه البخاري (٤٤٧٦) ومسلم (١٩٣) من حديث أنس في حديث الشفاعة المشهور.

(٧) سورة آل عمران: ٣١.." [١]

"حاله في أعمال لم يؤمر بها، ولم تسمح له، مثل كلام المكاء والتصدية التي تحرك حبه أو حزنه أو خوفه أو رحمته أو رجاءه، ومثل الشدة في عقوبة (١) الفساق حتى يدعو عليهم، أو يعاقبهم بقوة عظيمة لله، من غير أمر منه بذلك، ومثل فرط الرحمة لهم حتى يشفع فيمن يحب الله، ويرضى عقوبته والانتقام له، أو تركه، بترك عقوبته، ولهذا يقول الله تعالى: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا) (٢) ، (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) (٣) ، وقال تعالى: (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) (٤) ، ومنهم من يحمله حب أقاربه حتى يدعو لهم بدعوة لم يؤمر بها، وغير ذلك.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٩/٦

وهذا كثير في أرباب الأحوال المتأخرين من هذه الأمة، وهم في هذه الأمور خارجون عن سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسنة خلفائه الراشدين، بمنزلة خروج من خرج من ولاة الأمور في السياسات **الظاهرة** عن طريقة الخلفاء إلى نوع من الملك في العقوبات وفي الولايات وفي الأعطية، فإن تصرف هذا وهذا ببغضه للحرمات من جنس واحد، لكن هذا بباطنه وهذا بظاهره، وكذلك عطاء هذا وهذا برحمته للعباد من جنس واحد، ثم كل منهما قد يكون مقصوده الرئاسة إما **الباطنة** وإما

---

(١) في الأصل:"عونه".

(٢) سورة المائدة: ٨.

(٣) سورة المائدة: ٢.

(٤) سورة النور: ٢.." (١)

"ويقولون ما ينقض قول المؤمنين، ولو كانوا صادقين محققين القول الأول لم يأتوا بما يناقضه.

وليسوا أيضا تاركين لكل ما يتركه المؤمنون ويفعلونه، بل يوافقونهم على شيء، ويوافقون شياطينهم على شيء، وهم وإن كانوا في **الظاهر** مع المؤمنين، ففي **الباطن** مع شياطينهم، وهذا هو النفاق، وقد فسر بذلك إيمانهم وكفرهم، أي امنوا ظاهرا ثم كفروا باطنا.

فالقران يدل على أنهم أولا حصل لهم هدى، ثم رجعوا عنه، مع كونهم أظهروا خلاف ما يبطنون، وهذه حال طوائف من العباد، يقرون بالحق من بعض الوجوه، ولم يقروا به إقرارا تاما، فهم كاذبون في دعواهم الإيمان به، ثم إنهم يتناقضون فيأتون بما ينافي الإيمان، وقد قال تعالى: (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) (١) ، فهذا يبين أنهم دخلوا في الإسلام الذي إذا عملوا فيه عملا صالحا لم ينقصوه، ومع ذلك لم يدخل حقيقة الإيمان إلى قلوبهم، فكثير من الناس يقر بالحق ابتداء، وإن لم يكن في قلبه إذ ذاك تكذيب به أو بغض له، بل لا يكون في قلبه حقيقة التصديق والمحبة، وإن كان فيه بعض ذلك، مع إقراره بلسانه وظاهره.

وفرق بين ان يقوم بقلبه نقيض ما أظهره، وبين أن لا يحقق بقلبه ما أظهره، فإن الأول قام بقلبه كفر وجودي، وهذا لم يقم بقلبه كفر

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢٠/٦

(١) سورة الحجرات: ١٤.." (١)

"وجودي، لكن لم يقم بقلبه حقيقة الإيمان، وإن كان قد دخل فيهم منادي الإيمان، إذ تكلموا به، وكان له أثر في قلوبهم، فهذا- والله أعلم- حال الموصوفين في سورة البقرة والمنافقين، فإنه قال: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨)) (١) فأخبر أنهم في الحقيقة لم يؤمنوا، وأن في قلوبهم مرضا، والمرض يكون ريبا وشكا. وأخبر أنه إذا قيل لهم: (آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) (٢) ، وأخبر أنهم يوافقون في الظاهر المؤمنين، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: إنا معكم، إنما نحن مستهزؤون، ثم أخبر عنهم (٣) بما يقتضي ردتهم عن هدى حصل لهم، فهذا- والله أعلم- يقتضي أنهم في أول الأمر حصل لهم أمر ناقص، لا يستوجبون به حقيقة الإيمان، كما ذكر عن الأعراب، ولكن لو استمروا على اتباع الحق قوي إيمانهم، فرجعوا عن ذلك الهدى ونافقوا المؤمنين.

والنفاق ينقسم إلى أكبر و أصغر، ومن تدبر حال كثير من أئمة الضلال- من المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ومن فيه شعب من ذلك من الجهمية والرافضة ونحوهم- وجدهم على ذاك الحال، فإنهم يتناقضون، فيقرون بالحق وينكرونه، ويعرفونه ثم ينكرونه، ولهذا يجمعون في كلامهم بين ما هو من قول المؤمنين، وبين ما هو من قول الكفار الجاحدين، كالذي يكون مسلما، ثم يتفلسف وينافق شيئا بعد شيء، كالقرامطة الذين كان أولا فيهم إسلام، وإن كانوا مبتدعة من

(١) سورة البقرة: ٨.

(٢) سورة البقرة: ١٣.

(٣) في الأصل: "انهم".." (٢)

"قديم واجب أمر ضروري فطري في النفوس كلها.

ولهذا تجد جميع الأمم معرفة بالله فطرية، فإن أخطأ بعضهم عينه فاعتقده غير ما هو، فالمقصود الأول هو الله، والقلب مفطور على الحنيفية التي هي الإقرار بالله وعبادته المتضمنة معرفته ومحبته. ولكن قد يعرض للفطرة ما يغيرها، وإذا كان كذلك، فقد دل الكتاب والسنة- في غير موضع- على أن من كان هذا مقصوده،

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٧٣/٦

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٧٤/٦

وكان مجتهدا في ذلك، فإنه يحصل له الهدى، وأن من اتبع هواه فلم يكن الحق مقصوده، ضل عن سبيله، قال تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) (١) ، فإن المجاهد في الله لا بد له من شيئين:

أحدهما: محبة الله وإرادته المستلزمة بغض عدوه.

والثاني: الاجتهاد في دفع ما يبغضه الحق ويكرهه، بقهر عدوه، ليحصل ما يحبه الحق ويرضاه بعلو كلمته، وأن يكون الدين كله لله.

فالمجتهد في تحصيل محبوبه ودفع مكروهه، هو المجاهد في سبيله، وهو الذي استفرغ وسعه في ذلك حتى جاهد أعداءه الظاهرين والباطنين، فيجتمع في المجاهد في سبيله شيئان: كمال القصد، وكمال العمل.

فالأول: أن مقصوده هو الله، فهو معبوده ومحبوبه.

والثاني؟ أنه يستفرغ مقدوره في تحصيل هذا المقصود.

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.." (١)

"عن فلان عن فلان، إني لأراه مؤمنا، فقال: "أو مسلما" مرتين أو ثلاثا، ثم قال: "إني لأعطي الرجل وأدع من هو أحب إلي منه، أعطيه لما في قلبه من الهلع والجزع " أو كما قال.

فامرأة لوط كانت منافقة كافرة في الباطن، وكانت مسلمة في الظاهر مع زوجها، ولهذا عذبت بعذاب قومها. فهذه حال المنافقين الذين كانوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - مستسلمين له في الظاهر، وهم في الباطن غير مؤمنين. والأعراب قد نفى الله عنهم الإيمان بقوله (لم تؤمنوا) ، وأمرهم أن يقولوا: أسلمنا، ثم قال: (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) . و"لما" ينفى بها ما يفوت وجوده وينتظر وجوده، فيكون دخول الإيمان في قلوبهم منتظرا مرجوا، وقد قال لهم: (وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) وظاهره أنهم إذا أطاعوه في هذه الحال أثيبوا على الأعمال. ثم قال: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون (١٥)) (١) .

وهذا هو الإيمان الواجب، وقد يكون مع كثير من الناس شيء من الإيمان ولم يصل إلى هذا، كالذين قال فيهم النبي - صلى الله عليه وسلم -: " يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن ذرة، أو من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان " (٢) . فسلب الإيمان عنهم لا يقتضي سلب هذا المقدار

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٤٢/٦

من الإيمان، بل هذه الأجزاء اليسيرة من الإيمان قد يكون في العبد ولا يصل بها إلى الإيمان الواجب، فإنه إذا انتفت عنه جميع

---

(١) سورة الحجرات: ١٥.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤) ومسلم (١٩٣) من حديث أنس.." [١]

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٢٢١/٦